الأمة

Al Ummah

اسلامية . شهرية . جامعة

العدد التاسع والأربعون ـ السنة الخامسة ـ المحرم ١٤٠٥هـ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٤م

أكثر من حوار حول :
الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية

■ جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية قسنطينة - الجزائر ■

i26659566

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمة
Al Ummah

إسلامية شهرية جامعة

تصدر في غرة كل شهر عربي عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر

An Islamic Monthly published by the Presidency of Sharia Courts & Islamic Affairs, State of Qatar, at the beginning of every Hijri Month.

المشرف العـام

عبدالرحمن بن عبدالله آل محمود

President
Abdulrahman Abdulla Al Mahmoud

رئيس التحرير

يوسف عبدالرحمن المظفر

Chief Editor
Yousuf Abdulrahman Al Muzaffar

مدير التحرير

عمر عبيد حسنه

Editorial Director
Ummar Ubaid Hasna

التحرير والإدارة
Editorial Offices & Administration

هاتف ـ (بدالة)	:	٤٤١٥١٠
رئيس التحرير	:	٤٤٧٠٢٢
مدير التحرير	:	٤٤١٨٣٠
القسم الفني	:	٤٤١٨٨٧
هيئة التحرير	:	٤٤٧٥٠٠
تلكس	:	٤٩٩٩ الأمة د هـ
برقياً	:	الأمة الدوحة
ص . ب	:	٨٩٣ الدوحة ـ قطر

Tel.: (PABX) 441510	DOHA
Chief Editor	447022
Editorial Director	411830
Editing Staff	441887
Editor Staff	447500
Telex:	4999 Al Ummah DH
Cables:	Al Ummah DOHA

Mailing Address:
P. O. Box 893 DOHA QATAR

من الدار

عودة إلى
أزمة الواقع الإسلامي

■■ لعل غياب الدراسات النقدية التقويمية كان من أهم الأسباب التي ساهمت ، ولو سلبياً ، بعدم النجاح الكامل للعمل الإسلامي ، لأنها المؤشر الصحيح والشرط الضروري لاستقامة العمل ، وفحص المقدمات ، وتحديد مواطن الخطأ وأسباب التقصير لاستدراكها وتصويبها ... وقد يكون مرد ذلك : الخلط الذي وقع في ذهن بعضنا بين الإسلام المعصوم والانتصار له والدفاع عنه وبين الفكر الإسلامي الذي هو محاولات بشرية تخطىء وتصيب وليس لها عصمة الإسلام ، والتخوف والإشفاق الذي سيطر على بعضنا الآخر فدفعه إلى الاعتقاد بأن الدراسات التقويمية النقدية تؤثر على وحدة المسلمين وترابطهم وتؤدي إلى انكشاف مواطن الضعف للعدو يتسلل منها ، فينتصر عاطفياً للموضوع ، وكأن العدو لمَّا يعرف عنا شيئاً ، ولا أدل على ذلك من الواقع الذي نحن فيه ولا نحسد عليه . ولو عدنا إلى كثير من المؤلفات التي ساهمت بصناعة أفكارنا بعين فاحصة بعيدة عن الانتصار العاطفي أو التعصب الحزبي الذي يحميها ويضمن استمرارها ، ويحول دون مناقشتها لوجدنا فيها الكثير من أسباب ما نشكو منه على مستوى العقيدة والممارسة ، ونحن نعتقد أن الأخطاء من أخطر الأعداء ، وأن هذا التخوف من تلبيس الشيطان لتكريس الخطأ واستبقاء العدو ...

والإسلام دين معلن ، وعقيدة للبشرية جمعاء ، وساحته مفتوحة للحوار والانتقال من النافع إلى الأنفع ومن الصالح إلى الأصلح ، والقرآن الكريم دعا إلى ذلك ، والرسول ﷺ درَّب عليه ، وليس دعوة سرية وحركة باطنية تحمل كيداً لأحد ، إنه يحمل الخير للبشرية ، ونعتقد أنه لا بد من تفكيك الصورة المغلوطة في ذهن بعض العاملين ، وتفكيك الصورة المغلوطة أيضاً عن العاملين للإسلام في أذهان الناس ، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أصول ديننا ، ومن حقوق الموالاة في الإسلام وثمراتها ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (التوبة : ٧١) والتواصي بالحق من شروط الإيمان والنجاح وأمن الخسران ... من هنا كانت دعوتنا في العدد السادس والأربعين إلى الاستكتاب حول موطن الخلل ، وأملنا أن تكون قضية « الأمة » للسنة الخامسة ؛ وشرطنا الوحيد في هذا الموضوع : التزام أدب الحوار الإسلامي في التناول ومناقشة الأفكار ، والابتعاد عن تناول الأشخاص والهيئات والجماعات والمؤسسات ملتزمين في ذلك المنهج الإسلامي الذي اختطه الرسول القدوة ﷺ في قوله : « ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا ... يقولون كذا وكذا ... » وإلَّا نكون ساهمنا فعلاً بتكريس الخطأ والانتصار له والاستغلاق عليه ، فنسيء من حيث أردنا الإحسان ... والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ■■

ما يُنشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

طبعت بمطابع الدوحة الحديثة ـ قطر

صورة الغلاف

■■ لعلَّ لوحة الغلاف تحمل في كثير من الأحيان ملامح العدد وتعطي القارىء انطباعاً عاماً عن محتوياته …

وعلى رأس سنة جديدة من عمر « **الأمة** » لا بد أن يكون حضور الماضي أمراً أساسياً ليساهم بتحديد صورة المستقبل فيكون التواصل وتستمر الحيوية وتنعدم فواصل الزمن وتتكامل شمولية الصورة …

من هنا وقع الاختيار أن تكون أغلفة سنة في غلاف العدد الأول من السنة الجديدة ■■

□ **الغلاف بريشة : الفنان عصام عزوز** □

الإخراج الفني **مجدي نجيب**

الاشتراك السنوي Annual Subscription

للأفراد

- في قطر ٣٠ ريالاً قطرياً .
- في الدول العربية والأسيوية والافريقية : ٤٠ ريالاً قطرياً أو ١١ دولاراً أمريكياً أو ما يعادلها .
- في الأمريكيتين وأوروبا واستراليا ١٢ دولاراً امريكياً او ما يعادلها .

- Asia & Africa, for individuals U.S.$ 11, for Govt. & Private organizations U.S.$ 22.
- America, Europe & Australia for individuals U.S.$ 12, for Govt. & Private organizations U.S.$ 25.

للدوائر الحكومية والشركات والمؤسسات

- في قطر : ٧٥ ريالاً قطرياً
- في الدول العربية والآسيوية والافريقية : ٨٠ ريالاً قطرياً او ٢٢ دولاراً امريكياً
- في الأمريكيتين واوروبا واستراليا : ٢٥ دولاراً امريكياً .

■ ترسل الاشتراكات باسم مجلة الأمة ■

المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

وكلاء التوزيع

البلد	اسم الوكيل	وعنوانه
قطر	□ دار الثقافة	ص . ب ٣٢٣ الدوحة
الإمارات	□ مكتبة دار الأمان	ص . ب ٤٦٩٥ أبوظبي
«	□ المكتبة الحديثة	ص . ب ١٥٥٤ العين
«	□ مكتبة دبي للتوزيع	ص . ب ١٥٢٦ دبي
البحرين	□ جمعية الإصلاح الاجتماعي	ص . ب ٢٢٢٨٢ المحرق
السعودية	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان	ص . ب ١٤٠٥ الرياض
«	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع	ص . ب ٨٠٧٠ جدة
«	□ « « «	الدمام
عمان	□ المؤسسة العربية للتوزيع والنشر	ص . ب ١٠١١ مطرح سلطنة عمان
الكويت	□ دار القلم : للطباعة والنشر والتوزيع	ص . ب ٢٠١٤٦ الكويت
الأردن	□ وكالة التوزيع الأردنية	ص . ب ٣٧٥٠ عمان
«	□ مكتبة دار الأرقم	ص . ب ٩٢٦٢٨٧ عمان
تونس	□ الشركة التونسية للتوزيع	ص . ب ٤٤٠ تونس 5 ش قرطاج - تونس
الجزائر	□ المؤسسة الوطنية لتوزيع الصحافة	38sis شارع ديدوشي مراد - الجزائر
السودان	□ دار التوزيع	ص . ب ٣٥٨ الخرطوم
لبنان	□ مؤسسة الجزيرة للخدمات والتوزيع بيروت - لبنان	ص . ب ٧٣٨٥ بيروت
مصر	□ شركة توزيع الأخبار	ص . ب ٧ القاهرة
المغرب	□ سبريس	ص . ب ٨ ــ ٧٠ زنقة سجلماسة الدار البيضاء
اليمن	□ مؤسسة سبأ العامة للصحافة والأنباء	ص . ب ٢١٩٥ صنعاء

Distributing Agents

ماليزيا	MUSLIM YOUTH MOVEMENT OF MALAYSIA,	KUALALUMPUR 2207, MALAYSIA
باكستان	PARADISE BOOK STALL	SHAHRAH E-IRAQ KARACHI 3 PAKISTAN
انجلترا	THE MUSLIM INFORMATION SERVICE, 233 SEVEN SISTERS ROAD,	LONDON N4 ENGLAND
	GULF MEDIA CENTRE	43/441 GLARGES STREET LONDON WIY 7PJ U.K.
فرنسا	GROUPMENT ISLAMIQUE EN FRANCE	121, BOULEVARD DE MENLLMONTANT 1, CITE DE L'AVENIR 75011 PARIS FRANCE
ألمانيا	ISLAMISCHE GEMEINSCHAFT IN	DEUTSCHLAND E.V. MANZER LANDSTR. 176 6000 FRANKFORT A. M. W. GERMANY
	ISLAMISCHES ZENTRUM	BILAL MOSCHEE 51 AACHEN W. GERMANY
هولندا	NVR AL SONNAH IMPORT EN EXPORT	TOLISTRAAT 42 1073 SC AMESTERDAM - HOLLAND
بلجيكا	AL-IMENSPRL	B.D.M. LEMONNIER 196 1000 BRUXELLES, BELGIQUE.

ثمن النسخة

قطر	٣	ريالات
السعودية	٣	ريالات
الكويت	٢٠٠	فلس
البحرين	٢٠٠	فلس
الامارات	٣	دراهم
عمان	٢٠٠	بيسة
اليمن الشمالي	٢٠٠	فلس
اليمن الجنوبي	٢٠٠	فلس
العراق	٢٠٠	فلس
الأردن	٢٠٠	فلس
سوريا	٢٠٠	قرش
لبنان	٢٠٠	قرش
مصر	٢٠٠	مليم
السودان	٢٠٠	مليم
ليبيا	٢٠٠	درهم
الجزائر		ديناران
تونس	٢٠٠	مليم
المغرب		درهمان
دول آسيا وأفريقيا		نصف دولار امريكي

● في الأمريكيتين وأوروبا واستراليا دولار أمريكي أو ما يعادله .

في هذا العدد

الفهــــــــرس

● كلمـــة الأمـــــة ٤

● (قضية للمناقشة) :
أين الخلل ؟ حول العمل الإسلامي
مراجعـــة وتقويم .... الدكتور **محسن عبد الحميد** ١٠

● حديقـــة الأمـــة ١٤

● بطاقـــة من قـــارىء ١٦

● (من قضايا الأدب الإسلامي) :
الفـــن قيـــد .... الدكتور **صالح آدم بيلو** ١٧

● إعداد الأمـــة لمواجهـــة العدوان
.... اللواء الركن **محمد جمال الدين محفوظ** ١٨

● الشبـــاب المسلم والدراســـات الإنســـانية
.... الدكتور **محمد كمال الدين شوشره** ٢٢

● الآداب الإسلامية وأثرها في آداب الغرب الدكتور **سعد أبو الرضا** ٢٦

● عصـا سيدنا الخضر (**قصـة**) .... **محمد جاد البنا** ٣١

● حتى يكون البناء متيناً .... **محمد الصالح عزيز** ٣٤

● من هم السفهـــاء؟ .... **حنـان لحـام** ٣٦

● مكتبـــة الأمــــة ٣٨

● المخطوط الإسلامي في مكتبة برلين من الاقتناء إلى النشر ٤٠

● أكثر من حوار .. حول الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية [٢] ٤٤

● الإسـلام في ظل المستعمرات الفرنسية في غربي أفريقيا
.... **التيجاني أندوي** ٥٠

● تصريحـــات وأقـــوال ٥٥

● (**الأســـرة المسلمـــة**) :
التحديات التي تواجه الأسرة المسلمة ..... **صلاح الدين المستاوي** ٥٦

● ملاحظـــات على تعقيب .... **عبد القادر العماري** ٦٠

● نحو أدب إسلامي للأطفـــال .... **محمد لغريسي** ٦٤

● (**استطـــــلاع**) :
العلـــوم الإسلاميـــــة
من كتاتيب ابن باديس إلى جامعة الإمام عبد القادر الإسلامية ٦٨

● اللثة .. كيف نحميها ونعالجها ؟ .... الدكتور **نبيل سليم علي** ٧٦

● من وحي الهجرة (**شعـــر**) .... **عبد الرحمن البجاوي** ٧٩

● صفحة من كتاب (الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحـــرب التحـــرير الجزائريـــة) ٨٠

● بريـــد الأمـــة ٨١

● بأقـــلام القـــراء ٨٤

● هـــلال المحـــرم (**شعـــر**) .... **محمد السيدالداودي** ٨٥

● شـــؤون المسلميـــن في العـــالم ٨٦

● مـــع الصحافـــة في العـــالم ٩٢

● **مسابقـة العـدد التاسـع والأربعـين** :
وحل مسابقة العدد السابع والأربعين وأسماء الفائزين ٩٤

● (**خواطـــر وأفكـار**) :
كثيرة طرق الضـــلال وسبيل النصر واحـــد
.... **محمد بدر الدين [ابن حسن]** ٩٦

أيـــن الخلل ؟
حول العمل الإســلامي ... مراجعـــة وتقويم

■ إن عملية المراجعة الحضارية لتاريخنا وتحديد عوامل النكوص والإحجام والنخر في حياتنا تحتاج إلى عقليات واعية تمتلك قدرة فكرية عميقة في الغوص والتحري والنفوذ إلى الأعماق ... ومن هنا فسنكون ساذجين جداً إذا اعتقدنا أن مجرد الصرخات العاطفية، والمواعظ المثيرة، والتظاهرات الآنية، والتجمعات العاطفية الهشة، وتأليف الكتب وتدبيج المقالات تكفي لإحداث التغيير الحضاري ومعالجة النخر الاجتماعي في مجتمع يعاني السقوط الحضاري، كالمجتمع الإسلامي في مشارف القرن الخامس عشر الهجري ... ولكن الذي يُحدث ذلك مخطط إسلامي شامل يدرس أسباب التلكؤ الحضاري، والسقوط الإنساني، والبرود العقيدي، واكتشاف الأمراض تمهيداً لتحديد العلاج الحاسم .... (ص : ١٠) ■

المخطوط الإسلامي في خزائن مكتبة برلين من الاقتناء إلى النشر

■ تعتبر عملية تحقيق التواصل الحضاري والثقافي للشخصية العربية المسلمة منذ نشأة العقيدة الإسلامية وإلى عصرنا الحاضر أهم مقوم لبناء نهضة معاصرة، ولا يخفى ما يمكن أن تؤديه المخطوطات في هذا السبيل، من هنا كانت عملية توزع نسبة كبيرة من حوالي ثلاثة ملايين مخطوطة عربية وإسلامية في دول العالم الغربي تتصل بجذور الصراع الحضاري الذي لا يزال دائراً بين الأمة المسلمة والغرب الذي يسعى بإصرار إلى سلبها مقومات نهضتها وانقطاع تواصلها الثقافي.

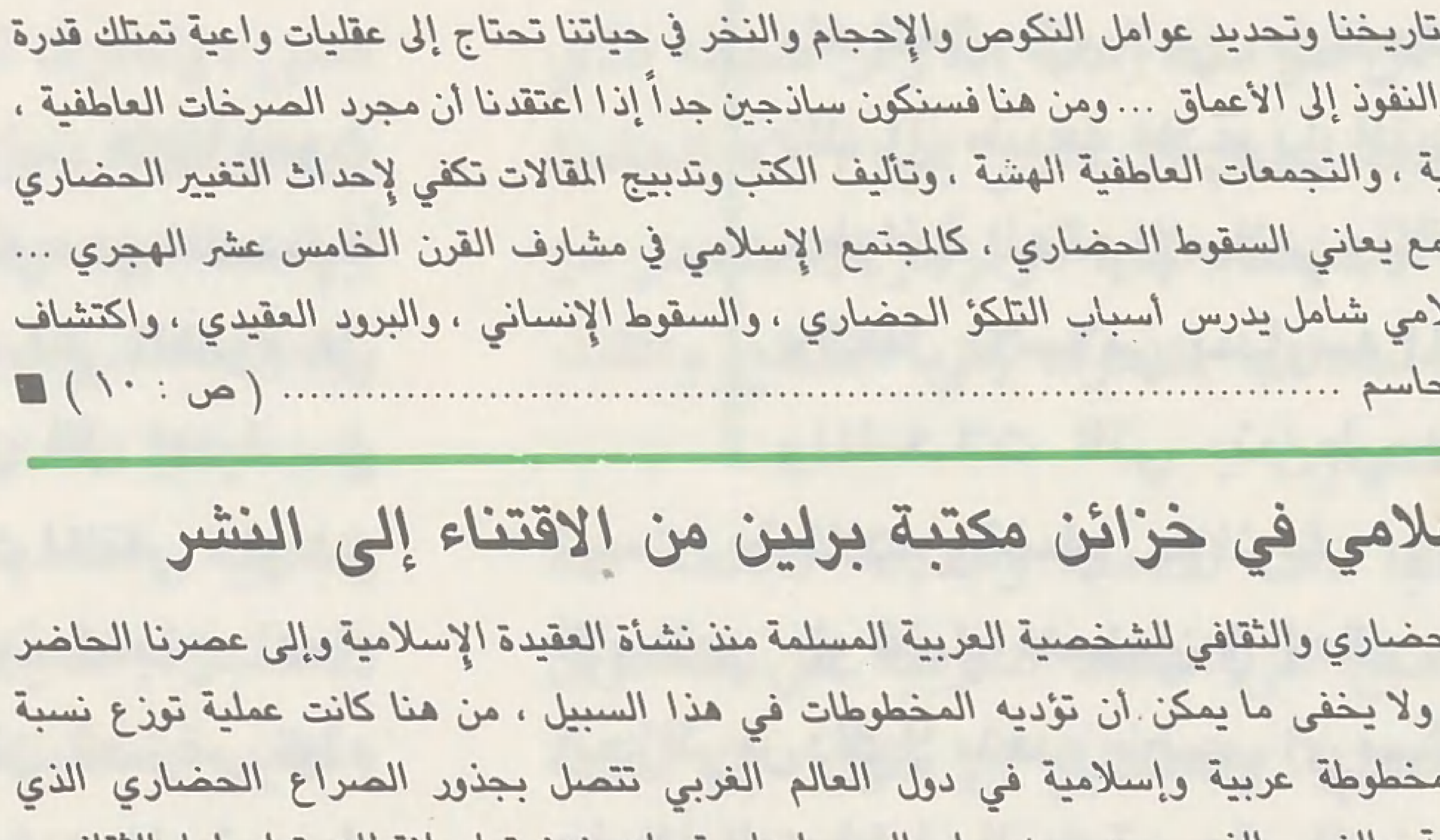

كيف انتقلت هذه الكمية إلى دول الغـرب، وفي أي الفتـرات التاريخية، وكيف يتم اختيار نوعيات معينة منها للنشر، وكيف استخدمت هذه المعارف لرسم المداخل للشخصية المسلمة وتوفر المعرفة لتحقيق القوة؟! .... (ص : ٤٠) ■

من كتاتيب ابن باديس إلى جامعة الأمير عبد القادر

■ رغم ما فعله المستعمر الصليبي في الجزائر من هدم لكثير من المساجد والزوايا والربط، ومن تحويل لمعظم ما ترك منها إلى كنائس وكاتدرائيات، ومن مصادرة لأوقاف المسلمين ... لم تتوقف كتاتيب القرآن الكريم عن اداء رسالتها في المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية للجزائر وتثبيتها وتنميتها، وفي تقديم القادة المجاهدين والعلماء المصلحين، وفي إذكاء روح المقاومة الجهادية ... وبعد الاستقلال كان لا بد من التواصل ومحو آثار الفرنسة مع تطوير في الوسائل، فكانت فكرة إنشاء جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسنطينة التي ستبدأ عملها في هذا العام إن شاء الله (ص : ٦٨) ■

كلمة الأمة

قضايا في ملتقى

□□ عقد في الجزائر العاصمة ملتقى الفكر الإسلامي الثامن عشر ـ الصحوة الإسلامية والحضارة المعاصرة ـ في سلسلة الملتقيات السنوية التي تنظمها وزارة الشؤون الدينية ، وتعتبر من أبرز أعمالها على المستوى الإسلامي العام ، إن لم تكن أبرزها ، حيث إنها بمجموعها أصبحت تشكل رصيداً فكرياً ، ومرجعاً لكثير من القضايا ، وتراثاً حضارياً ذا بعد واضح في الثقافة الإسلامية المعاصرة ...

وقد يستغرب بعضنا هذا الكلام ، ذلك أن الأسوار الإعلامية في العالم الإسلامي ، وقصور وسائل الإعلام عن أداء رسالتها بحق كانا يحولان دائماً دون بلوغ الأهداف المقصودة لمثل هذه الحوارات الفكرية الضرورية لمسلمي اليوم ، ومن وجه آخر فإن عدم إعطاء أعمال الملتقيات قيمتها الصحيحة من حيث الطباعة والترجمة والنشر والإعلام والتوزيع على مراكز البحوث والدراسات والجامعات والمراكز الثقافية يحول أيضاً دون الإفادة منها ، أو اقتصارها على المساحة البشرية الأقل ، ولا شك أن دقة البرمجة والتخطيط والتوفر الإعلامي المناسب اليوم هو الذي يحمي عالم الأفكار ، ويحقق لها سريان الروح ، وإلا كانت المساهمة السلبية بإماتتها وقبرها ...

وسوف لا نعرض هنا للمحاور التي دارت عليها بحوث ومناقشات الملتقى ، وقد كنا عرضنا لشيء من ذلك سابقاً في « الأمة » وإنما الذي يعنينا أن نلقي الضوء على بعض القضايا الأخرى التي لم تكن أقل أهمية ـ في نظرنا على الأقل ـ من بحوث ومناقشات الملتقى ، أو هي تشكل في الحقيقة الشروط الضرورية لنجاح أعمال الملتقى ومقياس نجاحه ... وقبل أن نعرض لهذه القضايا قد يكون من المفيد أن نسارع إلى تسجيل هذه الملاحظة الهامة : على الرغم أن الداعي إلى هذه الملتقيات جهة رسمية ، هي وزارة الشؤون الدينية ، فقد تخلص وبشكل يلفت النظر من الأمور المألوفة في المؤتمرات الرسمية ، أو التي تدعو لها جهات رسمية ، أو تقام في ظل جهات رسمية ، مما يمكن أن يحكمه أو يتحكم به من الاعتبارات والرسوم والأشكال حتى ولو كان مؤتمراً فكرياً وليس سياسياً ، مما يفقد هذه المؤتمرات قيمتها الحقيقية ، ويجعل منها وسيلة دعائية باهتة ، الأمر الذي يجعل المسلم في حالة ارتياب من هذه المؤتمرات ، وشك في فوائدها ، وزهد في حضورها أو الاهتمام بها . فقد آن الأوان لأن يتحرر العلماء والمفكرون من سلطان الجهات الرسمية ، ويتوقف كيل المديح في حياتنا ، والتصفيق للخطأ والصواب على حد سواء ليمكننا بذلك أن نقول كلمة الحق بالتي هي أحسن ، فيكون لها أثرها وتأثيرها ، وقد يكون المسؤول في السلطة أحوج إلى الذي يبصره بأخطائه من الذي يصفق لأخطائه حتى تحيط به خطيئته ؛ لذلك كان شعار علمائنا العاملين : لو كان عندي نصيحة لادخرتها للحاكم ، لأن نفعها يعم الناس . والنصح إنما يكون بالتحذير من الخطأ والتبصير بالصواب .

وهنا لا بد أن نقول : إن ملتقى الفكر الإسلامي عوفي من مرض التملق والمديح ، بل لعل الإصرار على ذلك كان ملاحظاً وواضحاً في أن يتجنب الملتقى هذا المنزلق الخطير ، فليس له من الصفات الرسمية المعروفة إلا أن الداعي له وزارة ...

● إن هذه الملتقيات بمجموعة البحوث والتعقيبات والملاحظات التي تملأ أيامها وتستغرق جهودها ليست ملكاً للجزائر ، ولا تختص بالجزائر وحدها وإنما هي ملك للعالم الإسلامي ، بل للعالم بأسره ... سواء نظر في ذلك إلى طبيعة المدعوين الذين يشكلون إلى حد بعيد جغرافية العالم الإسلامي والأقليات الإسلامية في العالم والعمل الإسلامي بمدارسه المتعددة ، أو إلى القضايا والمشكلات التي يتم طرحها ومناقشتها ، إنها ليست مشكلات وقضايا جزائرية ، وإنما هي قضايا العالم الإسلامي ، أو قضايا المسلمين في العالم ، ولعل نصيب المسلمين في الجزائر من ذلك لا يتعدى نصيب أي مسلم في أي مكان من العالم ، مضافاً إليه فضل الريادة ، وقد تكون هناك خصيصة في هذه الملتقيات تنفرد فيها الجزائر دون بقية المسلمين ألا وهي وضع الطلبة والخريجين والحضور والشعب الجزائري من خلال نقل وسائل الإعلام في صورة الفكر الإسلامي العالمي والتصور الإسلامي العالمي للمشكلات الذي يجتمع لها هذا الملتقى ... ومن الإنصاف هنا أن نبين ، والله تعالى يقول : ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ

الفكر الإسلامي

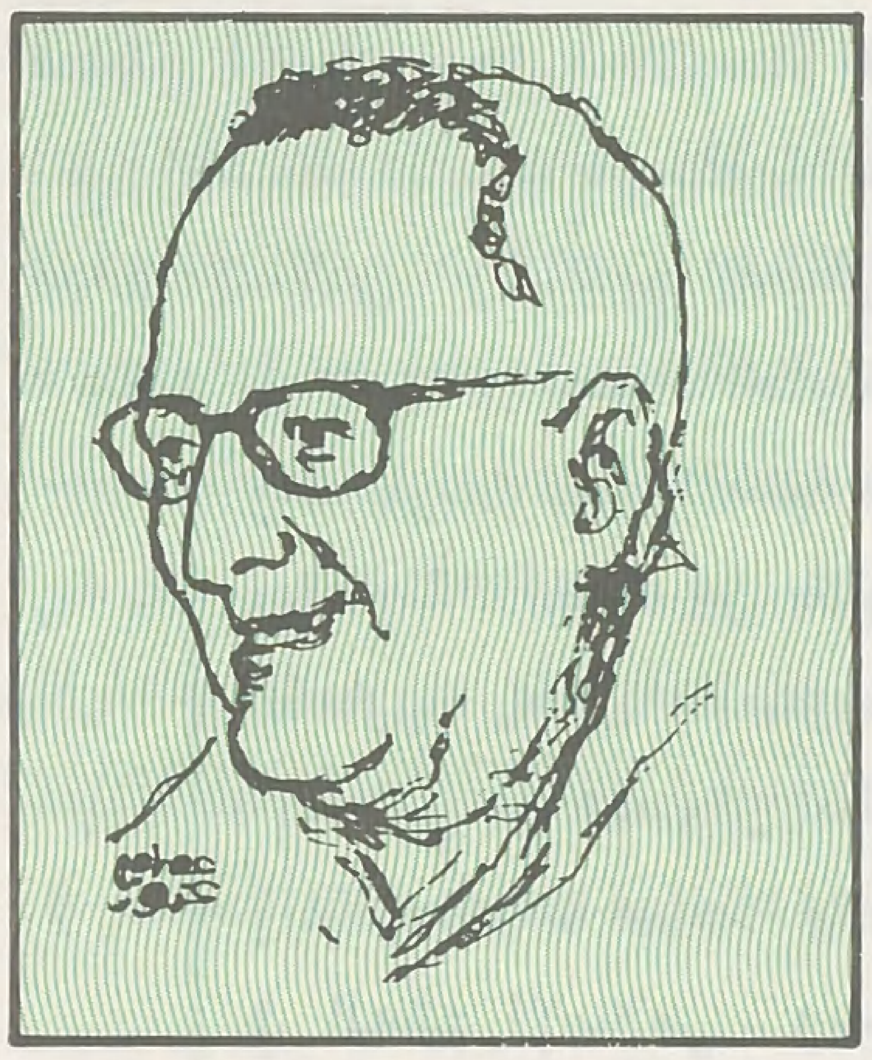

■ مالك بن نبي ■
هل تستفيد الصحوة الإسلامية من منهجه في التعرف على السنن والقيام بالحسابات قبل حلول الكوارث ؟

أَشْيَاءَهُمْ ... ﴾ (الأعراف : ٨٥) أن البذرة الأولى لهذه الملتقيات كانت من زرع المفكر الإسلامي الجزائري مالك بن نبي رحمه الله الذي كان قد نظم مع طلابه بواكيرها الأولى وأسماها « ملتقى التعريف بالفكر الإسلامي » وكان يدعو لها من يستطيع ممن هم مظنة الخير والفهم في العالم الإسلامي بمساعدة إخوانه وطلابه ، وبهذه المناسبة يمكننا أن نقول : إن العاملين للإسلام اليوم لم يحسنوا الاستفادة بعد من فكر مالك رحمه الله ومن منهجه الذي تتأكد يوماً بعد يوم حاجة العمل الإسلامي إليه ، إنه الحاسة الإسلامية التي لا يمكن الاستغناء عنها ، ومراكز الاستشعار عن بعد التي لا بد من استخدامها للتعرف على النتائج والقيام بالحسابات قبل حلول الكوارث .

● من القضايا ذات الأهمية والدلالة البالغة هذا الإصرار الواضح على اعتماد العربية على المستوى الرسمي والشعبي ، ونستطيع أن نقول : إن قضية العربيـة وعملية التعريب سبقت الزمن وخطت خطوات عريضة حتى لتكاد الفوارق تستبين بين سنة وأخرى ، وأذكر أني حضرت ملتقى الفكر الإسلامي العاشر في « عنابـة » قبل ثماني سنوات فرأيت عربية الجزائر الآن غير عربية جزائر الأمس ؛ وقد أصبحت العربية تعم البلاد من الطالب في المدرسة حتى العامل في المصنع والتاجر في السوق . إن سمات العربية والإسلام أصبحت هي الطابع المميز للجزائر بعد الغربة التي ضربت عليها خلال قرن ونصف القرن تقريباً من الاستعمار الذي حاول طمس كل شيء يمت إلى الهوية الأصلية للشعب الجزائري ، ومحاولة إخراجه من تاريخه وعقيدته ...

● يمكن أن نعتبر أن ملتقى الفكر الإسلامي الثامن عشر أشبه ما يكون بالأسواق الحرة في عالم الاقتصاد ، أو المناطق الحرة التي لا تخضع فيها البضائع لأية قيود والتي تقام ضمن بلاد تحكمها الكثير من السدود ... إنه ساحة للحوار والتنفس يجد فيها الإنسان نفسه ؛ والحقيقة أن هذا الملتقى تحقق بقدر من الحرية قد يلفت النظر في عالم المسلمين اليوم . ولا شك أن الحرية هي المناخ الصحيح ، والشرط الضروري لمعالجة مشكلات العالم الإسلامي حتى ليمكننا أن نعزو واقع التخلف وصور العجز والانكسار ، وانعدام الكفاءات وهجرتها ، وغياب القدرات واختفاء ملكات الإبداع مردها جميعاً إلى الاستبداد السياسي الذي يتحكم بكثير من عالم المسلمين ، بل لعل مخططي السياسة الدولية أدركوا هذه الحقيقة في عالم المسلمين وعملوا على تكريسها بوسائل مختلفة وبأشكال شتى ، ولسوف تبقى أزمة التخلف وانعدام الإبداع وعدم تلمس وسائل التقدم من لوازم الاستبداد السياسي لأنه يقتل الكفاءات ويعتمد الولاءات ، ويخادع نفسه بالاستقرار الموهوم ، حتى لو روجت لذلك في بعض الأحيان فلسفات تحتمي بمظلة الإسلام ... ومهما تكن المشكلات التي تترتب على الحرية السياسية والحرية الفكرية ومناخها المعطاء فإنها لا يجوز أن تقاس بمفاسد الاستبداد السياسي والإرهاب الفكري حيث تهدر كرامة الإنسان وتغيب إنسانيته ويلغى حضوره ...

● اجتمع لهذا الملتقى عقل الشيوخ وتجربتهم وحكمتهم وسواعد الشباب وحيويتهم ، فإلى أي مدى يمكن لهؤلاء الشبـاب ، وهم أمانة الأمة وأملها ومستقبلها الإفادة من تاريخ أمتهم ، وحسن وراثة تراثها مع استيعاب ثقافة عصرهم حتى يكونوا أحفاداً شرعيين لأسلافهم وتاريخهم ؟؟ ولعل من أهم وأخطر

قضايا في ملتقى

الأمور هنا : التنبه إلى ضرورة أن يتمتع الشباب في العالم الإسلامي عامة برؤية مستقبلية أكثر شمولية ووضوحاً تتجاوز ما عليه المسلمون الآن ، تتجاوز ما عليه واقع المسلمين اليوم من التناقضات والخلافيات والتمزقات وقيام الدويلات والأمميات وما إلى ذلك ... ولعل مما يبشر بخير ما يلحظه الإنسان من مجموعة الأسئلة التي تقدم بها الطلبة ، وكيف أن الخيط الذي كان ينتظمها جميعاً هو : شد المحاضرين والمعقبين إلى معالجة مشاكل المسلمين الآن ومحاولة تلمس الطريق بصدق إلى بعث إسلامي جديد وصحوة إسلامية راشدة . إن ظاهرة إشراك الطلبة ، وإن كانت هذه الظاهرة لم تتعد السماع والتلقي والمتابعة والاستيضاح بالسؤال ، تحمل الكثير من الخير حيث يتعرف هؤلاء على مواقع الفكر الإسلامي وطرائقه فيعطيهم نوعاً من الدربة والتجربة ويحقق فرصة للتفاعل بين الأجيال خاصة بما يدور من حوارات وأسئلة ومناقشات بعد الجلسات المحددة للملتقى ، وحبذا لو يسمح للطلبة أن يتقدموا خطوة أكبر باتجاه المنصة تتجاوز طرح الأسئلة ليأخذوا حجمهم الطبيعي في الطرح والمناقشة مع ما يمكن أن يترتب على ذلك من مشكلات تبقى لا قيمة لها أمام ما يتحقق من فوائد وما يحلّ من عقد ، وقد يكون هذا ضرورياً كلون من المسح الفكري للتعرف على المشكلات الحقيقية التي يعاني منها الشباب فتؤخذ بعين الاعتبار وتعتمد في جدول المناقشات ، وبذلك يتخلص الملتقى من بعض الجوانب النظرية والمجردة التي قد لا تجدي كثيراً .

● لقد أجمع المحاضرون والمعقبون على اختلاف تفسيراتهم وتقويماتهم ومناهجهم في التناول على أن أزمة العالم الإسلامي وتخلفه في مجال الإبداع الحضاري ، وسقوطه في وهدة التخلف ليس مرده عدم وجود الكفاءات والإمكانات ، وإنما هو الصدام الرعيب بين بعض القيادات السياسية والعاملين في الحقل الإسلامي ، وأن مشكلة العالم الإسلامي سوف لا تُحل ما لم تُحل هذه المعضلة التي تستنزف الطاقة وتحول بين الأمة وتحقيق أهدافها ، سواء في ذلك من رأى أن السبب في القيادات السياسية التي توهمت أن بقاءها واستمرارها مرهون بمطاردة العاملين للإسلام ، لأنهم وحدهم الذين يشكلون الخطر الحقيقي على السلطة السياسية بوحي من أعداء الإسلام في الداخل والخارج وليس بتحقيق العدل وإشاعة الحرية وتحكيم قيم الأمة ؛ أو من أرجع ذلك إلى وسائل بعض العاملين في الحقل الإسلامي الذي قد يرى أن التغيير يمكن أن يتم من القمة .. من قمة العمل السياسي ، وأن الطريق الوحيد لاستئناف الحياة الإسلامية يبدأ من السلطة السياسية ، فيكون الصراع على السلطة ؛ أو من أرجع ذلك إلى مخططات أجنبية ، وأتى على ذكر دلائل على ذلك من تجارب ذاتية واطلاع شخصي من أن ديدن أجهزة المخابرات العالمية تخويف السلطة السياسية في العالم الإسلامي من العاملين للإسلام ، وزرع الأجسام الغريبة في الحقل الإسلامي التي يؤخذ سلوكها دليلاً على تغذية الشكوك ، وبذلك يستمر إنهاك العالم الإسلامي ، وتستديم السيطرة عليه من منطق الحاجة للاستناد إلى الدعم واستمداد التأييد ..

ولقد طرحت لهذه القضية حلول ووجهات نظر متعددة ومتفاوتة ، ابتداء من طلب الهدنة إلى المصالحة إلى التعاون ؛ فالكل مجمعون على أن مشكلة العالم الإسلامي هي هذه وإن اختلفت الوجهات والتفسيرات والمقترحات كما أسلفنا . ولا شك عندنا أن المشكلة قائمة في العالم الإسلامي ، وسوف لا تحل هذه المعادلة الصعبة ما لم يلتق أبناء الأمة من حكام ومحكومين على كلمة سواء فيصل أهل القرآن إلى السلطان أو يصل أهل السلطان إلى القرآن ، وبذلك يوضع حد لانفصال السلطان عن القرآن ، وانفصال القيادة السياسية عن القيادة الفكرية الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ . لقد أصبحت تجربة الصدام غنية أيما غنى ، ولم تدع استزادة لمستزيد ، ولا بد من عودة إلى مراجعة الحسابات ، وإلى مراجعة المقدمات على ضوء النتائج التي انتهت إليها على مستوى القيادة السياسية والقيادة الفكرية على حد سواء ، ويكاد يكمن معظم الحل إن لم يكن كله بيد القيادات السياسية صاحبة السلطة والنفوذ والتنفيذ . فما قيمة الاستمرار السياسي وما جدواه وعطاؤه على مستوى الأمة إن كان يفتقد مقومات استقراره ؟! أو أن هذا الاستمرار سوف لا يكون إلا على حساب أجيال الأمة وكفاءاتها المبدعة ؟! وما فائدة العمل الإسلامي وجدواه إذا حصدت أجياله كاملة ، وهم عقل الأمة وروحها ، نتيجة الإقدام على معارك غير محسوبة ورؤية غير واضحة ، وقد لا يكون للإسلام فيها نصيب في كثير من الأحيان ، وإنما نصيب المسلمين فقط أن تصفى الحسابات بدمائهم ، وأن يظهرهم أعداؤهم بأن أهدافهم تنتهي عند السلطة السياسية فقط ، وبذلك يخاف أصحاب السلطان على سلطانهم وتبدأ المعارك ؟!

● حضور المرأة المسلمة ومشاركتها في أعمال الملتقى كان ظاهرة تلفت النظر فعلاً ، يلمح الإنسان من خلالها الاعتزاز بالثقافة الإسلامية ، والتشبث بالزي

الفكر الإسلامي

الإسلامي ، والالتزام بالخُلُق والحياء الإسلامي ؛ والجدية في المتابعة وطرح الكثير من التساؤلات الهامة ، ومتابعة المحاضرين والمعقبين بعد الجلسات الرسمية للملتقى ؛ لكن الأمر المحزن حقاً أن المرأة المسلمة ما تزال إنسانة مُستهلِكة فكرياً تأخذ مكانها في صالات التلقي ولم تصل بعد إلى مستوى المرأة المسلمة المنتجة فكرياً في أكثر من مجال ، فإلى متى تقف القيود والسدود والعادات والتقاليد التي ليست من الإسلام في شيء أمامها بحجة أن ذلك من الإسلام ، ويسمح للمرأة العابثة بالقفز من فوقها ؟! لماذا لا تتقدم المرأة المسلمة خطوات أخرى باتجاه المنصة والمجلة والصحيفة والكتاب ، وكلها آفاق لا تتعارض مع الضوابط الشرعية ، بل هي ساحة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي هي مسؤولية المرأة كما تطلب من الرجل ؟! ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (التوبة : ٧١) .

ولشد ما لفت انتباه المشاركين في الملتقى تلك الطالبة التي اخترقت الصفوف وتقدمت إلى المنصة بكل اعتزاز لتقول كلمة تلخص فيها معاني كثيرة ، وترد على موجة عاتية من العبث بالمفاهيم ، من ضرورة أن الذي يتكلم بالإسلام ويفتقر الحد الأدنى للسلوك الإسلامي سوف لا يعتد بكلامه ، فالتربية إنما تكون بالقدوة وليست بالفلسفة ، وأن اللباس الإسلامي لا يشكل عائقاً أمام التقدم العلمي والمعاصرة الحضارية ذلك أن القضية أولاً وقبل كل شيء مرتبطة بالمواهب والقدرات وليست باللباس ، ولا أدل على ذلك من أن الطالبة الأولى في الثانوية لهذا العام استلمت الجائزة من رئيس الدولة ورأيناها جميعاً بوسائل الإعلام كيف كانت ملتزمة باللباس الإسلامي ، وهذا يكفي رداً على التحلل باسم الدعوة إلى التحرر .

● الصحوة الإسلامية ، موضوع الملتقى ، بمظاهرها المختلفة وتياراتها الظاهرة والخفية ليست طارئة أو عارضة ، كما أنها ليست رد فعل لظروف تاريخية معينة أو أوضاع اجتماعية أو نكسات عسكرية ، وإنما هي امتداد طبيعي لرسالة هذه الأمة جاءت من العمق التاريخي وامتدت إلى الجذور الأصيلة لعقيدتها والشمولية الكاملة لها ، ولا ينكرها ويتنكر لها إلا منكر أو جاحد ... وإنها تعني فيما تعني استمرار التواصل الحضاري من خلال الطائفة التي ما تزال قائمة على الحق وإن اعتراها المد والجزر ، ولا شك أنها اصطفت خيرة شباب الأمة ونخبتها المفكرة ، ولقد دلت التجارب على أن رجالها من أصدق الناس قولاً ، وأكثرهم وطنية ، وأرقاهم خُلُقاً ، وأبصرهم بوسائل الاستعمار وأقدرهم على مواجهته ... فالصحوة طاقة فكرية وحركة تغييرية إصلاحية ومدرسة خلقية إذا أحسنا الاستفادة منها يمكن أن تعود بالخير العميم على الأمة والبشرية ، ولهذا فالمطلوب أن توفر لها حرية التفكير وحرية التعبير ، وتعطى الفرصة لتجربتها الميدانية ، ويؤخذ بيدها إلى سبيل الرشاد ... والخطورة كل الخطورة أن تكتم أنفاسها ، ويدمر أشخاصها وأفكارها ، ذلك أن مثل هذا الأمر سيكون نذير خطر على من يعترض سبيلها وبلاء يصيب المسلمين عامة .

إن حسن التعامل مع الصحوة : عقل الأمة وساعدها ، يمكن أن يختصر لنا فجوة التخلف ، ويختصر لنا كثيراً من الوقت الذي نحتاجه لنستعيد مكاننا في السلم الحضاري ، ولقد حازت الجزائر في هذا قصب السبق عندما اختارت لملتقاها الثامن عشر عنوان « الصحوة الإسلامية والحضارة المعاصرة » إنه الوفاء لدماء المليون شهيد الذين قضوا في سبيل العقيدة الإسلامية ، هذا الوقود الضخم الذي لا يمكن أن يتقدم فداء لأهداف قريبة أو باهتة وإنما كان ينطلق من رؤية إسلامية عريقة الجذور ، دفعت به إلى التضحية ، وليس من السهل على أي إنسان تجاهل ذلك أو طمسه ؛ فهل يتابع جيل الصحوة بناء الاستقلال على خطوات الجيل المسلم نفسه الذي ضحى لصناعة هذا الاستقلال ؟ وإن الذين يقرؤون تاريخ الأمة الإسلامية وتضحياتها قراءة خاطئة هم الذين يحاولون عبثاً إخراجها عن عقيدتها وتراثها إلى لون من التبعية الثقافية لا يلبث أن يسقط .

ولا شك أن ملتقى الفكر الإسلامي كان تجربة رائدة على هذا الطريق ، ولا نقول : كاملة ، وإنما تكمل وتتكامل شيئاً فشيئاً ، ولعلها تكون حافزاً لسائر بلاد المسلمين ... وقد تكمن الخطورة في النظرات السلبية التي تفوت الكثير من عناصر الخير فلا تراها فتقع في البخس الذي نهى الله عنه ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ .

فالملتقى ينطوي على خير كثير كبير سواء في محاضراته وحواراته ، أو في اللقاءات الجانبية التي تتم مع الطلبة والباحثين ؛ واكتشاف بعض جوانب النقص يجب أن يكون حافزاً على بلوغ الكمال والاستكمال وليس مساهمة سلبية في الإحباط . □□

أين الخلل؟

قضية للمناقشة

حول العمل الإسلامي

مراجعة وتقويم

بقلم : الدكتور محسن عبد الحميد

■■ من الخطأ الاعتقاد أننا نستطيع أن نضع أيدينا على سقوطنا الحضاري العام بسهولة ويسر ، ذلك لأن المراجعة الحضارية لتاريخنا وتحديد عوامل النكوص والإحجام والنخر في حياتنا تحتاج إلى عقليات واعية تمتلك قدرة فكرية عميقة على الغوص والتحري والنفوذ إلى الأعماق ودراسة الظواهر المتشابهة والمتنافرة ؛ لاستخراج الأسباب الكامنة وراء أحداث التاريخ الإسلامي في ضوء المذهبية الإسلامية الشاملة والإدراك الموضوعي للسنن التي تقف وراء حركة الإنسان وتطورها نحو الأرقى أو الأردأ .

بناء على ذلك فمن المستحيل تغيير مسار مجتمع ما ما لم يبدأ المخططون من البنى التحتية والتغلغل في جذورها ومساراتها ومحاولة التعامل الإيجابي معها ، كالجراح الماهر الذي لايهمه الوقت الذي تستغرقه العملية الجراحية بقدر مايهمه الوصول إلى أبعد نقطة في مكان الإصابة لاستئصال الأورام الخبيثة المتجذرة في الخلايا البعيدة .

ومن هنا فسنكون ساذجين جداً إذا اعتقدنا أن مجرد الصرخات العاطفية . والمواعظ المثيرة ، والتظاهرات الآنية ، والتجمعات العاطفية الهشة ، وتأليف الكتب وتدبيج المقالات ، وإقامة المواسم والمهرجانات تكفي لإحداث التغيير الحضاري ومعالجة النخر الاجتماعي في مجتمع كالمجتمع الإسلامي في مشارف القرن الخامس عشر الهجري .

إن سقوط المجتمع الإسلامي لم يكن استجابة صارمة لتحدي العوامل السلبية في القرون الأخيرة فحسب ، على الرغم من معاولها التاريخية الرهيبة في الهدم ، وإنما أضيفت إليها مخططات رهيبة فرضها عليه أقوى الأعداء التاريخيين عسكرياً وحضارياً ■■

فبجانب عوامل الجمود والخمود في العلوم الإسلامية التي عطلت العقل المسلم واخرجته من صراع عالم الشهادة إلى جدال عالم الغيب ، وتسخير الإنسان المسلم من قبل الحكام الطغاة والأمين وانصاف العلماء من مُوَقِّفِي التاريخ ، وكهنوت الطُرقية الخرافية ومظالم المتحالفين معهم من ظَلَمة الملاك ، ظهرت عوامل الإنشاء الاستشراقي المزيف والتنصيري المخطط والسقف الثقافي الاستعماري الذي ضرب على سماء العالم الإسلامي والاحتكاك الطبيعي بمراكز الحضارة الغربية المتقدمة بشعاراتها الإنسانية وادعاء العقلانية وإنجازاتها العلمية وإغراءاتها الجنسية .

إذن فمثل ذلك المجتمع الساقط عقيدياً وحضارياً وإنسانياً كان يحتاج إلى مخطط إسلامي شامل لدراسة اسباب تلكئه الحضاري وسقوطه الإنساني وبروده العقيدي ، من اجل اكتشاف الأمراض التي نخرت حياته وفتكت ببنيانه التحتي تمهيداً لتحديد العلاج الحاسم والبدء به من نقطة البداية ، بلا تشنج ولا انفعال ولا استعجال ، ولا إطلاق شعارات ، ولا مواجهات فوقية ولا اصطدامات دموية ، ولا مطالبة بالتقويم والتعديل ، من كائنات متهرئة منخورة ملغومة انتجتها عوامل المحق التاريخي وافرزتها كهوف التآمر الماسوني واوكار الحقد الصليبي ومراكز المؤسسات العلمانية الحديثة .

■ ميزة هذه المناقشة أنها تفسح المجال لوجهات النظر المتنوعة ، حتى المتعارضة منها أحياناً ، ليتحقق للمسلمين بشكل عام ، وللعاملين في الحقل الإسلامي بشكل خاص رؤية خصبة لجميع جوانب الأزمة التي يعاني منها الواقع الإسلامي .. وليبصروا ما يدور بعقل النخبة ، أو من يسمون بالقيادة الفكرية ، من طرائق للعلاج .

ونعود إلى التذكير بأن لامجال للتخوف على القضية الإسلامية من الحوار وبيان العلل والأمراض التي يعاني منها الجيل المسلم بحجة أن ذلك يسهل على الأعداء مهمتهم في حربهم للإسلام والمسلمين ، وإنما التخوف من إلغاء الحوار واستبقاء الأمراض التي تمكن للعدو منا على كل حال ... ولو أخذ المسلمون هذا في اعتبارهم تاريخياً لتعطلت كل حسبة ، وانطفأت كل فاعلية ، وغابت كل رقابة ، ولانقلب العمل الإسلامي إلى لون من الكهانة وضرب من التعصب يساهم في الابقاء على الأخطاء ، وحماية الانحراف .. والله تعالى يقول : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ...﴾ (التوبة : ٧١) ■

[التحرير]

تغير جزئي وصحوة

ومن الأسف ان نقرر ان ذلك التخطيط الحضاري الإسلامي الشامل لم يولد بكل ابعاده في مواجهة السقوط الاجتماعي والحضاري الرهيب في بلاد المسلمين ، بل ظهرت صرخة إسلامية محدودة بدأها جمال الدين الأفغاني وظن أن إثارة الثورة في نفوس المسلمين على الحكام هو منطلق التغيير . وعلى الرغم من انه كان يؤمن عقلياً بالتغيير الشامل في حياة المسلمين ، غير انه ركز جهوده على الأول وأهمل التركيز على الثاني ، فانتهى به ذلك المنهج إلى عدم التخطيط لبناء قاعدة إسلامية قوية في مجتمع ما ، فتبعثرت جهوده وعبقريته ، ولم يكن بمقدور اي مجتمع إسلامي يومئذ ان يستفيد منها . والذين جاؤوا من بعده من تلامذته والمتاثرين بافكاره حاولوا نشر حقائق الإسلام عن طريق التربية والتعليم ومن خلال قنوات الإعلام المتوفر يومئذ ، فانطلقت بدايات الوعي الإسلامي في مجتمع كان المستعمرون واذنابهم يخططون لإبعاده النهائي عن الإسلام .

ومن هذا المنطلق فإنه لم تظهر محاولات جادة في العالم الإسلامي لاتباع سبيل التخطيط لإعادة الوعي الشامل إليه في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري . ولما ادرك الدعاة المخلصون بعد ذلك ضرورة التخطيط الجدي لنقل العالم الإسلامي من حالة السقوط إلى حالة القيام والشعور بالذات وتحمل المسؤولية ، تمهيداً لاستئناف الحياة الإسلامية الحقيقية ، لم يات ذلك التخطيط قوياً محصّناً ، وإنما ظلت موجاته تتوسع في إطار الصحوة الإسلامية العامة . فالعمل الإسلامي على الرغم من الخدمات العظيمة التي قدمها للإسلام والمسلمين ، لم يزل يعيش في عصر الصحوة ولمّا ينتقل بعد إلى طور الدعوة الحقيقية المتاصلة المتجذرة المنظمة بمعناها الإسلامي الدقيق العلمي الحديث .

وقد يقول قائل : ولكن هذا إنكار لما قام به العمل الإسلامي من تثقيف الجيل الإسلامي وإحداث الهزة في النائمين ، وتربية كثير من الشباب على الاعتزاز بالعقيدة الإسلامية ، والتمسك بالفضيلة والأخلاق والتضحية بالمال والحياة في سبيل الوصول إلى تجديد شباب الإسلام وإنقاذ المسلمين من الهاوية التي سقطوا فيها .

اقول : لايجوز لعاقل منصف ان ينكر تلك الحقائق - وغيرها كثير - ولكنني يترجح عندي ان ما تمّ إلى الآن كان إرهاصاً لما يجب ان يقوم ، وكان مقدمات ضرورية لم يكن بالإمكان غيرها في ظروف سقوط المجتمع الإسلامي والتعقيد الحضاري العالمي وتقدم فنون التآمر على الإسلام . ومن الخطأ الفادح الاعتقاد أن ما تم هو المطلوب ، وان الصحوة العامة هي الدعوة الحقيقية ، ولأنها قد اخفقت واعيقت وحوربت وتمزقت ولم تتحول إلى تيار حضاري عارم ، إذن انتهى كل شيء ، ولم يعد بالإمكان أحسن مما كان .

أين الخلل ؟

إن رواد العمل الإسلامي الأوائل وتلامذتهم المخلصين انطلقوا من ظروف عصرهم وواقعهم ومبلغ علمهم بما يجري في هذا العالم ، فاحدثوا يقظة وصحوة ، وقذفوا بقضية الإسلام إلى السطح من اعماق الحياة النَّخِرَة ، ومن خلال مؤامرات الأعداء المنطلقين من الواجهات العلنية والأوكار السرية فقدموا عملاً عظيماً وبرؤوا ذمتهم امام خالقهم ، وقدم الذين استحقوا الشهادة حياتهم رخيصة في سبيل الله تعالى .

فالخلل الذي نلاحظه اليوم في العمل الإسلامي ليس منهم ، وإنما فينا عندما نحول المقدمات إلى نتائج ، وعندما نوقف عجلة الزمن ، ولا نعي السنن ولاندرك التجدد ، ولا نغوص في العمق ولا ننفذ إلى نسيج القضية بشموليتها الدقيقة المتشابكة مع احداث العالم المعاصر .

إن اكتشافنا الخلل من منطلق تغير الزمان وتجدد الحياة ، وظهور الحقائق الجديدة ، ومرارة تجارب السنين لايعني اننا نضع اهل الله من الشهداء والصديقين من رواد العمل الإسلامي العظام في قفص الاتهام كما قد يفهم بعضهم ، وهم يحاولون ان يعيشوا على جهاد القوم ويكتفوا بما قدموا من تجديد وفكر وعمل ، متجاهلين اسباب تعثره ونكوصه ، وهذا اخطر داء يمكن ان يصيب حركة حضارية تريد التغيير والبقاء وإعادة صيغ الحياة المنشودة من جديد ، ولاسيما إذا كانت الحياة هي الحياة الإسلامية الحقيقية في مجتمع مضعضع منهار ممزق مقلد مخدر مستَلب .

إذن فاولئك الذين يعتقدون ان العمل الإسلامي انتقل من طور إلى طور : من طور الدعوة والتخطيط إلى دور الصحوة ، مخطئون في رايي ، لأن العمل الإسلامي مايزال في طور الصحوة وليس في طور الدعوة الشاملة بمعناها الإسلامي الحق ومعناها العلمي الحديث .

ومن الممكن الانتقال إلى مرحلة الدعوة الحقيقية الشاملة إذا قمنا بنقد ذاتي شامل منظم وسلطنا الأضواء عبر دراسات جماعية على العقبات والأمراض التي جعلت من العمل الإسلامي في بلاد الإسلام كلها عملاً مبعثراً ، بلا تخطيط دقيق وتدبير ذكي ، ولامعرفة أصيلة بسنن التغير في الوجود ، ولا إدراك عميق لطبيعة العصر .

أمراض وعقبات :

ونحن في هذه الصفحات ، وبلا تردد ، وبمنهجية إسلامية صارمة في نقد الذات ، نحاول ان نضع ايدينا على بعض من تلك الأمراض والعقبات التي تمكنت من حفر اخاديد في جسد العمل الإسلامي ، دون ان يكون قصدنا لفت النظر إلى بلد أو جماعة أو مذهب أو طائفة .

الأول :

إن ظروف المجتمعات الإسلامية الأليمة في قرننا الحالي دفعت المخلصين من الحاملين لهموم الإسلام وآلامه إلى مواجهة الخراب الذي اصاب

حياة المسلمين بصراحة وبراءة وانفعال ، وغلب عليهم أسلوب الوعظ والخطابة والمحاربة في جبهات كثيرة ظنوا أن عليهم أن يلجوها ويواجهوا ثغراتها دفعة واحدة حتى يصلوا إلى إصلاح المجتمع الإسلامي باقرب زمن ممكن لعدم تحملهم رؤية الأمة وهي تتمزق أمامهم شلواً شلواً ، وتسير في طريق بعيد عن طريق الإسلام .

واليوم نرى أن مثل هذا الأسلوب كان خطأ من وجهين :

أما الوجه الأول : فلقد كانت جراحات المجتمع الإسلامي عميقة إلى درجة انها كانت تحتاج إلى مباضع الجراحين لا إلى صرخات الباكين الذين كانوا يريدون جلب الأنظار إلى دم المريض وهو يسيل بلا إمكانية علاج ولاغرفة عمليات ولا طبيب .

وكان الأمر يحتاج إلى التخطيط الهادف والدراسة المتانية وحسابات معارك الإقدام والإحجام بدقة ، والتعمق في دراسة أوضاع العالم المعاصر في الداخل والخارج وعدم كشف الأوراق كلها دفعة واحدة في منصات الخطابة وصفحات الجرائد والكتب واللقاءات العامة ..

أي أن الصحوة الإسلامية في هذا العصر لم تمر بالعهد المكي تربوياً وإنما قفزت بسرعة فائقة من محاولة تصحيح عقائد المسلمين وتربيتهم تربية إسلامية سليمة واعية إلى المطالبة الصريحة بتطبيق حدود الإسلام والتمكين لأحكام شريعته في جميع مجالات الحياة . دون أن تكون هنالك قاعدة جماهيرية عريضة تؤمن بذلك وتدعو له ، بل تفرضه بالطرق العصرية المعروفة على واجهات الحياة كلها .

والآن ؛ وبعد نصف قرن مضى على بدء العمل الإسلامي الجاد في العالم الإسلامي ، عندما نقرأ الوثائق التي نشرت والأبحاث التي أعدت ، والمذكرات التي كتبت والمؤامرات التي حيكت من قبل أعداء الإسلام والمسلمين نوقن كم كان ذلك الأسلوب خطأ بحيث ألقى المخلصون انفسهم من خلاله إلى أفواه الذئاب الجائعة .

وأما الوجه الثاني : فإن المخلصين من قادة العمل الإسلامي ، ظنوا أن مجرد أن يكون المجتمع إسلامياً في الظاهر يكفي أن يرجع إلى طريق الحق بتذكيره بدينه ونبيه وأخلاقه ، ولم يدرك الجميع أن هذا الكون يرتبط بسنن إلهية لاتتخلف ولا تتبدل وان المؤمن والكافر سواء أمامها ، وان للحضارات أسباب سقوطها وقوانين إحيائها وتجديدها ، وان لكل أمة أجلها في ذلك ، وان الزمن قد تبدل تبدلاً عظيماً في مشاكله وهمومه ومظاهره وتعقيده ، والقوى الخفية التي تحركه ، وان مجتمعاتنا قد تلبست بالحياة الحضارية الحديثة الخانقة في عشرات من السنين ، وان يداً تبني والف يد تهدم ، وان الهدم أسرع في هذا الوجود من البناء ، وان معظم الناس - ولو حرص المخلصون - ليسوا بمؤمنين ، وانهم ينهارون من أول الطريق ويسقطون في أقرب صدمة ، ويلوون أعناقهم لأي طاغية يصفقون ويهرجون ، واننا نقرأ ذلك في كتاب ربنا وسنة نبينا ونتعلمه عندما ندرس التاريخ باستقراء أحداثه واستخلاص سننه .

الثاني :

لاشك أن كل تغيير حضاري يريد أن ينقل المجتمعات من حال إلى حال لابد له من وضوح رؤية ومنهج متكامل يستنبط من أوضاع الحياة الاجتماعية ، ويخطط لكيفية البدء ويرتب الأولويات بصرامة ومن خلال حسابات دقيقة جداً .

إن العمل الإسلامي يخضع لهذا القانون ، تماماً كسائر مناهج التغيير ، ذلك لان الإسلام بجوهره وملامحه ، ولاسيما في أحوال سقوط مجتمعاته ، بحاجة إلى ذلك أكثر من أي منهج تغييري آخر ؛ لكثرة العقبات والأعداء .

ومن المؤسف أن اقول : إن الذي وقع في تاريخ العمل الإسلامي غير ذلك .

فالعمل الإسلامي في هذا العصر لم تكن له أولويات من أول ظهوره ، فهو يريد طرد المستعمرين ، ومقاومة الحكام العلمانيين ، والوقوف أمام الفساد الاجتماعي والظلم الاقتصادي ، وتطبيق شرائع الإسلام بكل أبعادها ، في الوقت نفسه ، في مجتمع ابتعد فيه كل شيء عن الإسلام فرداً وأسرة وجماعة .

اي أن العمل الإسلامي أراد أن يعمل في مساحة أكبر من حجمه بعشرات المرات ، وهذا كان سبباً أساسياً في إخفاقه وتراجعاته وإلقاء نفسه بين مطاحن الأعداء .

لقد كان العمل الإسلامي في حالات معينة من الغفلة وسذاجة التقدير بحيث جرفته الظروف المحلية والعالمية ، فاستُدرج إلى معارك لم يكن معداً لها ، فضرب ضربات قوية معيقة مزقته وزعزعت كيانه وحيل بينه وبين بناء المجتمع الإسلامي بالقوة والعنف ، ثم بالتخطيط المعاكس من موقع التسلط المحلي والتعاون الأممي ، بحيث كانت النتيجة الفادحة تربية أبناء الجيل بعد ذلك في ظل الأفكار المادية والعلمانية ، أي أن العمل الإسلامي تحول في مثل هذه الحالة سلبياً ومن دون قصد إلى تكريس حياة البعد عن الإسلام من حيث أراد أن يصوغ المسلمين صياغة جديدة في ضوء عقيدته وشريعته .

إن الراي الذي يقول بان الشرع يوجب علينا الا نسكت عن أية مخالفة ، راي لايستند أبداً إلى فهم دقيق لأصول الشريعة ومقاصدها في الحياة ، ونحن نتساءل هنا : ياترى ما المقصد الأساسي من ظهور العمل الإسلامي ؟ أليس من أجل هداية المجتمع وصياغته صياغة إسلامية تعيد إليه أصالته وعزته ونمطه الحضاري ؟

فإذا كانت الخطوات في هذه السبيل لا تحقق ذلك الهدف النبيل ، فلماذا نقدم عليها ونقحم انفسنا في منعطفات حادة متعبة مهلكة تبعدنا عن غايتنا اكثر من ذي قبل .

وما تزال مشكلة المشاكل في العمل الإسلامي إلى الوقت الحاضر عدم فهم هذه الحقيقة الجوهرية وعدم الاستفادة من القواعد الأصولية التي تضبط حركة العقل المسلم وتضعها على الطريق الصحيح الذي يؤدي إلى تحقيق الغاية المنشودة .

الثالث :

إن بقاء العمل الإسلامي في إطار تعميمات ثقافية إسلامية عامة وعدم الاهتمام بالدراسات

■ العمل الإسلامي على الرغم من الخدمات العظيمة التي قدمها للإسلام والمسلمين لم يزل يعيش في عصر الصحوة ولمّا ينتقل بعد إلى طور الدعوة الحقيقية بمعناها الإسلامي الدقيق .

■ من الأسف أن نقرر أن التخطيط الحضاري الإسلامي الشامل لم يولد بكل أبعاده في مواجهة السقوط الاجتماعي والحضاري الرهيب في بلاد المسلمين .

الأصولية العميقة التي تظهر مرونة الشريعة وتجدد الفقه ، وإهمال دراسة طبيعة العصر وثقافته وتجدد الفكر والحياة فيه ، والبعد عن إدراك المنهج الشامل لحركة التغيير الاجتماعي في الإسلام ، حرمه من وضع فكر المراحل المتتابعة في ضوء تغيرات الحياة وبروز المشاكل المتجددة ، والهموم المتنوعة ، الأمر الذي لم يستطع به أن يقنع تيار الحركة الاجتماعية الجديدة بواقعية مذهبيته العامة ذات السمات الخالدة التي تحتاج إلى استنباط الحلول المرحلية لقضايا المجتمع في كل عصر حسب مرحلته .

وهكذا بقي العمل الإسلامي مشلولاً من الناحية الواقعية ، بلا منهج محدد مرحلي للحياة والحركة المدروسة المتفق على تفاصيلها بكل دقة .

وهذا المرض الخطير لا يزال سارياً إلى الآن فقد سأل أحد الصحفيين أحد رجال الدعوة الإسلامية البارزين : ماذا عن سياستكم في حل المسألة الاقتصادية ، وهل تملكون برنامجاً محدداً لهذا الأمر ؟ أجاب : يمكننا في ظرف أسبوع أن نعد مثل هذا البرنامج بواسطة الاقتصاديين الإسلاميين (المجلة عدد ١٤٠٤/٢٢٦هـ) ولما قرأت ذلك تألمت غاية الألم على مصير العمل الإسلامي وهو يواجه أخطر قضية في حياة الجماهير الإسلامية بل الإنسانية في القرن الخامس عشر الهجري بهذا الحجم .

أسبوع واحد لوضع برنامج اقتصادي إسلامي مرحلي ؟

إنني أقول لذلك الفاضل : إن شهراً واحداً لايكفي لترتيب دعوة مدروسة مخططة لعدد من الاقتصاديين المختصين كي يجتمعوا في بلد ، وإن ردودهم على مثل تلك الدعوة تحتاج في الأقل إلى شهرين ، ولابد بعد تحديد موضوع الندوة من إعطاء شهرين في الأقل ، كي يعد كل منهم بحثه أي : أن التحضير لعقد ندوة اقتصادية إسلامية ، لايمكن أن يتم قبل أربعة أشهر ، ثم إن هؤلاء سيجتمعون وأمامهم دراسات اقتصادية إسلامية متنوعة ، متعددة المذاهب والمناهج ، فهل سيتفقون خلال أسبوع واحد على تفاصيل المنهج الاقتصادي الإسلامي لحل مشاكل الحياة الاقتصادية المعقدة المزمنة ؟ إنني أشك في ذلك كثيراً ... وما تزال تجربة شخصية في الإطار نفسه ماثلة أمام عيني ، فلقد دعيت لحضور مؤتمر الفقه الإسلامي العالمي الذي عقد في جامعة الإمام بالرياض عام ١٣٩٦هـ ، واشتركت في لجنته الاقتصادية التي تفرعت منه ، وأذكر من الذين اشتركوا فيها « الدكتور محمود أبو السعود والدكتور عيسى عبده إبراهيم رحمه الله والأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي والأستاذ صالح عشماوي رحمه الله والشيخ عبد الجليل عيسى عضو لجنة الفتوى في الأزهر والعلامة المغربي الفاروق الرحالي ومفتي باكستان ورئيس رابطة العلماء في الهند وآخرين غيرهم من المختصين » وعبر أسبوع كامل من النقاش صباحاً ومساءً في تحديد الخطوط العامة للاقتصاد الإسلامي ، لم تستطع اللجنة إلا أن تتفق على الحد الأدنى من القضايا العامة . ولقد تعددت بنا السبل في تلك المناقشات ، فبين داع لتكريس الاتجاه الجماعي في الاقتصاد الإسلامي ، وبين مدافع عن ترسيخ الاتجاه الفردي ، وبينما ذهب بعضهم إلى العمل بفوائد بعض المعاملات المصرفية للضرورة لحين قيام اقتصاد إسلامي متجانس ، حرم ذلك الآخرون تحريماً قاطعاً ، وكنت أقول يومئذ : يا للمصيبة ! كل هذه المناقشات في تحديد الأسس العامة ، فكيف تكون الحال ، وكم من الأشهر نستغرق إذا دخلنا في عشرات التفاصيل الاقتصادية في حياتنا الواقعية المرحلية ؟

وهكذا نجد أن عشرات الكتب الحديثة ومئات الدراسات والمقالات المنشورة في الاقتصاد الإسلامي لم تضعنا على خط واحد لكثرة الآراء والاجتهادات التي أنتجتها مرونة قواعد الشريعة ففتحت المجال أمام المجتمع الإنساني لاختيار منهجه المرحلي وتطبيق الحل المناسب في الزمن المناسب . غير أن استخلاص المنهج الموحد واختيار الاجتهاد الواحد المناسب بين تلك الاجتهادات يحتاج إلى وقت كاف إذا كنا نريد أن نكون مخططين علميين ندرس الواقع من خلال تطوره السريع في ضوء المذهبية الإسلامية ، والاجتهادات الفكرية المتنوعة والإحاطة بواقع التطور الاجتماعي وتسخير العلوم الإنسانية الحديثة للقيام بهذه العملية الحضارية الإسلامية . ولا ينعدم المنهج المرحلي في الحياة الاقتصادية في ساحة العمل الإسلامي فحسب ، وإنما يتجاوز ذلك إلى قطاعات الحياة الإنسانية كافة .

فعلى سبيل المثال : في النظام السياسي الإسلامي ، ما تزال الدراسات والكتب التي تصدر من نصف قرن في هذا المجال من أرباب الفكر الإسلامي تعيد لنا كثيراً من الأفكار التي فرضها الواقع التاريخي الظالم في مجال الحكم والسياسة على الفكر الإسلامي ، وسجلها الفقهاء ، من حيث إنها كانت تعبر عن واقع المراحل التي مروا بها ...

وفي هذا الموضوع ، وعلى سبيل المثال أذكر النظرية الخاطئة التي شاعت في الفكر الإسلامي ، والتي تقول بأن الشورى ليست ملزمة للإمام أو الخليفة أو أمير الجماعة حتى وإن جاء من قبل أكثرية أعضاء مجلس الشورى ، وعلى الرغم من وضوح هذا الإلزام في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وواقع حياة الصحابة وسنن العقل والاجتماع الإنساني ، وعلى الرغم من أن تلك النظرية لم تنتج في التاريخ إلا الطغيان والظلم والفساد والانفراد بالرأي وفرض سيطرة الفرد ، وعلى الرغم من أن الحياة قد تطورت وانبرت الإنسانية في أرض الله كلها تطالب باستعادة إنسانيتها المهدرة وإرجاع حقوقها الضائعة والقضاء النهائي على حكم الفراعنة والنماردة والطغاة ، أقول : على الرغم من ذلك كله ، فإن العمل الإسلامي ما يزال في إنشائه الفكري يتشبث بمثل تلك النظريات العتيقة الفاسدة التي لم تتولد إلا في جو الطغيان والخروج على حياة الشورى التي أراد الإسلام أن يركزها استخلاصاً لكرامة الإنسان وإطلاقاً لطاقاته ، وإقراراً بحقوقه في تسيير حياته ومجتمعه .

الرابـــع :

لاشك أن العمل الإسلامي من خلال أنشطته المتنوعة قام بتوعية إسلامية مباركة شملت

■ الخلل الذي نلاحظه اليوم ليس من رواد العمل الإسلامي الأوائل وإنما هو فينا عندما نحول المقدمات إلى نتائج ولا نعي السنن ولا ندرك التجدد .

■ جراحات المجتمع الإسلامي عميقة إلى درجة كانت تحتاج معها إلى مباضع الجراحين لا إلى صرخات الباكين .

أين الخلل؟ حول العمل الإسلامي

مجالات عدة ، غير أن تلك النشاطات الثقافية ظلت حبيسة إطارات محدودة من الفكر الذي وقف في مشارف الستينيات ولم يتجدد ، وظل كتاب ومفكرو العمل الإسلامي يكررون انفسهم ويدورون في حلقات فكرية لم تعد تكفي لمجابهة التغيرات الجديدة ، وقد نتج ذلك من :

أ ـ انشغالهم بالمحافظة على وجودهم امام محاولة الاحتواء الخارجي وامام قوة حصار الواقفين على خنادق الإلحاد والعلمانية .

ب ـ الكتابة العاطفية الخطابية التي سيطرت على كتابات الكتاب الأوائل ، ظلت سارية عبر العقود الأخيرة ، ومسيطرة على معظم الكتابات الجديدة .

جـ ـ العزلة عن ما كان يدور حولهم من الافكار والثقافات الوضعية التي ظهرت في كتابات جديدة للماديين والعلمانيين في إطار تلك النظريات ، أي أن كتاب العمل الإسلامي لم يستفيدوا من الكتابات المضادة ومن مناهجهم وأساليبهم الجديدة حتى يعاملوها بالسلاح نفسه .

د ـ وجهة النظرالاجتهادية التي سادت منذ أوائل الستينيات والتي تقول : إن القضية تتعلق بتصحيح العقائد وتوحيد الاتجاه والعبودية للمصدر الواحد فقط وتصرح بانه لا أهمية للاجتهادات الجديدة إلا بعد قيام المجتمع الإسلامي ، لأن كل راي يعرض في راي هؤلاء سيتأثر بالواقع الحالي ، وانتهى هؤلاء إلى الدعوة إلى عدم الاجتهاد حتى في مجال الفكر الفقهي المتصل بحركة الحياة والحضارة .

وهذا الاتجاه ظهر مع بدء ظهور عد المجتمعات الإسلامية مجتمعات جاهلية كافرة ، وترتبت على ذلك الدعوة إلى الانشغال بامور العقيدة فقط ، من اجل إدخال المسلمين إلى الإسلام من جديد .

وكان هذا الاتجاه رد فعل عنيف خطير على المخططات المعادية للإجهاز على العمل الإسلامي وطمس معالمه ، والتصفية الجسدية لقادته . ورد الفعل ذلك كان يفتقر إلى الإسناد الاصولي لتكفير المسلمين ، ولذلك لايمكن أن يسلم به من يعلم أن تكفير المسلم يحتاج إلى أدلة قطعية من القرآن والسنة وكيف وانه لم يقل بذلك حتى مجتهد واحد تتحقق فيه شروط الاجتهاد وإنما نشر تلك النظرة بعض من كانوا يكتبون في الثقافة الإسلامية العامة ، ولم يقل بذلك ابداً الرواد الأوائل من مجددي الإسلام في هذا العصر .

فهم كانوا يصرحون بانهم دعاة جاؤوا ليهدوا المسلمين إلى الله ورسوله ولم ياتوا قضاة يوزعون صكوك الكفر والإيمان على المجتمعات الإسلامية .

ومن هنا فمن الضرورة إعادة النظر في الكتابات الإسلامية التي كتبت في الثلاثين سنة الأخيرة ، لانها كتابات ـ على فوائدها العظيمة ـ لاتخلو من العصبية وردود الفعل الواضحة التي افقدت العقل المسلم اتزانه واوهنت احكامه وضيعت عليه في حالات معينة تقرير الحقائق من حيث هي انطلاقاً من الأصول الإسلامية المتفق عليها والمستنبطة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

وفي سبيل توضيح هذه الفكرة اضرب مثلاً بصنيع الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله في كتابه « اشتراكية الإسلام » فعلى الرغم من ان كل ماقرره في الكتاب من قضايا تحقيق الاتجاه الجماعي في الاقتصاد الإسلامي كان متفقاً مع القواعد والأصول الإسلامية إلا ان كثيراً من علماء العمل الإسلامي وكتابه أنكروا على الدكتور منهجه واتجاهه ، لمجرد انهم لم يرتضوا هذا العنوان من منطلق ردود الفعل على مآسي تلك المرحلة ، فبدل أن يؤكدوا على رفض العنوان والدعوة إلى الاكتفاء بالمصطلحات الإسلامية ، راحوا يموعون ذلك المنهج العظيم الذي يشكل صلب مقاصد الشريعة الإسلامية ، حتى تطرفوا فوصموا الاقتصاد الإسلامي بالفردية . وكان الإسلام جاء للإبقاء على المصالح الطاغوتية لمصاصي دماء العبيد والمظلومين ، ولم يات لتحقيق مصالح الجماهير العظمى من المستضعفين في كل زمان ومكان .

ولو أن المنهج الذي بدا به سيد قطب رحمه الله في كتابيه « العدالة الاجتماعية في الإسلام » « ومعركة الإسلام والراسمالية » ووسعه وعمقه الدكتور السباعي في كتابه المذكور من خلال منهج اصولي واضح كان يستمر في عالم الاقتصاد وينمو ويتجدد ، لرأينا اليوم وضوح الخط الإسلامي في الانتصار التاريخي الكامل للفقراء والمظلومين ، ولما راينا الاتجاه الذي يسقط في الاقتصاد الراسمالي باسم الإسلام في المجتمعات الإسلامية ، ويقرر ان الزكاة وحدها يقررها الإسلام لإنصاف الفقراء ، اما النشاطات الأخرى فالبشر أحرار فيها ولو ادى ذلك إلى امتلاك شخص واحد لربع ثروة المجتمع على سبيل المثال .

اما قضية التوازن الاقتصادي وتأكيد وظائف الدولة الاقتصادية ، وعدالة توزيع الثروة ، ووضع سقف لحركة رأس المال وتقرير حقوق عادلة للعمال ، وتحديد حرية الافراد في إطار القواعد والمقاصد العامة في الشريعة ومنع التعسف في استعمال الحقوق ، فإنها لم تجد من أصحاب ذلك الاتجاه الفردي اهتماماً مطلوباً .

وهذه ثغرة كبيرة حرمت على العمل الإسلامي مساحات واسعة في القاعدة الجماهيرية ، سيطر عليها أرباب المذاهب المادية والعلمانية من خلال الشعارات التي أطلقوها خلال العقود الأخيرة .

الخامس :

لقد وقع العمل الإسلامي خلال عمله النبيل والقيام بمسؤولياته الشرعية الكبرى في خطا عظيم عندما أعطى لنفسه في المجتمعات الإسلامية حجماً أكثر بكثير من واقعه اعتماداً على عظمة الإسلام ، واحقية قضيته ، وانطلاقاً من انه لايفعل شيئاً غير تذكير المسلمين بإسلامهم وإثارة الحمية في نفوسهم .

وقد غفل تماماً عن جوهر حديث رسول الله ﷺ « بدا الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدا فطوبى للغرباء » .

والغريب لا يبدا بالفوق بل بالتحت شيئاً

■ إن هذا الكون يرتبط بسنن إلٰهية لا تتخلف ولا تتبدل .. وإن المؤمن والكافر أمامها سواء .

■ العمل الإسلامي أراد أن يعمل في مساحة أكبر من حجمه بعشرات المرات ، وكان هذا سبباً أساسياً في إخفاقه وتراجعاته وإلقاء نفسه بين مطاحن الأعداء .

فشيئاً حتى يصعد إلى فوق ، ولكن الاستعجال وعدم الانتظار قد افسد على العمل الإسلامي رؤية الحقيقة والتخطيط للأهداف حسب الأولويات وفي ضوء مناهج المراحل المتتابعة .

هنالك حديث لرسول الله ﷺ يقول « تنقض عرى الإسلام عروة عروة اولها الحكم وآخرها الصلاة » .

ولو ادرك العمل الإسلامي منذ عشرات السنين أسرار هذا الحديث ، تحاشى قدر الإمكان المزالق التي وقع او اوقع فيها ، ذلك لأن اولئك الغرباء الذين وصفهم الرسول ﷺ بانهم يصلحون ما افسده الناس ، لابد لهم أن يبدؤوا من النهاية ، لأنهم لو بدؤوا من البداية ، اي من إصلاح الحكم ، لوجدوا انفسهم امام خندق عميق يحول دون الوصول إليه ؛ وهو الفراغ الإسلامي الكبير الذي يستند إليه ذلك الحكم ، والدليل القاطع على ذلك ان العمل الإسلامي بمواجهته لأهل الحكم والسياسة كان ومايزال ينطلق من الفراغ ، اي عدم وجود قاعدة إسلامية شعبية عارمة يمكن الاعتماد عليها في تعديل الاعوجاج وتقويم الانحراف ؛ ولو كانوا قد بدؤوا بالعمل بنهاية الحديث وهو الاهتمام أولاً بعروة الصلاة وما جاورها من العرى ، ثم توثيقها واحدة واحدة ، صلحت الحال بعد ذلك ، لأن توثيق تلك العرى وهي مئات ، كل مجموعة في دائرة معينة ، كان ينتهي إلى إرجاع القاعدة الجماهيرية العريضة إلى حظيرة الإسلام . والحق أن المجددين الرواد الأوائل كانوا يدركون هذه القضية ، ولذلك نادوا بنظريه إصلاح الفرد ثم الأسرة ثم المجتمع ، ولكن ضغط الحماس الذي يذهب دائماً بالفطنة قد افسد كل شيء عبر تقلبات الأوضاع والظروف .

ونحن حين ندرس تاريخ الصدر الأول على سبيل المثال نجد هذا واضحاً ؛ إذ حين بدأ الفساد في القاعدة ، حوصر عثمان رضي الله عنه وظهرت الفتنة ، وادرك معاوية بن ابي سفيان هذه القضية الاجتماعية ، إذ لما جاءه قوم يقولون له : لماذا لاتعمل فينا بسيرة الخلفاء الراشدين . قال لهم : وهل انتم تعملون بسيرة رعية الخلفاء الراشدين . ولذلك كان من المستحيل أن يُختار غير ابي بكر وامثاله في سقيفة بني ساعدة .

إذن العلاج لابد أن ياتي من القاعدة وليس من القمة ، لأن البشر غير الواعين وغير المدركين الذين لاتربطهم عقيدة ولامبدأ موحد ولايشعرون بآدميتهم هم الذين يصنعون الطغاة بأيديهم عبر التاريخ الإنساني ، لأن هؤلاء الجبابرة لايولدون من بطون امهاتهم طغاة .

كانت عصبية الخلفاء الراشدين هي المجتمع المؤمن الواعي الشجاع ، فلما تبدل تركيبه تبدلت العصبية إلى عصبية البيوتات وجاء من يمثلها .

إن العمل الإسلامي إذا أراد أن يعيد الأمر إلى نصابه ، لابد أن يخطط لكيفية تربية الأمة من جديد على الإيمان والإسلام حتى تعي نفسها وواقعها وتنطلق من قاعدة عقيدية واحدة ، تؤمن بها وتضحي من أجلها .

إذا استطاع العمل الإسلامي أن ينقذ المسلمين في اي مجتمع من المجتمعات الإسلامية من التمزق الفكري ويوحدهم على اساس الإسلام ويربيهم عليه ، ويجعل من قضيته القضية المصيرية ، أنهى عند ذلك الانحراف والقهر والتسلط .

لن تستطيع عصبية البيت الواحد أن تتحرك حينئذ امام عصبية الأمة كلها للإسلام وكرامة ابنائه .

لن يستطيع اهل الأهواء والمصالح ان يشتروا الذمم لفرض قهرهم وتسلطهم على ابناء امتهم .

لن تظهر الفراعنة والنماردة والأصنام التي تعبد من دون الله سبحانه وتعالى . وقد يقول قائل : إن هذا طريق طويل قد يستغرق قرناً او اكثر . اقول : ليستغرق مايستغرق طالما ان العمل الإسلامي يخطط لاستئناف الحياة الإسلامية في ضوء مقاصد الإسلام وسنن الله في الوجود ، وهل يستطيع أحد ان يخرق تلك السنن ، وهل ذلك مطلوب منه شرعاً ؟

إن رسول الله ﷺ قضى ثلاثة عشر عاماً في مكة يدعو إلى التوحيد ويثبته في النفوس ولايتعرض لتحطيم الأصنام ، ومع مقارنة وضع المسلمين اليوم بوضع العرب يومئذ ، ننتهي حتماً إلى ان العمل الإسلامي كان يحتاج إلى خمسة اضعاف تلك المدة على الأقل ، حتى يخرج من الدور المكي إلى آفاق الدور المدني ، هذا لو كانت الأمور تجري طبيعية في ضوء قواعد العمران البشري .

واليوم وبعد التجارب التي مرت بها محاولة التمكين للوعي الإسلامي في بلاد الإسلام لابد للعقلاء أن يدركوا سنن الله في الوجود ويفهموا طبيعة العصر وكيفية إحداث التغيير فيه ، فينصرفوا إلى بناء القاعدة بعلم وتخطيط وذكاء ، ويبتعدوا عن الخوض في المضاربات السياسية والاصطدامات الفوقية ، كي يتفرغوا إلى القيام بالمهمة الأساسية ؛ مهمة تربية المجتمع الإسلامي على الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً . فالهدم الشامل الذي نراه في المجتمع الإسلامي لايفيد معه إلا البناء الشامل الذي يُبنى على ثلاث دعائم (أولاها) الفهم العميق لأصول الإسلام وقواعده ومقاصده بعقلية المجتهدين العظام لا بعقلية حفظة النصوص . (ثانيتها) إدراك دقيق لطبيعة تطور الحياة والحضارة في العصر الحاضر . (وثالثتها) جهاد شامل في مضامير الحياة كلها من خلال تفكير عميق وتدبير دقيق وعمل متواصل في سبيل الأهداف الإسلامية النبيلة . والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لايعلمون وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

■ إن ضغط الحماس كان يذهب دائماً بالفطنة ويفسد كل شيء عبر تقلبات الأوضاع والظروف .

■ لا بد للعقلاء أن يدركوا سنن الله في الوجود ويفهموا طبيعة العصر وكيفية إحداث التغير فينصرفوا إلى البناء بعلم وتخطيط ويبتعدوا عن الخوض في المضاربات السياسية والاصطدامات الفوقية .

(١) استجابة للدعوة المخلصة التي وجهتها مجلة « الأمة » إلى الكتاب الإسلاميين في موضوع واقع العمل الإسلامي ، كتبت هذه الصفحات مبيناً بعض القضايا العامة دون الولوج إلى كثير من المسائل الخاصة التي قد يستفيد من عرضها أعداء الإسلام ...

من نور كتاب الله

﴿إلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إذْ هُمَا فِي الْغَارِ إذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة : ٤٠)

صار مسخاً !

إذا فسد الإنسان في قدرته ، ثم في أخلاقه ودينه ، فقد فسدت إنسانيته وصار مسخاً على الحقيقة ، وبهذا الاعتبار كان الذين يتقربون في جند السلطان إلى البداوة والخشونة أنفع من الذين يربون على الحضارة وخلقها ، وهذا موجود في كل دولة .

(ابن خلدون ـ المقدمة)

فائدة

ذكر العلامة السيوطي في « الإتقان » فقال : أخرج البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب محمد ﷺ ما سألوه إلا عن اثنتي عشرة مسألة كلها في القرآن . وأوردها الإمام الرازي بلفظ أربعة عشر حرفاً ، وقال : ثمانية في البقرة ﴿ وإذا سألك عبادي عني ﴾ ﴿ يسألونك عن الأهلة ﴾ ﴿ يسألونك ماذا ينفقون ﴾ ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام ﴾ ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر ﴾ ﴿ ويسألونك عن اليتامى ﴾ ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون ﴾ ﴿ ويسألونك عن المحيض ﴾ قال : والتاسع ﴿ يسألونك ماذا أحل لهم ﴾ في المائدة ؛ والعاشر ﴿ يسألونك عن الأنفال ﴾ والحادي عشر ﴿ يسألونك عن الساعة ﴾ والثاني عشر ﴿ يسألونك عن الجبال ﴾ والثالث عشر ﴿ يسألونك عن الروح ﴾ والرابع عشر ﴿ ويسألونك عن ذي القرنين ﴾ قلت : السائل عن الروح وعن ذي القرنين مشركو مكة واليهود كما في أسباب النزول لا الصحابة ، فالخالص اثنا عشر كما صحت به الرواية .

العلم ... والحلم

قال بقية عن ابراهيم بن أدهم :

« ما من شيء أشد على الشيطان من عالم حليم ، إن تكلم تكلم بعلم ، وإن سكت سكت بحلم ، يقول الشيطان : انظروا إلى كلامه أشد عليَّ من سكوته » .

وعن رجاء بن حيوة قال : « يقال ما أحسن الإسلام ويزينه الإيمان ، وما أحسن الإيمان ويزينه التقوى ؛ وما أحسن التقوى ويزينها العلم ، وما أحسن العلم ويزينه الحلم ، وما أحسن الحلم ويزينه الرفق » .

وقال بعض الأدباء :

العلم والحلم حلتا كرم ... للمرء زين إذا هما اجتمعا
كم من وضيع سما به العلم ... والحلم فنال السمو وارتفعا
صنوان لا يستتم حسنهما ... إلا بجمع لذا وذاك معا
كل رفيع البنا أضاعهما ... أخمله ما أضاع فاتضعا

[جامع بيان العلم وفضله]

خير ما في اللئيم !

قال العتبي : سمعت أعرابياً يقول : أسوأ ما في الكريم أن يكفَّ عنك خيره ، وخير ما في اللئيم أن يكف عنك شره . . .

[الأمالي للقالي]

من جوامع كلمه ﷺ

- دع ما يريبك إلى ما لا يريبك .
- لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب .
- أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم .
- أحب للناس ما تحب لنفسك .
- الحياء خير كله .

جمـــع الظلمـــات وإفـراد النـــور ...

يقول ابن القيم رحمه الله حول إفراد النور وجمع الظلمات ، وإفراد سبيل الحق وجمع سبيل الباطل في آيات كتاب الله مثل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ و ﴿ وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ :

سر ذلك ، والله أعلم ، أن طريق الحق واحد ، وهو على الواحد للأحد ، كما قال تعالى : ﴿ هٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ قال مجاهد : طريقه على الله ، ويرجع إليه ؛ كما يقال : طريقك عليَّ ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ في أصح القولين ، أي : السبيل القصد الذي يوصل إلى الله وهي طريق عليه ، قال الشاعر :

فهن المنايا أي واد سلكتـه ... عليها طريقي أو عليَّ طريقها

والمقصـــود : أن طريق الحق واحد ، إذ مرده إلى الله الملك الحق ؛ وطرق الباطل متشعبة متعددة فإنها لا ترجع إلى شيء موجود ، ولا غاية لها يوصل إليها ، بل هي بمنزلة بنيات الطريق ، وطريق الحق بمنزلة الطريق الموصل إلى المقصود ، فهي وإن تنوعت فأصلها طريق واحد . . ولما كانت الظلمة بمنزلة طريق الباطل ، والنور بمنزلة طريق الحق ، بل هما هما ، أفرد النور وجمعت الظلمات ، وعلى هذا جاء قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَىٰ الظُّلُمَاتِ ﴾ فوحد ولي الذين آمنوا وهو الله الواحد الأحد ، وجمع الذين كفروا لتعددهم وكثرتهم . . .

[بدائع الفـوائد]

أي الأصحـاب خـير ؟

قيـل : يـا رسـول الله ، أي الأصحاب خير ؟ قال ﷺ : « الذي إذا ذكرت أعانك وواساك ، وخير منه من إذا نسيت ذكَّرَك » .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « خير إخوانك من واساك ، وخير منه من كافاك » .

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول : اللهم إني أعوذ بك ممن لا يلتمس خالص مودتي إلا بموافقة شهوتي ، وممن ساعدني على سرور ساعتي ولا يفكر في حوادث غدي .

وقال بعض البلغاء : ما وَدَّك من أهمل وُدَّك ، ولا أحبَّك من أبغض حبَّك .

[أدب الدنيـا والدين]

عشـــر في عشـــرة ...

قـالوا : عشر خصال في عشرة أصناف من الناس أقبح منها في غيرهم : الضيق في الملوك - والغدر في الأشـراف - والكـذب في القضـاة - والخديعة في العلماء - والغضب في الأبرار - والحرص في الأغنياء - والسفه عند الشيوخ - والمرض في الأطباء - والزهـو في الفقـراء - والفخر في القراء . . .

[البيان والتبيين]

كلام جرىٰ مجرىٰ الأمثال

إذا رغبت الملوك عن العدل رغبت الرعيةُ عن الطاعة (أردشير) .

الأيام صحائف آجالكم فخلدوها بأحسن أعمالكم (أفريدون) .

الملك إذا كثر ماله مما يأخذ من رعيته كان كمن يعمر سطح بيته بما يقتلعـه من قـواعـد بنيـانـه (أنو شروان) .

أطع من فوقك يطعك من دونك (أبرويز) .

الملوك تحتمل كل شيء إلاَّ ثلاثاً : إفشاء السر ، والقدح في الملك ، والتعرض لِلْحُرَمِ (المأمون) .

إذا نُصر الهوىٰ بطل الرأي (المعتصم) .

لذة العفو أطيب من لذة التشفي ، وذلك أن لذة العفو يلحقها حمدُ العاقبة ، ولذة التشفي يلحقها ذمُّ الندم (المنتصر بن المتوكل) .

[زهر الآداب]

□ هذه البطاقات عبارة عن أفكار وتصريحات وأقوال ذات مساحات محددة يلتقطها بعض الإخوة من القراء بما يتمتعون به من حواس،ذكيَّة . ومن ثَمَّ يقدمونها من خلال هذه الصفحة ..

وهي محتجزة لتقديم كل نافع ومفيد من هذه العصارات المكثفة ، التي يُشار فيها إلى مكمن خطر .. أو يُكشف فيها قناع عن وجه عدو للأمة ومقوِّماتها .. أو يبصِّر برؤية ويسدد طريقاً ويقوِّم منهجاً . تحت عنوان خير الكلام ما قلَّ ودل □

بأي ثمـــن !!

■■ إن أقسام الدراسات الإسلامية في جامعات الغرب - التي يدير معظمها أساتذة يهود - تشكك في الدين الإسلامي وفي الأحاديث النبوية الشريفة ، إضافة إلى قيامها ، من خلال البحوث ، بالطعن في شخصية الرسول - عليه الصلاة والسلام - وشخصيات الصحابة - رضوان الله عليهم - وتعمد إلى حشو هذه البحوث بما لا يتصل بالإسلام ... وإن معظم الطلاب الذين يتابعون الدروس في هذه الأقسام قد وقعوا فريسة سهلة في أيدي الأساتذة اليهود بهدف الحصول على الشهادات الجامعية .. بأي ثمن ■■

(الرأي الأردنية - من حديث مع أمين عام رابطة العالم الاسلامي)

القارىء : حسين التميمي - الأردن - الزرقاء

امتـــــــلاك السلطـــة

■■ الواقع أن الزعماء يتحولون نفسياً ، إن سلبية الجماهير - غير المحدودة أحياناً - يقابلها دوماً لدى الزعماء تعطش إلى السلطة ، والحقيقة أن الزعيم غالباً ما يكون صادقاً ومقتنعاً بمُثُلِه ، ولكن موقعه يجعله ينفصل تدريجياً ويتحول إلى شخص آخر .. إن حيازة السلطة تخلق شعوراً بالعظمة يدفعه إلى تملك مزيد من السلطة ، وشعوره بالتفوق يدفعه إلى التعالي باعتباره عنصراً لا يستغنى عنه ، وحتى الزعماء غير الأثرياء أحياناً يكونون أبعد تمسكاً بالسلطة ، بل إنهم يشعرون بأن السلطة هي من ممتلكاتهم .. ■■

عن كتـــاب : [الأحزاب السياسية]

للكاتب الإيطالي : روبرتو ميشـــال

القـــارىء : عبد الله أسعد - لبنـــان

التخطـيط الغائب !

●● رغم وجود خطط للإنماء بشقيه : الاقتصادي والاجتماعي في معظم البلدان العربية ، فيبدو أن هناك غياباً للتخطيط رغم وجود الخطط . ذلك أن العملية التخطيطية في جوهرها ليست وثائق زاهية حاوية لأرقام وإسقاطات مستقبلية وقابلة للتحقق ذاتياً أو بأسلوب السيطرة الأثيرية من على البعد ، بل هي عملية شمولية يفترض أن تنطلق من احتواء متمكن للقدرات المتاحة مادياً وبشرياً وتوظيفها لإنجاز تطلعات اقتصادية اجتماعية في القطاعات الإنتاجية والخدمية على السواء وبواسطة أساليب المتابعة والتقويم المتصلة .

(البيان - دُبي) القارىء : شندي الألفي - أبو ظبي

طائفة المونيــز

■■ طائفة المونيز في بريطانيا حركة تتستر بالدين المسيحي اسسها عام (١٩٥٤م) القسيس الكوري (صن مايونج مون) باسم الكنيسة الموحدة بادعاء توحيد العالم ، ويقول (مون) :

إنه وزوجته الأب والأم الحقيقيان للبشر ، وإنه يقوم بالرسالة التي فشل المسيح عليه السلام في إكمالها .. ويدَّعي أن اتباعه يزيدون عن المليونين ، ومن بينهم (٤٠٠) الف اصبحوا من الخلصاء ، ويرتكز (مون) في تعاليمه على فصل الأطفال عن آبائهم منذ سن مبكرة وغسل ادمغتهم وربط مستقبلهم بالمعونات المالية التي يقدمها لهم وتملك كنيسته مؤسسات في بعض بلدان العالم ■■

(الاتحاد الظبيانية)

القارىء : رشدي الشرقاوي - القاهرة - مصر

مجندات إسرائيل ..
نعم لإخراج العرب
ولكن بدون وحشية !

■■ يبدو أن المجندات الاسرائيليات يحاولن الاختفاء وراء ستار من الرقة الأنثوية ويحاولن محو الأثر السيء الذي تركته ابنة جنسهن ذات الأنياب « جئولا كوهين » .

ففي حوار أجرته إحدى الصحف الإسرائيلية مع الفتيات في مقر التجنيد في بلدة حيفا العربية حول آرائهن في نتائج الانتخابات وفي نجاح الحاخام المتطرف مئير كاهان في التغلغل إلى الكنيست ، أجمعت الفتيات اللاتي دار معهن الحوار على أن إحراز كاهان لمقعد في الكنيست يعد إنجازاً طيباً جداً لتحقيق أهداف كُنَّ يتمنينها ، كما اجابت الفتيات على إحراز الحركة التقدمية للسلام « الموالية للعرب » !!

مقعدين بأن هذا شيء سيء حيث لا يجب أن يكون للعرب وجود في الكنيست ولا في الدولة أيضاً .. يجب إخراجهم من هذه البلاد بأية طريقة كانت ولكن .. بدون وحشية .. يا لرقة المجندات ! ■■

[الأخبـار القاهرية]

القارىء : خالد محمد الأصور

اتميدة - مصــر

الإرهـــــاب المسمـــوع

■■ منَ نشاطات الإرهاب اليهودي الذي لا يكاد يسمع به أحد ، اشتراك اليهود الثلاثة في محاولة خطف الوزير النيجيري السابق من بريطانيا ، ويلفت النظر في الصحف الأمريكية خبر أقل ذيوعاً عن إحراق اليهود مؤسسة فكرية أمريكية في كاليفورنيا لأنها قررت - في بحث لها - أن مذابح اليهود المزعومة على أيدي النازيين لم تحدث بالقدر المزعوم لها ، وعرضت جائزة مالية لمن يستطيع إثباتها ..

وقد دمرت المؤسسة ، ولحقت أضرار بمكاتب مجاورة ، وقدرت الخسائر بأكثر من (٤٠٠) الف دولار ، وكانت المؤسسة نفسها قد تعرضت لعملية تخريبية في أبريل (نيسان) ١٩٨٢م - أعلن المسؤولية عنها في حينه شيء اسمه « المدافعون اليهود » .. ومع ذلك ، فنحن إذا سمعنا عن إرهاب فهو « إرهاب » الولد الفلسطيني حامل الحجر .. ■■

[الشرق الأوسط] « العدد ٢٠٦٣ »

القارىء : عبد الرحمن القاضي - اليمن

■ يشيع عند بعض الناس أن الأديب الفنان لا يستطيع أن يبدع إبداعه الحق، ويتجلى تجليه الواسع المدى، إلّا إذا رفعت عنه الحواجز والسُدود والقيود حتى ولو كانت قيوداً فنية تقتضيها طبيعة فنه، وأزيلتْ من قُدَّامه كلُّ عوامل الحجر والحظر عن كل شيء .. أي شيء بدعوى أن هناك مناطق محرمة لايصح أن يرتادها، لأنها تمثل قيماً دينية أو أخلاقية أو اجتماعية !...

والأديب الفنان لا يستطيع ـ بزعمهم ـ أن يعطي أروع عطائه، ويجود بأجمل تجلياته ورفرفاته، إلا حين يكتسح كلَّ هذه العوائق والحواجز اكتساحاً، ويخترمها اخترماً لايبالي بشيء منها !...

ومن هنا ـ راحوا أيضاً ـ يقولون : إن القصيدة المعروفة عربياً، هي قيد شديد الوطأة أليم الإسار، ضاغط على الأديب المعاصر، غير صالح لاستيعاب أفكاره ومشاعره وأحاسيسه، يكبح انسيابه وتدفق ينابيعه. لهذا، ينبغي تجاوزها، وتعدي القيود الآسرة التي تفرضها !..

وواضح أن المسألة بهذا التصوير فيها شيء كثير من الغلط والمغالطة .. فهي ـ أولاً ـ تعني أنَّ الحياة لا تجمل ولا يحلو طعمها ويلذ إلا حين تباح على إطلاقها، فَلْيُتْرَكْ الأديب يرتع فيها كيفما شاء دون تمييز بين طيب وخبيث، وجيد ووخيم !.. وهو بارتياده لكل هذه الأودية سيمتعنا ويشركنا معه فيما يَجِدُ ويَلْقَى !..

وهذا غير صحيح ؛ إذ كيف تستقيم حياة مبذولة بهذه الصورة، تعمرها الفوضى، ولا يعرف فيها الناس ولا يدرون قبيلاً مِنْ دبير !..

ثانياً : إنَّ الزعم بأنَّ الأديب ـ وأي فنان سواه ـ لاينتج بسخاء مالم ترفع عنه كل القيود، فنية وغير فنية، وإلا شاه جمالُ الفن، فتلك مغاطة كبيرة ..

ونحن مع إيماننا بأن الأديب يجب

من قضايا الأدب الإسلامي

الفن قيد

بقلم الدكتور : صالح آدم بيلو

أن يكون حراً طليقاً، إلا أنه لابد من أن تكون هناك مناطق تحريم، ومناطق إباحة ... ثم نتساءل بدورنا : كيف يكون وضع الأطر والحدود المناسبة في الأدب العربي قيداً معوقاً وبغيضاً، في الوقت الذي نعلم فيه علم اليقين أن الفن في ذاته قيد .. وأنه لايكون فن مالم تكن هناك أطر فضفاضة تُرعى، وضوابط وحدود تحمي « الفن » من أن تنتهك حرماته، فيختلط الفن بغير الفن، والإدعاء والشعبذة بالصدق والأصالة، فلاضوابط تميز وتفرق بين هذا وذاك !..

الفن هو الاقتدار على الضبط، والبراعة في إحسان التحرك، وإجادة التصرف والحركة في أضيق المساحات والمجالات، وأدق الأطر دون المساس

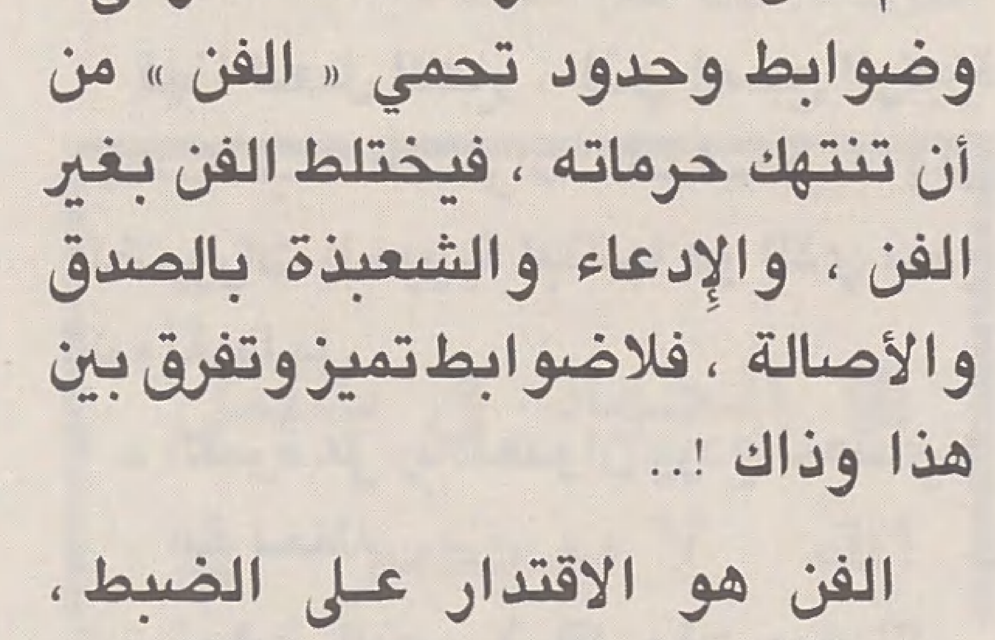

بها، أو خدشها وتشويهها أو المروق منها.

والاقتدار على الحركة داخل هذا الإطار الضيق المحدود هو وحده المقياس أو المعيار الذي نفرق به بين الصادق والدعي، وبين الأصيل المتمكن والدخيل المتطفل !

وَلْنَضْرِبْ في ذلكُم الأمثال :

* هل أبْصَرْتَ ـ يوماً ـ قائد السيارة الغِر غير المجرب يرى الأرض الرحيبة والفضاء الفسيح أضيق عليه من سم الخياط ؟ وحين يجيد فن القيادة يوماً بعد يوم، يمتلك زمام الأمر، فينسرب في المكان الضيق كأنه الساحر العجيب !

في أي حالتيه هو فنان، وفي أيهما هو غير ناجح ؟!

* أرأيت ـ عمرك ـ أنَّ الطفل الذي لم تَنْمُ قدراته، أو لم تُنَمَّ مهاراته، تعطيه الصفحة الكاملة ليرسم فيها شجرة فيحتج بصغر المساحة التي لاتتسع لرسم شجرة .. وتعطي عشر معشارها لفنان مقتدر، فيعطيك فيها عالماً متكاملاً يَضِجُّ بالحياة، وَيَنْضَحُ بالفتنة والجمال !..

أي هذين هو الفنان ؟!

تماماً .. هذا هو الأمر بالنسبة للأديب الذي يراعي قيم مجتمعه العقدية والخلقية والاجتماعية، فهو لايجرحها أو يشوهها ولا يصيبها بسوء، فإذا هو أبدع وأجاد دون المساس بهذه القيم وتشويهها، كان هو الفنان الحق، والأديب المبدع، ومن هنا قالوا : « الفنان الحقيقي هو ذلك الذي يمثل بفنه مُثُلَهُ العُليا .. وينظر دائماً إلى عالمه بالمقارنة مع مثاله وقيمه ومبادئه » .

وكذلك الأديب الحق، والشاعر المقتدر هو ذلك الذي يبلغ أهدافه، ولا يضيق بالقيد الفني في القصيدة بزعمها عاجزة ـ أو معجزة له ـ عن أنْ تصير وعاءً يستوعب أفكاره ومشاعره التي يحسها في داخل نفسه ■

بقلم : اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ

اعداد الأمة لمواجهة العدوان

■■ حقيقة لاينبغي أن نغفل عنها

من أهم حقائق العصر الذي نعيش فيه أنه حين تنشب الحرب ، فإن الدولة بأسرها شعباً وجيشاً « تخوض الحرب » ، وتدفع تكاليفها ، وتتحمل نتائجها ، فقد انتهى ذلك العهد الذي كانت فيه الحروب قاصرة على تصارع الجيوش في ميادين القتال ، ولم تعد هناك في عصرنا بقعة من أرض الدولة أو سمائها أو مياهها الاقليمية بمنأى عن متناول العدو .

من أجل ذلك أصبحت قوة أية دولة وقدرتها على الدفاع عن نفسها وتحقيق أهدافها الاستراتيجية لاتقاس بمدى قوتها العسكرية فحسب ، بل بمتانة اقتصادها وقوة معنويات شعبها وتقدمها العلمي والتقني ، إلى غير ذلك من عناصر القوة ، وقد ظهرت للتعبير عن هذا المعنى مصطلحات جديدة في علوم الحرب وفنونها مثل « الحرب الشاملة » و « اعداد الدولة للحرب » ، ويقصد بالحرب الشاملة الحرب التي لاتقف عند خط جبهة القتال فحسب ، وإنما تتعداها إلى «العمق» بكل ما فيه من مرافق ومنشآت وتجمعات سكانية وذلك بواسطة السلاح الجوي والصواريخ وغيرها ■■

أما « اعداد الدولة للحرب » فهو ذلك العمل الضخم الذي اقتضته طبيعة الحرب الشاملة ، وتحشد له كل قوى الدولة الاقتصادية والشعبية والسياسية إلى جانب القوة العسكرية في تخطيط منسق لتحقيق قدرة الدولة على التصدي للعدوان .. يقول المشير مونتجمري : « والحرب الحديثة قد ازدادت صورتها تعقيداً ، وأصبحت تشمل كل أوجه الحياة والنشاط للدولة لفترة طويلة بما في ذلك معنويات هذه الدولة ، فالحرب الشاملة في العصر الحديث تمتص كل جهود القوى العاملة رجالاً ونساءً وتحول كل قوى الصناعة لسد الحاجات الضرورية للمجهود الحربي ، وفي أثناء هذه الحرب يكون المرء دائماً محوطاً بالخطر سواء استدعي للخدمة العسكرية أو كان قائماً بأي عمل مدني أو صناعي ، فالخطر يصبح ماثلاً في كل مكان ، وقد اقتضى ذلك وجود نظام خاص يكفل حماية المدنيين داخل المدن أطلق عليه الدفاع المدني أو الدفاع الوطني ... »[1]

ثمار الإعداد الشامل

فهذا العمل الكبير ، الذي أصبح الركيزة الأساسية للقدرات الدفاعية ومن الضرورات الحيوية لبنائها هو الذي يمنح الدولة ما يلي :

١ ـ القدرة على رد العدوان وردع المعتدي في أية لحظة

٢ ـ تحقيق النصر في اقل وقت ممكن[2]

٣ ـ التقليل من الخسائر التي تسببها ضربات العدو

٤ ـ الصمود للحرب «طويلة الأمد»

٥ ـ المحافظة على مستوى عال من الروح المعنوية وإرادة القتال لدى الشعب والجيش . وهكذا يتضح أن مثل هذه الانجازات والقدرات لاتتحقق مطلقاً إلا بحشد طاقات الأمة المادية والمعنوية في تخطيط منسق نحو غاية واحدة .

مفهوم القوة في الإسلام

ويتضح كذلك أن ما يتصوره بعضهم من أن القوة التي على الأمة إعدادها لمواجهة العدوان تنحصر في القوة المسلحة ، هو تصور بعيد كل البعد عن الصواب وعن مقتضيات العصر ، وليس هذا فحسب ، بل انه تصور ينطوي على عقوق للدين وغفلة عن توجيهاته .

فلقد شاءت حكمة الله جل شأنه أن تكون الأمة الإسلامية « أمة قوية مرهوبة الجانب في كل عصر » فأمرها بإعداد القوة والمرابطة « التي ترهب الأعداء » ووجهها إلى أن تكون تلك القوة « قوة شاملة » تحتشد فيها كل مصادر القوة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية والمعنوية والعسكرية :

١ ـ يقول الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ

مَااسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَاتَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَاتُظْلَمُونَ ﴾ (الأنفال : ٦٠)فورود لفظ « قوة » مطلقاً بغير تحديد ، يعني القوة الشاملة ، وذكر المال والانفاق (وماتنفقوا) يعني القوة الاقتصادية ويؤكد أهميتها .

٢ ـ والجهاد في سبيل الله ، لاينحصر في إطار قتال الأعداء المحدود ، بل يمتد ليشمل جوانب أخرى ، فقد اقترن الجهاد بالنفس بالجهاد بالمال ، كما اقترن بالجهاد باللسان ، قال تعالى : ﴿ انفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة : ٤١) ، وقال الرسول ﷺ : « **جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم والسنتكم** » (رواه أحمد والنسائي وصححه وغيرهما)

٣ ـ والتكليف بإعداد القوة الشاملة ، والتكليف بالجهاد على هذا النحو الشامل أيضاً « كلاهما قائم ومستمر حتى تقوم الساعة » كما يتضح من الآية الكريمة من سورة الأنفال ومن آيات الجهاد ومن الحديث : « **الجهاد ماض إلى يوم القيامة** » **والحديث** : « **لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا** » **(رواه البخاري)**

٤ ـ والتكليف بإعداد القوة وبالجهاد ، « أمر مستمر لاينقطع » في السلم والحرب على حد سواء ، ففي السلم استعداد وإعداد وعمل لايفتر في كل الميادين المادية والمعنوية ، وفي الحرب توجيه لكل الطاقات نحو قمع العدوان وردع المعتدي .

٥ ـ **والأمة الإسلامية « أمة مجاهدة » كل أبنائها مجاهدون ، سواء المقاتلين منهم في الميدان أو غير المقاتلين الذين يؤدون واجبهم خلف الجيش في مجالات العمل المختلفة ، وهذا ما أكده الرسول ﷺ** حين جعل حصة من غنائم بدر لمن تخلف بالمدينة لأنه كان قائماً بعمل للمسلمين وقد تخلف عن بدر طلحة بن عبيد الله لأنه سافر بأمر الرسول ﷺ في تجارة إلى الشام ، وقد عده الرسول ﷺ من أجل ذلك بدرياً وضرب له بسهمه وشهد له بأجره ، كما أكده عليه الصلاة والسلام بقوله :

« **من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا** » (رواه الشيخان) ، وقوله : « **ان الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه يحتسب في صنعه الخير ، والرامي به ، والممد به** (أي الذي يناول السهم للرامي) (رواه الخمسة) .

القوة الشاملة هي القادرة على الردع

والقوة الشاملة في نظر الإسلام هي القوة القادرة على ردع الأعداء وإيقاع الرهبة في قلوبهم حتى يمتنعوا عن العدوان . والأمر المدهش أن الإسلام يجعل من « كل عنصر » من عناصر قوة الأمة « قوة ردع » ولايخص بذلك القوة المسلحة فحسب ! فالقوة الاقتصادية مثلاً يكون لها فعل الردع حين يجد العدو أنه إذا اعتدى على المسلمين ، فسوف يواجه جيشاً قوياً وراءه قاعدة اقتصادية متينة وقادرة على إمداده باحتياجاته « مهما طال أمد الحرب » ، الأمر الذي يجعله يرجع عن فكرة العدوان ، وهكذا وعلى المنوال نفسه يكون هناك قوة ردع للشعب العامل المجتهد المنتج المتحد الذي يتمتع بالروح المعنوية العالية وارادة القتال والصمود والاستعداد لتحمل أعباء الحرب « مهما طال أمدها »

■ **الجهاد في سبيل الله لا ينحصر في إطار قتال الأعداء المحدود بل يمتد ليشمل جوانب أخرى كالجهاد بالمال وباللسان** ■

مقتضيات الردع

ولكي يتحقق للقوة الإسلامية هدفها في ردع العدوان فإن الإسلام يوجه إلى ما يلي :

١ ـ إن أخطر ما تتعرض له الأمة هو الغفلة عن الخطر المحدق بها والتقاعس عن إعداد القوة القادرة على الدفاع عنها ، وان على الأمة أن تعد ذلك « مسألة حياة أو موت بالنسبة لها » فالله تعالى يقول : ﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ (النساء : ١٠٢)

٢ ـ إذا كان الإسلام « دين سلام ورحمة » ، فإنه في الوقت نفسه « دين قوة » لأنه « دين عملي » يأخذ الحياة من واقعها وطبائع الخلائق وميلها إلى المشاحنات ، فأمر بإعداد القوة التي تحمي المسلمين ، والتي هي أقوى ضمان لتحقيق السلام أيضاً ، وحذر من أن يفهم الناس أن السلام معناه إلقاء السلاح أو القعود عن الاستعداد مادام في الدنيا شعوب لاتعرف قيمة السلام ولاتحترم حرية غيرها من الشعوب في أن تعيش آمنة مطمئنة في بلادها .

٣ ـ لكي تكون للقوة الإسلامية فعاليتها في الدفاع وردع العدوان يجب أن تكون على مستوى عصرها بل ومتفوقة على قوة عدوها ، وإلا فكيف تستطيع التغلب على عدو سبقها وتقدم وتطور واستثمر منجزات عصره إلى أقصى حد .

إعداد الشعب

وسوف نتناول في هذا البحث بعض عناصر اعداد الدولة لمواجهة العدوان التي نرى أنها تستحق قدراً كبيراً من انتباه وعناية قادة الأمة الإسلامية ونبدأ بإعداد الشعب ، فقد أصبح من الحقائق الاستراتيجية أن صلابة الجبهة الداخلية وقوة الإرادة القتالية للشعب ليست فقط من دعائم النصر في الحرب ، بل لقد أصبحت الروح المعنوية والإرادة القتالية للقوات المسلحة ذاتها ثمرة لروح الشعب وموقفه وراءها ، والاستراتيجية العسكرية التي لاتضع هذا العامل في حسابها ، وتعتمد على تفوق مواردها المادية فحسب ،

اعداد الأمة لمواجهة العدوان

استراتيجية قاصرة تعرض الجيش والوطن كله للخطر والهزيمة .

وللاسلام في هذا المجال منهج في غاية الإحكام إذ يشمل الأسس الآتية :

- وحدة الأمة وتماسك الجبهة الداخلية
- قوة معنويات الشعب وارادته القتالية
- الأمن ومقاومة الحرب النفسية والجاسوسية .
- الدفاع الشعبي والتوعية والنشاط السياسي والدبلوماسي .

ولايتسع المقام لتناول هذه الأسس بالتفصيل ، وإنما ننبه إلى بعض الأمور التي تستحق الاهتمام .

أولاً : **في أوقات الخطر لامحل للخلافات** :

ففي الحرب العالمية الثانية وضع الغرب يده في يد الاتحاد السوفييتي لمواجهة ألمانيا لقد اتحدا وتضامنا في وقت الخطر رغم مابينهما من تناقض في المذاهب السياسية والاقتصادية وصراع على مناطق النفوذ ، فكان من ثمار هذا الاتحاد القضاء على الخطر وتحقيق النصر .. وفي العالم اليوم تكتلات وأحلاف تضم دولاً عديدة قضت الظروف والمصالح أن تتجمع وتتعاون في وحدة صف وهدف في مواجهة الأخطار التي تتهددها رغم ما بين الدول في كل حلف أو تكتل من خلافات لأن كل الدول تدرك فضل التعاون لتحقيق وحدة الهدف .

فالمسلمون بذلك أولى ، لأن الدعوة إلى وحدة الأمة من طبيعة الإسلام ومن مبادئه ، وهي وحدة قائمة على مبادىء ومثل كريمة ، وقد ألف الإسلام بين قلوب أبنائه على الإيمان وجاءت تعاليمه تقوي هذه الرابطة وتدعم أواصر الوحدة بما افترض عليهم من فرائض وبما دعاهم إليه من الاعتصام بحبل الله المتين ودينه القويم ، قال تعالى : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ (آل عمران : ١٠٣) **وقال عليه الصلاة والسلام** :

« **من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات ، مات ميتة جاهلية ، ومن قتل تحت راية عمية يغضب للعصبة ويقاتل للعصبة فليس من أمتي ، ومن خرج من أمتي على أمتي يضرب برها وفاجرها ، لايتحاشى من مؤمنها ولا يفي بذي عهدها ، فليس مني** » (رواه مسلم عن أبي هريرة)[٣]

ثانياً : **ضرورة التصدي لمحاولات التفرقة** :

وإذا كانت وحدة الأمة من أسس القوة فعلى الأمة أن تكون يقظة لمحاولات التفرقة ، فإنه لأمر طبعي أن يسعى الأعداء إلى « ضرب الوحدة » باعتبارها مصدر قوة ، وقد فضح القرآن محاولات التفرقة وحث المسلمين على التصدي لها في مثل قوله تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ، وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ (آل عمران : ١٠٠ - ١٠١)

ويعلن الإسلام الحرب على المفسدين والدساسين والمنافقين والمرجفين ومرضى القلوب ، إذ أن هؤلاء جميعاً هم أعدى أعداء الأمة وأخطرهم على وحدتها وأمنها ، ويذكر القرآن هؤلاء أقبح الذكر إذ يقول : ﴿ **وَالْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ** ﴾ (التوبة : ٦٧ - ٦٨) ويقول الرسول ﷺ :

« **من أتاكم وأمركم جامع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه** » (رواه مسلم)

ثالثاً : **حراسة المنشآت الحيوية والدفاع المدني** :

■ من الحقائق الاستراتيجية أن صلابة الجبهة الداخلية ليست فقط من دعائم النصر في الحرب بل إن الروح المعنوية للقوات المسلحة ثمرة لروح الشعب وموقفه وراءها ■

■ في غزوة الخندق استطاع أحد اليهود التسلل إلى الدور التي تجمع فيها النساء في المدينة فرمته السيدة صفية بنت عبد المطلب فقتلته ■

ونظراً لامتداد الحرب الحديثة إلى عمق الدولة - كما قدمنا - فقد أصبح من الواجبات القومية على أبناء الأمة جمعاء حراسة المنشآت الحيوية كالمصانع والكباري والسدود والمطارات والموانىء ومحطات السكك الحديدية والتجمعات السكانية وغيرها من المرافق ، ويعد هذا العمل من مهام « الرباط » بمفهوم العصر ، بعد أن كان معناه في الماضي ربط الخيل في الثغور التي يتوقع هجوم العدو منها بقصد الاستعداد لرده ، فكان المرابطون يقضون الليل والنهار متأهبين للقتال لايغادرون أماكنهم حتى يحل غيرهم محلهم .

فكل الأعمال المتعلقة بحراسة المنشآت الحيوية والدفاع عنها تدخل في إطار الجهاد

والرباط من قام بها فهو مجاهد ، ومن مات وهو يؤديها فهو شهيد ، كما يشير قول النبي ﷺ : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد .. »

ولابد أن ننوه إلى أن العدو يعمد في حالة الحرب الى « ضرب العمق » لأنه المستودع الحقيقي للقوة المادية والمعنوية ، فيحرص على إحداث الخسائر في الأرواح لإضعاف الروح المعنوية وعلى تخريب القاعدة الاقتصادية ، وعلى شل المرافق العامة والخدمات الحيوية المستمرة للشعب كمرافق المياه والكهرباء والمواصلات لإحداث الارتباك والفوضى في حياته وحركته . من أجل ذلك يتحتم أن يتعاون أبناء الأمة مع أجهزة الدولة على نطاق واسع سواء في المنزل أو المدينة أو المصنع أو المدرسة ، وأن يتقدموا للتطوع في أجهزة الحراسة والدفاع المدني والإسعاف والإنذار والإطفاء والإنقاذ ، وتقوم الدولة بتدريب أبناء الأمة على هذه الأعمال وتزويدهم بالمعدات اللازمة ، فضلاً عن تجهيز الملاجىء ووسائل الانذار والمعدات التي تتطلبها أعمال الدفاع المدني .

وللمرأة المسلمة دور فعال في هذا المجال فيما تصلح له ، فمما يذكر أن يهود بني قريظة بعد أن نقضوا العهد في غزوة الخندق أرسلوا رجلاً منهم إلى داخل المدينة ، فاستطاع التسلل إلى الدور التي تجمع بها النساء والأطفال . لكن السيدة صفية بنت عبد المطلب رأته يستطلع المواضع ، فنزلت إليه فقتلته ، وبذلك خلصت المسلمين من خطر داهم ، إذ جعل اليهود يفكرون أن في داخل المدينة حراساً أشداء من المسلمين ، ليس من السهل التغلب عليهم ، لذلك قبع اليهود في حصونهم لايفكرون في الخروج .

رابعاً : وعي الأمن :

وفي وقت الحرب - وحتى قبل أن تبدأ - تنشط إلى أقصى حد إجراءات العدو للحصول على المعلومات والدعاية والحرب النفسية وترويج الشائعات والتجسس والتخريب المعنوي والمادي إلى غير ذلك من الأعمال التي يستهدف بها التأثير على عواطف وأفكار وسلوك الأمة وقيادتها نحو الاستسلام والهزيمة .

من أجل ذلك وجب أن يتسلح الشعب بالوعي الذي يحصنه ضد هذه الاجراءات ويقيه من التأثر بها ويفوت على العدو أغراضه ، وذلك بالحرص على كتمان الأسرار وعدم ترويج الشائعات ، ومعاونة السلطات في الارشاد عن الجواسيس وكبح شهوة الكلام والثرثرة والتحدث بدون حرص أمام من يعرفه ومن لايعرفه والحق أن توجيهات الإسلام في هذا المجال تجعل « الصمت » جوهراً لوعي الأمن فهو « المانع الأصيل والأكيد » لإفشاء الأسرار ؛ يقول الرسول ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » (متفق عليه) : « من سره أن يسلم فليلزم الصمت » (رواه البيهقي في شعب الإيمان)

خامساً : دور الدعاة وأجهزة الإعلام :

يوجه الإسلام إلى حشد كل الوسائل التي تدخل في مجال « الجهاد باللسان » الذي أمر به الرسول ﷺ في قوله : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » رواه أحمد والنسائي وصححه وغيرهما) ، وتدخل أيضاً في مجال النصح لله وللرسول كما يستوحى من قول الله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة : ٩١)

والنصح العام ركن من الأركان المعنوية للإسلام ، به عز المسلمون الأوائل وانتصروا على أعدائهم ، وقد قال النبي ﷺ : « الدين النصيحة ، فقيل : لمن يارسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »فالنصح العام في حالة الحرب يكون في كل مافيه مصلحة للأمة وللمجاهدين منها ، ومن ذلك مايلي :

١ - اعلام أبناء الأمة بطبيعة الحرب ومتطلباتها وتضحياتها وتزويدهم بالمعلومات والبيانات عن حقائق الموقف أو القتال وتبصيرهم بأهداف العدو وبواجباتهم ومسؤولياتهم تجاه القضية التي يقاتلون من أجلها أو الأخطار المحدقة بأمتهم .

٢ - توظيف الانتاج الأدبي والفني والثقافي وتوجيهه نحو خدمة الأهداف الوطنية والتعبئة المعنوية لأبناء الأمة .

٣ - غرس وعي الأمن ومقاومة أساليب العدو في الحرب النفسية والدعاية وكل مايستهدف تدمير الروح المعنوية للشعب والجيش وتفتيت الجبهة الداخلية .

٤ - قيام الدعاة والعلماء والمصلحين وحملة الأقلام بتزويد الأمة بسلاح العلم والإيمان وعلاج الأمراض الاجتماعية ومحاربة السلبية والجهل والترف ، والإسراف والتبذير ، وتنمية الإرادة القتالية في أبنائها .

٥ - الإعلام الخارجي والنشاط السياسي والدبلوماسي الذي يستهدف شرح قضية الأمة على الصعيد الدولي ، وكسب تأييد الرأي العام العالمي وفضح أهداف العدو وفرض العزلة عليه ، وتحييد القوى الأخرى التي قد يسعى العدو إلى جذبها نحوه ، ولنا في رسول الله ﷺ خير أسوة في هذا المجال بعقده المعاهدات مع القبائل العربية في شبه الجزيرة لكفالة حرية الدعوة من ناحية وكفالة حسن الجوار والمعاملة من ناحية أخرى ، وبكتبه إلى الملوك والرؤساء والأمراء في بلاد الروم وفارس والشام ومصر والحبشة واليمن وغيرها لدعوتهم إلى الاسلام .

الهوامش

(١) فيكونت مونتجمري : الحرب عبر التاريخ جـ ١ ص ٢٣

(٢) المقياس العلمي للنصر في الحرب هو أن يتم هذا النصر بدون او باقل قدر من الخسائر في الأرواح والمعدات و في اقل وقت ، من اجل ذلك لايعد نصراً حقيقياً بالمقياس العلمي ذلك النصر الذي تدفع به الشعوب والجيوش ثمناً اكبر من اللازم في الأرواح وفي المعدات وتستغرق في الحصول عليه وقتاً أطول من اللازم .

(٣) «مات ميتة جاهلية » : اي على هيئة موت أهل الجاهلية ، فإنهم كانوا لا ينضمون إلى جماعة واحدة بل كانوا فرقاً وعصائب يقاتل بعضها بعضاً - و « تحت راية عمية » (بضم العين وكسرها وتشديد الميم) : اي من قاتل تحت راية اجتمع اهلها على امر مجهول لايعرف انه حق أو باطل يدعون إليه ويقاتلون لأجله من غير بصيرة فيه ولا حجة عليه .

بقلم : د. محمد كمال الدين

الشباب المسلم

■■ قد لفت الانتباه مني ماكتبه الشيخ محمد الغزالي حفظه الله في كتابه «كتاب الأمة» «مشكلات في طريق الحياة الإسلامية» من أفكار وملاحظات، تميز أكثرها بأنه عملي تطبيقي، مفيد على النحو الذي تحتاجه الدعوة إلى الله في هذه المرحلة..

لفت انتباهي ماجاء تحت عنوان: «صور جديدة وعديدة للأعمال الصالحة» من دعوة الشباب المسلم إلى تحصيل علوم العصر والتفوق فيها، وتركيز كل شاب على الجانب الذي يدرسه ويعمل فيه، وألاّ يضيّع وقته في مالا يجديه من البحث في قضايا إسلامية خلافية أو تفصيلية تترك في الأصل لأهل الاختصاص ■■

وقد انطلق الشيخ الغزالي حفظه الله في دعوته هذه من إحساسه بقيمة العلوم والفنون في بناء الحضارة الإسلامية المنشودة، وفي انتصار الدعوة الإسلامية على غيرها من دعوات الباطل.. حتى إنه قال في الصفحة (٢٨): (.. **كثير من الشباب يظنون التقوى بذل وقت أكبر في القراءات الدينية، والأخذ بقدر يسير في شؤون الدنيا وعلوم الحياة، ولعمري إن الإسلام لا يكسب خيراً من هذا المسلك ولاتنتصر عقائده إذا كان أهله في بلاهة الهنود الحمر، وكان أعداؤه يملكون «مكوك الفضاء»**) **ثم نقل حفظه الله عن ابن الجوزي رحمه الله قوله:**

(ينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يتصور للآدمي صعود السماوات لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض؛ ولو كانت النبوة تحصّل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض)

ويعلق الشيخ الغزالي حفظه الله بعد ذلك قائلاً: (**وابن الجوزي من علماء القرن السادس الهجري، ولو رأى المسلمين الآن في عصر الفضاء ينظرون إلى غزاة البنو ببلاهة لحمل السوط وجلد به الظهور، وَلَبَرَأ الإسلام من هذا الانتماء المخزي**).. ثم نقل حفظه الله عن إمام الحرمين رحمه الله قوله فيمن يسد ثغرة من ثغور المسلمين:

(ولو فرض تعطيل فرض من فروض الكفايات لعمَّ المأثم الكافة على اختلاف الرتب والدرجات، فالقائم به كافٍ نفسه وكافة المخاطبين الحرج والعقاب، وآمل أفضل الثواب، ولايهون قدر من يحل محل المسلمين أجمعين في القيام لمهم من مهمات الدين)

تذكير بأهمية العلوم الإنسانية

والذي أريده في هذه السطور هو التأكيد على صواب ما دعا إليه الشيخ الغزالي حفظه الله، ثم التذكير بالعلوم الإنسانية وأهميتها للدعوة الإسلامية.. وإن كان شيخنا بارك الله فيه ما نسيها في كتابه، بل أشار إليها في الفصل الثاني منه، ومما قاله فيها:

(وأرى أن نستفيد من هذه الدراسات على ضوء من المعرفة الدقيقة بما قال الإسلام في قضاياها المتشعبة).

والذي أقصده هنا بالعلوم الإنسانية هو كل الدراسات والعلوم التي تدرس الإنسان من حيث إنسانيته، وماينتج عنها من آثار، ومايكتنفها من ظروف وبيئات.. والتي تبني أمورها العملية التطبيقية على معرفة الإنسان وخصائصه وفعالياته.. وهكذا ينضوي تحت هذا العنوان الكثير من العلوم والدراسات، كعلوم النفس والتربية والاجتماع والاقتصاد والإعلام والإدارة والسياسة والجغرافية والتاريخ والأديان واللغات والدراسات النقدية والأدبية وعلم الأخلاق والقانون والفلسفة والصحافة.. إلى غير ذلك مما لا نهدف إلى حصره وإحصائه؛ كما نلحق بها الفنون كالشعر والقصة والمقالة والمسرحية وأدب الأطفال.. وذلك لاشتراك هذه الفنون مع تلك العلوم في موضوعها وغايتها الذي هو الإنسان.. واتقاءً للخلاف حول ما يعتبر منها علماً وما لايعتبر سوف نشير إلى كل ما ذكرناه منها بقولنا «الدراسات الإنسانية».

والدراسات الإنسانية نضعها هنا مقابل العلوم التي تبحث في الجوانب المادية، كالطب والهندسة والكيمياء والفيزياء والرياضيات والكهرباء والذرة والفضاء... الخ.

دورها الخطير في عالم الأفكار

وللدراسات الإنسانية والسيطرة عليها دور خطير في نشر أية دعوة، وفي التثبيت لها وكسب الغلبة في المعترك البشري. والذي يقنعنا بدورها الخطير في نشر الدعوات وانتصارها هو فهمنا لطبيعتها ومادتها

والدراسات الإنسانية

وغايتها، ومايمكن أن يبنى عليها من أمور عملية تطبيقية على درجة عالية من الأهمية .. ويؤكد قناعتنا هذه مايعرفه الكثير منا عن الأهمية التي توليها الدعوات المنتشرة في العالم لهذه الدراسات الإنسانية، والجهود الكبيرة التي تبذلها من أجل السيطرة على تلك الدراسات والقبض على مفاتيحها ودفة توجيهها، لأن من يمسك بها فكأنما هو ممسك بزمام المسيرة الحضارية والتاريخية للبشر ..

الحركة الصهيونية والدراسات التاريخية

ولايفوتنا أن نضرب مثلاً لذلك الحركة اليهودية ودعوتها الصهيونية .. **فلقد أقنع اليهود العالم بما يزعمون لهم من حق في فلسطين. عندما سيطروا على الدراسات التاريخية في الغرب، فكتبوا التاريخ وزوروا فيه ما اشتهوا، ثم حكموا التاريخ الذي كتبوه بأيديهم، فرأي الناس هناك أن التاريخ مع اليهود .. وملكوا زمام تدريس التاريخ في جامعات الغرب، وعرفوا كيف يغرسون ماأرادوا في أذهان النخبة المثقفة ذات التأثير في المجتمع الغربي.**

ولما رأى اليهود أن إفساد الناس في صالحهم شجعوا كتابهم وصنائعهم فأتوا بالأدب المفسد، وجاء أحدهم (**فرويد**) ففسر للناس كل دوافعهم في ضوء الجنس والشهوة .. ونفخت فيه أبواق دعايتهم حتى امتد أثره المفسد إلى الأدب والفنون فضلاً عن الدراسات النفسية والتربوية، وغيرها مما تقوم عليه ثقافات الأمم، وتم ليهود صبغ الحضارة الغربية بقذارة الجنس الهابط والشهوة الحيوانية التي لا تميز .. وقادوا الناس من أنوفهم بعد أن جعلوا همهم في فروجهم.

الغزو الصليبي يعتمد الدراسات الإنسانية

إن الدراسات الإنسانية التي نجح يهود - إلى حد كبير - من خلالها بالإمساك بزمام الغرب وصنع آرائه ومواقفه من القضايا المطروحة في العالم بما يخدم مصالحهم ..

■ كثير من الشباب يظن التقوى بذل وقت أكبر في القراءات الدينية والأخذ بقدر يسير في شؤون وعلوم الحياة ! ■

■ **ما دمنا لا نمتلك حصوناً ثقافية فإن أمتنا ستبقى عزلاء أمام الغزو الثقافي بكل أنواعه واتجاهاته ولن يقوم مجتمع مسلم دون ثقافة إسلامية** ■

■ **على الشباب المسلمين وهم يسعون إلى التخصصات العالية أن يكونوا حذرين فلا تستهويهم التخصصات دون الانتباه إلى ما بعدها ..** ■

الشباب المسلم والدراسات الإنسانية

هذه الدراسات الإنسانية نفسها تحاول الصليبية عن طريقها غزو عالمنا الإسلامي ، **فمنذ جلاء جيوش الصليب عن أرض الإسلام .. اتجه الصليبيون إلى الدراسات الاستشراقية ، حتى إنهم كتبوا لنا تاريخنا وبثوا فينا سمومهم مستفيدين من معرفتهم للثغرات القائمة في بنياننا النفسي والفكري ، وقادوا حملاتهم من خلال معرفتهم لنقاط الضعف والقوة فينا ...**

الدراسات الإنسانية تربي الشعوب وتصوغ القناعات :

إن الدراسات الإنسانية تسعى إلى فهم كل شيء عن الإنسان ، وآفاقها العملية التطبيقية لاتقدر قيمتها بثمن .. إنها تعلم الإنسان كيف يربي ... كيف يربي طفله ، وكيف يربي شعبه ، بل كيف تربى البشرية كلها على مايريد ، إنها تدربه كيف يحارب أعداءه ، وكيف ينشر الاضطراب فيهم ، وكيف يهيء شعباً كاملاً لقبول مايريده هو لهذا الشعب ، إن لم يكن لجعل هذا الشعب يرى في المصير الذي يخطط له مطلباً وأمنية ، حتى ولو كان فيه موت هذا الشعب بأكمله بصورة من الصور .

والحق أن سطوراً معدودة كهذه لا تستطيع أن تبين خطر الدراسات الإنسانية وأهميتها للدعوة الإسلامية ، وقيمة تطبيقاتها في نشر الدعوة والذود عنها وغلبتها على ما سواها .. والدعوة موجهة إلى المسلمين الذين آتاهم الله علماً في هذه الدراسات أن يبين كل منهم آفاق العلم أو الفن الذي يتقنه للشباب المسلم ، حتى يعرف هذا الشباب هذه الدراسات الإنسانية ، ويدرك قدرها فلا يعزف عنها إلى ما هو أقل منها وزناً وأهمية .

مانطمح إليه

نفوسنا تطمح إلى أن ترى دعاة الحق وقد صاغوا الدراسات الإنسانية منطلقين مما لديهم من حق أنزله الله على نبيهﷺ ، ومستفيدين من الجهود البشرية الكبيرة التي قدمت في الغرب والشرق ونتج عنها ما يعرف الآن بالعلوم الإنسانية ، ثم مضيفين إليها من جهدهم وكدهم ومكملين لمسيرتها بأسلوبهم ونهجهم ليتم لهم مايمكن تسميته بعلم النفس الإسلامي ، وعلم التربية الإسلامي ، والتاريخ الإسلامي ، والاقتصاد الإسلامي ، والإعلام الإسلامي إلى آخر هذه السلسلة .. والحق أن العلوم الإنسانية هي المجموعة من العلوم التي يمكن لها أن تكون إسلامية أو نصرانية أو يهودية أو وثنية .. فهي مختلفة عن العلوم المادية حيث لا مجال في هذه الأخيرة لصبغها بصبغة معينة تؤثر في جوهرها .

وما دمنا لانملك حصوننا الثقافية فإن أمتنا ستبقى عزلاء أمام الغزو الثقافي الجاهلي بكل أنواعه واتجاهاته ، ولن يقوم مجتمع مسلم دون ثقافة إسلامية ، ولن تنشط دعوة الإسلام وهي محرومة من خير الدراسات الإنسانية ، بينما هذه الدراسات أسلحة فتاكة بأيدي أعدائها .

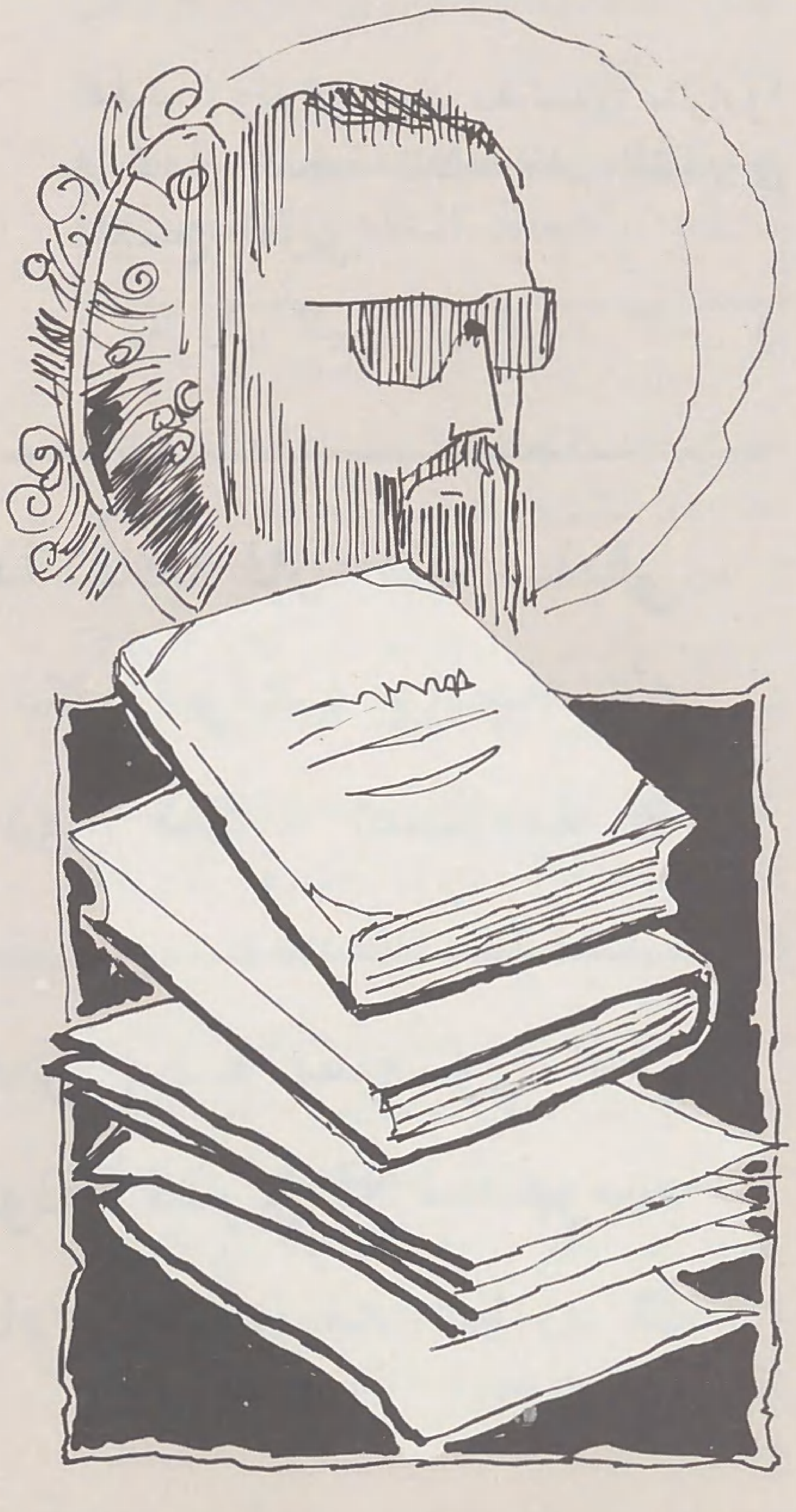

افتقار أمتنا إلى الماهرين في الدراسات الإنسانية

أما المشكلة فتظهر في افتقار أمتنا إلى الماهرين المبدعين في تلك العلوم والدراسات ، وفي وجود ثغرات في الدعوة الإسلامية ناجمة عن ذلك الافتقار .

وافتقارنا إلى علماء التاريخ المسلمين مثلاً ناجم عن أن شبابنا لايدرس التاريخ ، وإن درسه فعن غير رغبة .. وإن رغب فيه فليمتهنه مهنة تدريسية يكسب منها رزقه لا أكثر .

وفقدان علم النفس الإسلامي والإعلام والاقتصاد الإسلامي وغيرها من الدراسات الإنسانية فقداناً شبه تام ؛ يعود إلى صورة مماثلة في موقف شبابنا المسلم تجاه تلك العلوم والدراسات .

فالملاحظ أن شبابنا المسلم عندما يصل أحدهم إلى عتبة الجامعة ، وتحين لحظة الاختيار فإنه يقول « الطب » وإن لم يكن « فالهندسة » أو « الصيدلة » أو على الأقل « العلوم والفيزياء والرياضيات » فهو يعطي للعلوم والفروع المهنية أهميتها المتدرجة كما يتدرج سلم العلامات الذي تطرحه الجامعات كشرط لدخول هذا الفرع أو ذاك .

وهكذا تفوز كليات الطب والهندسة وماشابهها بكل من له تحصيل دراسي عالٍ ويتوقع له السير قدماً في تحصيل العلم والشهادات لتوفر الرغبة لديه في العلم والقدرة على الدرس والتحصيل ، ولتوفر الظروف العائلية والمعاشية المساعدة على ذلك .. أما الكليات التي تعتني بالدراسات الإنسانية والأدبية فإنها تفوز بدورها بطلاب ... الكثير منهم قد فر إلى الآداب هرباً من الرياضيات أو الفيزياء أو غيرهما .. أي أنهم في الأصل أناس يميلون إلى السهل الميسر الذي لايحتاج إلى جهد شديد

■ الذي يمسك بزمام الدراسات الإنسانية وتوجيهها فهو يمسك بزمام المسيرة الحضارية والتاريخية للبشر ■

لبلوغه .. وأحسن ما يقال في وضعهم : إن فيهم القليل الجاد القادر والراغب في إتقان مايتعلمه ، ومن هذا القليل أتى بعض من يثلج صدورنا وجودهم من كتاب ومؤرخين وباحثين نفسيين واجتماعيين مسلمين على قلتهم .. ومنهم أتى أساتذة ذوو مكانة وفضل .

والوجه الآخر للقضية هو أن الكليات العلمية والمهنية كالطب والهندسة وغيرهما تستقطب الأغلبية الساحقة من ذوي التحصيل الدراسي العالي بمن فيهم من الشباب المسلم ذوي المواهب الخاصة التي تلزم للدراسات الإنسانية .. فنرى طالب طب يهوى التاريخ وطالب هندسة يحب الشعر وكتابته .. وطالب صيدلة يعشق الفقه الإسلامي والتعمق فيه .. وطالب كيمياء تميل نفسه إلى الدراسات النفسية .. وهكذا .

ومما يجدر بنا الانتباه إليه أن تلك الفئة من الشباب التي تجمع بين القدرة على التحصيل الدراسي العالي والتمتع بمواهب وهوايات تدخل في إطار الدراسات الإنسانية هي الفئة التي يستطيع المرء أن يأمل منها أن تقدم في هذا المجال شيئاً جديداً نافعاً إن درس كل منهم ماتهوى نفسه ، وهؤلاء الشباب لايتوقع منهم أن يكونوا مدرسين في المدارس فحسب بل ربما كان منهم المؤرخ المسلم والأديب العالم باللغة العربية المسلم والكاتب المجيد المسلم في القصه أو غيرها .. ومنهم قد يكون الشاعر المسلم المرموق وعالم الاجتماع المسلم إلى غير ذلك مما تحتاجه أمة المسلمين في هذا العصر أشد الاحتياج .

فنحن لانريد مدرسين للدراسات الإنسانية في المدارس الاعدادية والثانوية فحسب ، فعمل هؤلاء وإن كان جوهرياً وهاماً لكنه لايكفي ، لأنه لايجتاز بالأمة أكثر من مرحلة محو أمية في الدراسات الإنسانية .. نحن نريد علماء كباراً ومتخصصين على مستوى رفيع ، وهذا لن يأتي إلا من موهوب آتاه الله القدرة على التحصيل العلمي في كفاءة عالية يدرس ويتعلم في مجال موهبته فيكون منه الابداع الذي ما بعده ابداع ..

الاتجاه إلى الدراسات العلمية التطبيقية دون مراعاة للمواهب والميول

أما عندما يذهب الطلبة الموهوبون موفورو الذكاء إلى كليتي الطب والهندسة وماشابههما دون اعتبار لمواهبهم ورغبات نفوسهم منساقين وراء الجانب المهني الأكثر إغراء في هذه الفروع ، عندها يصبح أحدهم مشتتاً بين واجباته الدراسية في كليته ومقتضيات النجاح فيها من درس وتحصيل من جهة ، وموهبته التي يسعى لإرضائها بمطالعاته ونشاطاته الخاصة الفردية من جهة أخرى .. وكلما تقدم في دراسته الجامعية تبين له أكثر أن الفرع الذي يدرسه يتطلب منه جل وقته إذا ما أراد الاتقان .. لكنه إن أعطى وقته كله له ضاعت موهبته وحرم متعة ممارستها ، وإن أصر على قسمة وقته بين كليته وهوايته بقي لاهنا ولاهناك . فالطبيب الذي يهوى التاريخ ـ مثلاً ـ سوف يستحيل عليه أن يكون طبيباً ماهراً ومؤرخاً في آن واحد . إذ أن مطالعة بعض كتب التاريخ لاتصنع وحدها مؤرخاً وباحثاً .. وهكذا تخسر الأمة ذكاء هذا الشاب وموهبته وقدراته الإبداعية إلى حد كبير ، فلاهو طبيب على المستوى المطلوب ولا هومؤرخ يحقق لدعوته ماتريد بل هو ضائع ممزق بين هذا وذاك ...

وعلى النحو السابق تخسر الأمة الكثير من الموهوبين في المجالات الأخرى .. ولعله من نافلة القول التأكيد على أن العصر الذي يجمع فيه إنسان واحد بين الطب والفقه واللغة والفلسفة والتاريخ .. فيكون عالماً فيها جميعاً كما كان الأقدمون .. إن ذلك العصر قد انتهى ، وعصرنا الحالي عصر التخصص الفائق بسبب ضخامة العلوم وضيق الوقت فيتوجب على الشاب المسلم أن يكون واعياً لحاجات أمته وأن يسعى إلى سد ثغورها ما أمكنه بأن يتنبه لقدراته ومواهبه الخاصة ولنقاط ضعفه ونقاط قوته فيعمل على الوصول إلى الفرع الجامعي الذي يحقق لمواهبه أن تظهر وعندها يتمكن من الإبداع وسد حاجة من حاجات الأمة ..

ولسنا ندعو الشباب المسلم إلى العزوف عن الطب والهندسة والعلوم الكونية ، بل ندعوه إلى ألا يحرم الأمة من موهبته ويدفنها هناك ، وإلى أن يدرك أن كلاً ميسر لما خلق له . والموهوبون على أية حال ليسوا أكثرية وبالتالي فعدد من سيعزف عن المهن الطبية والهندسية وغيرهما لن يكون كبيراً إذا ما وفق شبابنا بين مواهبهم ومهنهم ، والملاحظ أنه على قدر ما تفتقد أمتنا إلى المتخصصين في الدراسات الإنسانية فإنها تعاني من الأعداد الكبيرة من الأطباء والمهندسين والصيادلة وغيرهم الذين لولا الهجرة لجلس أكثرهم عاطلاً أو شبه عاطل عن العمل .

توجيه الشباب

والواجب أيضاً يقع على المربين من آباء وأمهات ومعلمين في الحذر من أن يغرسوا في نفوس أطفال المسلمين منذ الصغر حلم أن يكبر أحدهم ليصبح طبيباً أو مهندساً فلا يعود بعدها قادراً على احترام مهنة غيرهما .. وعلى المربين الاهتمام بتوجيه شباب الاسلام توجيهاً علمياً ومهنياً على أساس سليم ينطلق من مصلحة الأمة وقدرات الشباب لا من أي قيمة أخرى .

وفي الختام هناك ملاحظة حول اهتمام الشباب المسلم بالعلوم عامة كما دعا إلى ذلك **الشيخ الغزالي** حفظه الله ، وهي أنه على الشباب المسلمين وهم يسعون إلى التخصصات العالية أن يكونوا حذرين فلا تستهويهم التخصصات دون الانتباه إلى مابعدها .. هل سيفرض عليهم الاختصاص في مجال ما أن يبقوا في الغرب بمثابة لبنات في بنيانه لأن تخصصهم ليس من النوع الذي يتوفر المجال له في واقع المسلمين الآن أم لا ؟.. أي على الشباب الا ينسى واجبه ، بعد تخصصه ، نحو أمته ودعوته .. والله من وراء القصد .

الآداب الإسلامية وأثرها في آداب الغرب

■■ إن ذيوع وانتشار ما أخذه الغرب عنا في مجال العلوم التجريبية ، ومحاولة كثير من المخلصين والمنصفين ، الحديث عن هذا الجانب فقط ، قد غطى على ما أخذه الغرب من آدابنا ، وأثرها الواضح في هذا المجال ، من هنا كانت هذه الدراسة التي تحاول الكشف عما قدمته آدابنا الإسلامية لآداب الغرب ، وجلاء بعض نواحي تأثر هذه الأخيرة بها .

وقد حاولت تقديم تعريف للآداب الإسلامية كمدخل لهذه الدراسة ، ثم أشرت إلى أهم المعابر التي عن طريقها وصلت الآداب الإسلامية إلى أوروبا ، ومن ثم كان أثرها ، وهكذا تطرقت إلى أثر الشعر فالقصة ثم المسرحية في نظائرها من أجناس الأدب في أوروبا . وقد وصلت إلى مطالع القرن الرابع عشر الهجري ، وبرغم أن الفترة التي تلي ذلك حافلة بضروب التأثير العريضة والعميقة ولكنها بحاجة إلى دراسة مستقلة نظراً لتشعبها وتعددها برغم قصر عمرها الزمني بالنسبة للفترة السابقة عليها . لا سيما وقد ارتقت وسائل الاتصال وتنوعت .. ■■

بقلم : د . سعد أبو الرضا

المفهـــــوم . . .

يمكن ان يقصد بالآداب الإسلامية ، تلك الآداب التي ازدهرت في ظل قيم الإسلام ومبادئه ، ترتوي بروائه ، وتغتذي من ذلك النبع القدسي ، فتشرق على الدنيا داعية إلى الحق والخير والجمال ، ترقى بالوجدان فتمتعه ، وتنهض بالعقل فتثريه ، لأنها تسترشد بهدي كتاب الله الذي نزل تبياناً لكل شيء .

وهي آداب تتناول كل ما في الوجود من قضايا ، سواء أكانت هذه القضايا تتصل بالفرد في علاقاته بخالقه أو بغيره من البشر ، أو بما حوله من موجودات لا سيما وأقطار السموات والأرض مبسوطة لينفذ إليها الإنسان .

وقد تستشرف هذه الآداب ما بعد هذا العالم ، من جنة للمتقين ، وعذاب للطغاة العاصين .

وهكذا تتخذ الآداب الإسلامية من التصور الإسلامي للحياة جوهراً لها ، لتجول في كل القضايا ، ما يدركه الحس ، ويلمسه الواقع ، وما تعمر به الوجدانات والنفوس ، وما يتراءى خلال ذلك .

والأديب المسلم يشكل تفاعله بكل هذه القضايا شعراً وقصة ومسرحية ، وغيرها من فنون القول ، متخذاً من لغته العربية وخصائصها الجمالية وسيلة لإبراز كل ذلك .

وهنا نشير إلى أن **الأدب الفارسي ، والتركي** وغيرهما من الآداب التي نمت في ظل الإسلام ، تدخل في إطار مفهوم الآداب الإسلامية ، ولكن حبذا لو ترجمت إلى العربية ، فيتوحد الإطار الفني لهذه الآداب ، كما نأمل أن ينهض الأدب المقارن بأداء دوره في تحقيق هذا الإطار وتركيز وجوده الفني والروحي .

المعـــــابر . . .

ولقد كان تأثير الآداب الإسلامية في الآداب الأوروبية ، أمراً ينكره المتعصبون ، ومن الصعب الاعتراف به ، لكن العصر الحاضر ، وما صحبه من تطور في حرية الفكر ، جعل المنصفين من الغرب والشرق يعترفون بما لحضارة الإسلام وآدابه من أثر في نهضة العالم الفكرية ، هذا بالإضافة إلى نشاط الدراسات المقارنة بين الآداب ، ونتائج ذلك في هذا القرن .

وتعد الآداب الإسلامية من بين تراثنا ، وثمار حضارتنا التي انتقلت إلى أوروبا عبر الدردنيل والأندلس وصقلية ، وهذه من أهم المعابر والمنافذ التي تم من خلالها اتصال الفكر الغربي بآدابنا الإسلامية .

فلقد استمر حكم المسلمين للأندلس زهاء ثمانية قرون ، أضاءت فيها مشاعل المسلمين مختلف جوانب الحياة الفكرية ، والأدبُ في مقدمتها .

وقد استغرق تأثير الإسلام كل مرافق الحياة في إسبانيا في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، فلما سقطت طليطلة انتشر هذا التأثير في أوروبا .. كما كان بلاط الفونس السادس في القرن الخامس الهجري

■ **لن ينسى التاريخ ما نقل الصليبيون من العلوم والفنون والآداب والمخطوطات الإسلامية إلى أوربا، وما كان لتلك الروافد من أثر عميق في الحضارة الغربية في مختلف المجالات العلمية والثقافية والأدبية فضلاً عن الاحتكاك الكبير الذي حدث في الأندلس، والذي تتلمذت أوروبا من خلاله على المسلمين..**

● **استمد الأدب الايطالي الحديث، أصوله من شعراء المسلمين (التروبادور) الذين قامت على تقليدهم مدرسة الشعر الصقلية.**

ـ النصراني اسماً ـ مصطبغاً بالثقافة الإسلامية، (وقد أعلن نفسه في طليطلة «إمبراطور العقيدتين»)، **واصبحت طليطلة مقصداً لطلاب العلم والمعرفة من كل انحاء أوروبا، حتى من انجلترا مثل روبرت الانجليزي Robertus Angelicos. الذي يقال إنه أول من ترجم القرآن، وميخائيل سكوت وغيرهما.**

كما كان **الفونس الحكيم** من أكبر دعاة الثقافة الإسلامية في إسبانيا النصرانية، وقد كان ملكاً لقشتالة وليون في القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري)، وقد تم تأليف عدد كبير من الكتب تحت إشرافه، تلك الكتب التي جمع أكثرها من المصادر العربية والإسلامية.

وحين كانت اوروبا ترزح تحت نير الجهل والفساد، كان المسلمون الاسبان قد اقاموا حضارة زاهرة، وحياة فكرية منظمة، وقد ادت إسبانيا الإسلامية دوراً مهماً في تطور الفن والعلم والفلسفة والشعر، واتسعت دائرة تاثيرها حتى تجلى هذا التاثير في ارفع اعلام الفكر النصراني في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، أي: عند توما الإكويني ودانتي، وكانت إسبانيا في ذلك الوقت مشعل النور في أوروبا.

ولقد وفد الأوروبيون إلى الأندلس سواء للتجارة أو الرحلة أو طلب العلم والمعرفة، وحتى رجال الدين أيضاً، ونهل هؤلاء وأولئك من الآداب والعلوم ما استطاعوا.

يضاف إلى ذلك أن الأندلسيين أنفسهم قد تعلموا اللغة العربية مع لغتهم الإسبانية (بقايا اللاتينية)، وأسهموا في نشر هذه الآداب والعلوم في شمالي إسبانيا، وجنوبي فرنسا وإيطاليا.

وفي مقاطعة **بروفانس** مثلاً في جنوبي فرنسا، تكون مجتمع مختلف تماماً في عاداته وتقاليده واعرافه عن بقية مجتمعات أوروبا، وذلك نتيجة اتصالهم بالمسلمين في الأندلس.

وفي **جزيرة صقلية**، استمر حكم المسلمين أكثر من قرنين خلفوا فيهما ثروة من العلوم والآداب، أفاد منها الأوروبيون.

ويعتبر عصر **الامبراطور فردريك الثاني ملك صقلية** في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) (١١٩٤ ـ ١٢٥٠م)، والذي كان يتصل بألمانيا ـ يعتبر عصره قمة التأثير العربي الإسلامي في صقلية، إذ كان هذا الرجل فيلسوفاً مفكراً يتكلم عدة لغات مدركاً لأهمية الثقافة العربية الإسلامية، من ثم فقد جمع في بلاطه كثيراً من العلماء والشعراء والأدباء المسلمين، كما راسل كثيرين من رجال العلم والأدب في طول العالم الإسلامي وعرضه، واتصل بحضارة الإسلام أكبر اتصال.

وفي بلاط هذا الملك، نشأت مدرسة الشعر الصقلية التي أسهمت في وضع أسس الأدب الإيطالي الحديث كما يقول المستشرق «جب»، والذي يؤكد على أن الشعراء النصارى كانوا يحتذون حذو الشعراء المسلمين التروبادور الذين كانوا يتجمعون في بلاط الملك فريديك الثاني.

بل إن تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ليشهد بأن هذا **الملك فريدريك** قد أسس جامعة نابلي سنة ١٢٢٤م لنقل الفكر والعلم العربي إلى العالم الغربي.

ولن ينسى التاريخ الاحتكاك القوي بين الغربيين والمسلمين في الحروب الصليبية، حيث تم نقل كثير من العلوم والفنون والآداب والمخطوطات التي توجد في كبريات مكتبات ومتاحف أوروبا.

ومع هذا التفاعل، وتوثق الاتصال بين عالمنا الإسلامي والغرب، وجد هذا الأخير في تراث الإسلام ـ ومن بينه الآداب ـ ما يمكنه من وضع أسس نهضة في مختلف جوانب الحياة، هيأته للدور القيادي الذي يقوم به، من ثم كانت النهضة في فرنسا وبقية دول أوروبا والعالم.

وهكذا يشهد الفكر الأوروبي في القرن السابع عشر ـ قرن النهضة الأوروبية ـ الأثر الجلي الواضح لآداب المسلمين وفكرهم، وكلما تطور الزمن واتسعت حرية الفكر وازدهرت الدراسات المقارنة، كلما تكشفت الأمور عن أثر جديد لآدابنا الإسلامية في آداب الغرب، لذلك نجد قرننا حافلاً بالكثير مما اكتشف في هذا المجال.

ويمكننا أن نشير إلى بعض المصادر التي سجلت هذه الظاهرة فحاولت رصد آثار الآداب الإسلامية في الآداب الأوروبية مثل:

١ ـ **الإسلام والكوميديا الإلهية**: **لميجويل آسين بلاثيوس** الذي طبعت ترجمته الانجليزية في لندن سنة ١٩١٩م، وقد أشار في مقدمته إلى ما انتقل إلى إسبانيا من تراث الإسلام الفكري والروحي والأدبي، ثم عرض للمصادر الإسلامية التي أثرت في الكوميديا الإلهية لدانتي ومنها المعراج ورسالة الغفران.

٢ ـ **تراث الإسلام**: **تاليف الفرد جيوم وآخرين**، ثلاثة أجزاء. من بين ما تحدث عنه هذا الكتاب: أثر آداب الإسلام في مختلف آداب الغرب، بجانب تناوله لكثير من ألوان الثقافة الإسلامية في مختلف العلوم والفنون، وقد ترجمته لجنة الجامعيين لنشر العلم بالقاهرة سنة ١٩٣٦م، ثم قامت سلسلة عالم المعرفة التي تصدر في الكويت بنشره منذ سنة ١٩٧٨م.

أولاً ـ في الشعر:

أثرت الآداب الإسلامية في الآداب الأوروبية شكلاً ومضموناً، والأمثلة على ذلك كثيرة، ويمكن أن نجتزىء بمثالين في مجال الشعر يوضحان وجهة النظر هذه:

اما اولهما: فهو أثر «المعراج الإسلامي» وما يتصل به من قصص أدبي إسلامي في القصص الديني الأوروبي، كما تمثله قصيدة «**الكوميديا الإلهية» لدانتي اليجيري الإيطالي**، التي كتبها في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي).

الآداب الإسلامية وأثرها في آداب الغرب

ومنذ أن كتب **دانتي** هذه القصيدة ، وهي تلفت نظر المفكرين الأوروبيين ، وتستحوذ على إعجابهم ، لما قدمته من تصور للحياة الأخرى بشقائها ونعيمها ، بحيث أسهم هذا التصور في ثقافة الناس في أوروبا بالنسبة لما بعد الموت حتى مطالع القرن الحالي ، وربما كان ذلك لجهلهم بالأدب الإسلامي ، أو تجاهلهم له .

إلى أن أعلن **المستشرق الاسباني آسين بلاثيوس** سنة ١٩١٩م ، أن **دانتي** متأثر بالمعراج الإسلامي تأثراً كبيراً ، يكشف عنه التماثل في دقة التفاصيل بين الكوميديا الإلهية والمعراج الإسلامي ، تماثلاً لا يمكن ردّه إلا إلى تأثر **دانتي** العظيم ، واستفادته الكبيرة من « **المعراج الإسلامي** » وما يتصل به من قصص إسلامي ديني ، كما ورد عند **ابن مسرة** وتلميذه **ابن عربي الأندلسي** في « **الفتوحات المكية** » ، وفي « **رسالة الغفران** » **لأبي العلاء المعري** ، وغيرهم بالإضافة إلى تفسيرات المفسرين المسلمين للقصة وتعليقاتهم عليها .

هذا وقد ترجم كتاب **بلاثيوس** « **الإسلام والكوميديا الإلهية** » ملخصاً إلى الانجليزية سنة ١٩٢٦م .

والتشابه الذي تتبعه بلاثيوس يقطع كل شك حول اتصال **دانتي** بقصص « **المعراج الإسلامي** » والقصص الديني المتصل بالجنة والنار ، ويؤكد أن هذا القصص كان المادة التي اعتمد عليها **دانتي اليجيري** في قصيدته « **الكوميديا الإلهية** » .

ذلك أن تفاصيل قصيدة **دانتي** في « **الجحيم والمطهر والفردوس** » هي التفاصيل نفسها التي توجد عند **ابن عربي** المتصوف الأندلسي في « **الفتوحات المكية** » ، أو عند **أبي العلاء المعري** في رسالة الغفران ، وعند غيرهما من المسلمين ، ممن تناولوا هذا القصص الديني الذي يتعلق بالأخرويات .

بل إن النظام الهندسي والأخلاقي للجنة والنار ، وتصميمهما متطابق تماماً مع ما ورد بشأن ذلك في « **المعراج الإسلامي** » ، وما يتصل به من قصص أدبي ديني للمسلمين .

والمعاني الأخلاقية والرموز الفنية متماثلة ، من حيث إن هذه الرحلة رمز لحياة الإنسان الأخلاقية ، وإن المنازل النورانية التي توجد في الجنة ، لا يبلغها الإنسان إلا عن طريق العناية الإلهية . وهو ما أشار إليه الصوفيون المسلمون قبل **دانتي** .

هذا بالإضافة إلى أن المتتبع للجزئيات الدقيقة سوف يلمس هذا التماثل أو التقارب من حيث مهمة الدليل ، ودركات العذاب في النار ووصف الشيطان ومنازل الجنة ، والحوريات ، والصراط ، والأعراف ، ودخول الأبرار الجنة ، والشجرة الواردة في القرآن ... والشخصيات الثانوية الأخرى التي توجد في القصص الديني الإسلامي ، وكوميديا **دانتي** .

بل إن هناك من يرى تماثل الغموض الأسلوبي في قصة عروج **ابن عربي** وقصيدة **دانتي** .

ولم تكن المجتمعات الأوروبية وخاصة الإيطالي ، لتقبل مثل هذا الرأي في شاعرها الكبير **دانتي** ، من ثم فقد انبروا للرد عليه ، لكن **آسين بلاثيوس** جمع كل هذه الاعتراضات ، وقام بالرد عليها ، وقد ألحق هذا الرد بالطبعة الثانية من دراسته « **الأخرويات الإسلامية في الكوميديا الإلهية** » يتلوها تاريخ ونقد المساجلات ، وذلك في عام ١٩٤٣م ، ومن أهم الحجج التي فندها ادعاؤهم أن ما في الكوميديا الإلهية من أمور تتعلق بالأخرويات مصدرها الفكر النصراني الأوروبي ، لكن **بلاثيوس** بيَّن :

أولاً : تطور وتحوير ومخالفة تصور **دانتي** للأخرويات في الكوميديا الإلهية ، عما ورد في الفكر الديني النصراني والقصص الديني النصراني ، متصلاً بهذه النقطة .

ثانياً : تأثر قصص العروج النصراني وغيره من العروجات الأخرى ، والقصص الديني النصراني بالتصورات الإسلامية للأخرويات كما جاءت في « **المعراج الإسلامي** » والقصص الديني المتعلق به ، الذي كان منتشراً وذائعاً في بيئة **دانتي** ، وقبيل ميلاده ، وهذا كان أقرب ما يكون إلى الفرض منه إلى الدليل ، برغم دقة وعمق بحث **بلاثيوس** في المصادر الإسلامية للكوميديا الإلهية .

حيث إن **بلاثيوس** قد اعتمد في هذا الفرض ، على أن اتصال **دانتي** بالمعراج الإسلامي ، كان عن طريق « **برونتو لاتيني** » أستاذ **دانتي** وصديقه ، الذي كان سفيراً لبلاده في بلاط **الملك الفونس الحكيم** في نهاية القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) حيث عاش **دانتي** .

إلى أن جاء الدليل القوي على صحة ما توصل إليه **بلاثيوس** ، فيما نشره « **انريكو اتشرولي Enrico Cerulli** » **الإيطالي سنة ١٩٤٩م** ، حيث نشر الترجمتين اللاتينية والفرنسية لكتاب عربي في « **المعراج** » كان قد ترجم من العربية إلى اللغة الإسبانية القشتالية ، وقد تمت الترجمات الثلاث سنة ١٢٦٤م في عهد **الفونس الحكيم** في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ، أي قبيل ميلاد دانتي (ولد سنة ١٢٦٥ ـ وتوفي سنة ١٣٢١م) .

وقد زاد **اتشرولي** الأمر تأكيداً بإضافته إلى الترجمتين السابقتين اللتين وضعتا في صفحتين متقابلتين ، كثيراً من الشواهد ، بعضها يدل على معرفة وانتشار « **كتاب المعراج** » في الآداب الأوروبية ، حتى القرن التاسع الهجري

● **كلما ازدهرت الدراسات المقارنة ، كشفت عن مزيد من تأثير آدابنا الإسلامية في آداب الغرب ، الذي وجد في تراث الإسلام ما مكّنه من وضع أسس نهضته في مختلف الجوانب ، ومنها الآداب ..**

(الخامس عشر الميلادي) ، وبعضها نصوص تتضمن معلومات عن الأخرويات الإسلامية ، في كتب المؤلفين الأوروبيين ، من القرن الثالث حتى القرن الثامن الهجريين (أي من القرن التاسع حتى القرن الرابع عشر الميلاديين) ، وهي تتصل بالجنة والنار ، بذلك يجد الباحث المادة العلمية التي تمكنه من المقارنة ، والوصول إلى أن كتاب « **المعراج الإسلامي** » ، وما يتعلق به من أخرويات ، كان منتشراً بعدة لغات في فرنسا وإيطاليا وإسبانيا ، خلال القرنين السابع والثامن الهجريين ، وهي الفترة التي عاش فيها **دانتي** .

يضاف إلى ما سبق ، ما قدمه « خ.منيوث سندينو » الذي نشر ـ في السنة نفسها التي أعلن فيها أتشرولي أدلته ١٩٤٩م ـ الترجمات الثلاث « **للمعراج الإسلامي** » الإسبانية واللاتينية والفرنسية ، التي تمت في عهد **الفونس الحكيم** ، وبأمر منه ليذيع انتشار هذه القصة ، وذلك في القرن السابع الهجري (سنة ١٢٦٤م) .

وهكذا يتضح في جلاء تأثر **دانتي** الشاعر الإيطالي الكبير بالمصادر الإسلامية في قصيدته المشهورة « **الكوميديا الإلهية** » سواء أكان هذا التأثر بقصة « **المعراج الإسلامي** » أو ما يتعلق بها من قصص ديني وشروح وتفسيرات للمفسرين المسلمين .

أما الانموذج الثاني الذي يوضح أثر الآداب الإسلامية في الشعر الأوروبي ، شكلاً ومضموناً فهو :

شعــر التروبـــادور . . .

وقد كان شائعاً في مقاطعة « **بروفانس** » بجنوبي فرنسا ، حيث إن معنوياته ، وأخلاقه وما به من ضروب الشهامة والفروسية ، وحسن الذوق ، وجميل التصرف ، لم تكن بحال من الأحوال لتنسب إلا إلى تأثير الآداب العربية الإسلامية ، التي سادت المجتمع العربي الإسلامي في الأندلس ، لأن المجتمعات الأوروبية في ذلك الوقت ، كانت ذات تقاليد مختلفة تماماً ، عن تلك الأعراف والتقاليد العربية الإسلامية ، فهذه الأخيرة كانت تحض على الحفاظ على الأخلاق ، وصون المرأة ، وصيانة العرض . حتى لقد شاعت في شعر **التروبادور** فكرة الحب العفيف المفضي إلى الموت ، وهي فكرة عربية إسلامية شاعت بين الشعراء العرب العاطفيين ، وهو التصور الذي أسماه **بلاثيوس** التصور الرومانتيكي والمثالي للمرأة ، ويتميز بالحب المفرط في الروحانية .

ولم يكن يجد ذلك العشق مثله الأعلى في الفتاة ، وإنما كان يجده في الزوجة الشرعية ، التي كان لتقديرها ، وخدماتها سلطان أخلاقي أثر في حياة الشاعر ، فجعلها حياة غنية ونبيلة وطاهرة . وهي أمور لم تعرفها أوروبا في العصور الوسطى ، التي انتهكت فيها المرأة وحطّ من قدرها .

ومن حيث الشكل ، فإن تقاليد جانب كثير من شعر **التروبادور** كانت تناظر تقاليد الشعر العربي الإسلامي في مجتمع الأندلس ، لا سيما من حيث القافية ، والوزن العربي الذي سارت عليه الموشحات ، وها هو ذا « **جوستاف فون جرنباوم** » يقول :

« والحق ان الشعر البروفانسي يكاد يكون شرقياً عربياً من جميع الوجوه ، خاصة من حيث الشكل والموضوع ، مع ملاحظة ان الطرز الأصيلة لجميع انواع الاناشيد التي ألّفها التروبادور كانت موجودة في شعر العرب الاندلسيين وشعر آبائهم » .

وهكذا يتأكد التشابه بين **الزجل الأندلسي** ، وبين **شعر التروبادور** من حيث الأوزان والقوافي ، التي لم تلتزم قبل ذلك في الشعر الأندلسي والاسباني ، بل يذهب بعض المفكرين إلى أن القافية عموماً في الشعر الأوروبي ، إنما هي أثر من آثار الشعر العربي الإسلامي ، هذا فضلاً عن الروح الإسلامية التي تمثلت في العفة والتصون ، والحفاظ على المرأة ، وسمو علاقة الرجل بها .

ولقد بلغ الأمر أن بعض الباحثين يميل إلى أن كلمة « **تروبادور** » عربية ، أصلها (**دور طرب**) ثم حرّفت .

وإذا كان بعض المستشرقين ينحو إلى التقليل من قيمة هذا الأثر للآداب الإسلامية في الآداب الأوروبية اعتماداً على أن شعر **التروبادور** كان شعراً شعبياً ، فإن هذا الزعم يتهاوى إذا ما عرفنا أن هذا الأثر شمل الآداب الشعبية وغيرها ، وذلك بالنظر إلى أثر الآداب الإسلامية في الأنموذجين اللذين أوردناهما في هذه الدراسة ، وهما : الأثر الإسلامي في « **الكوميديا الإلهية** » وشعر « **التروبادور** » علماً بأن أثرهما في مجال فكر الشعوب وحياتها النفسية والاجتماعية كان عظيماً جداً .

وفي هذا المجال نشير إلى ما كان للشعر الفارسي خاصة سعدي وحافظ الشيرازيين من أثر في « **جوتة** » الألماني في ديوان الشرق والغرب ، وكذلك الشاعر الألماني الآخر « **بلاتن** » في مجموعته « **مرآة حافظ** » .

هذا وقد قام المستشرق الألماني « فيتزجرالد » بترجمة رباعيات **عمر الخيام** ، كما حاولت الرومانتيكية في ألمانيا في القرن التاسع عشر الاتصال بالشعر الشرقي من مدخل إنساني ، حتى لقد شغل هذا الأدب الشرقي حيزاً كبيراً في تاريخ الأدب الألماني في هذه الفترة .

ثانيـاً ــ في مجـال القصـــة :

ولقد كانت مجموعة القصص الأندلسية تؤلف مجموعة من الثقافة الإسلامية والإسبانية ، كما كانت بدء انقلاب هام في تاريخ الأدب الأوروبي الحديث ، يتمثل في ظهور القصة الحديثة **Novel** ، ظهر ذلك جلياً عند

● « الكوميديا الإلهية » للشاعر الايطالي دانتي ، والتي اعتبرت مأثرة أدبية رائدة في الغرب ، مأخوذة بكل تفاصيلها وجزئياتها عن قصة « المعراج » التي كانت قد ترجمت إلى عدة لغات أوربية وانتشرت هناك في أيام « دانتي » .

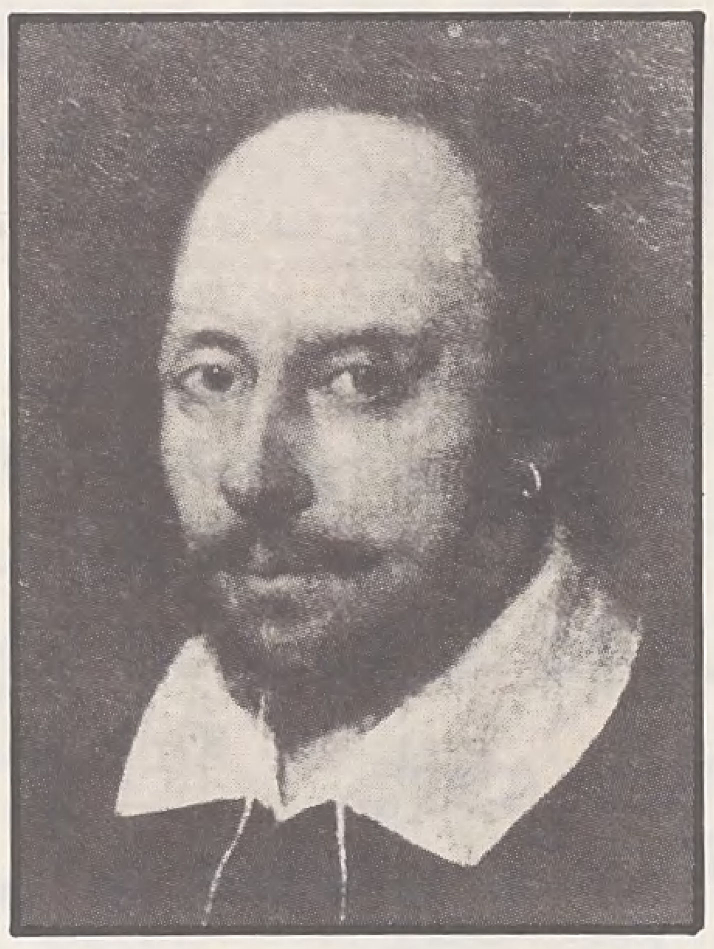

■ شكسبير : هل تأثر في مسرحيته «**ماكبث**» بقصة زرقاء اليمامة ؟ ■

■ دانتي : صاحب الكوميديا الإلهية ... تأثر بقصة المعراج ، ورسالة الغفران للمعري ؟ ■

سرفانتس Cervantes الذي يعتبر مديناً للثقافة الأندلسية بالشيء الكثير في قصته دون كيخوته **Don Quixoto** كما صرح بذلك **بريسكوت Presscott** لما لاحظه من فطنة ولباقة وغير ذلك .

ومن القصص الإسلامية التي كان لها أثر في آداب الغرب ، قصة « **حي بن يقظان** » للاديب الطبيب الفيلسوف **ابن الطفيل الاندلسي** ، في القرن السادس الهجري (الثالث عشر الميلادي) ، ويمكن أن يكون ابن سينا في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) أول من كتب رسالة على هذا النحو ، وتسمى « **رسالة حي بن يقظان** » وهي ذات مضمون صوفي رمزي .

وتعالج قصة **ابن الطفيل** فكرة الاهتداء إلى الله ومعرفته عن طريق العقل والتجربة معاً ، خلال النظر في آيات الله سبحانه وتعالى ، يرفده في هذه القصة ثقافة دينية وأدبية وفلسفية ، جعلت من عمله هذا إسهاماً حضارياً فكرياً فتن به متأدبو الشرق والغرب .

وتتلخص هذه القصة في أن **حي** هذا اسم لطفل ، وجد على جزيرة من جزر الهند ، لا يوجد عليها بشر سواه ، فتلقته ظبية حنت عليه وربته لأنها حسبته رضيعها المفقود ، ومع نمو الطفل بالتدريج أخذ يدرك كثيراً من الأفكار السليمة ، واهتدى إلى أن للكون خالقاً ، أخذ يتوجه إليه بالعبادة والتضرع ، ثم التقى بمتصوف آخر هبط على هذه الجزيرة بغية الاعتزال يقال له « **ابســال** » كان يعبد الله في جزيرة أخرى ، ولكنه أخذ يعلم **حي بن يقظان** اللغة ثم الشرائع ، واهتديا معاً إلى « أن هذه الحقائق التي عرفاها بالفطرة والعاطفة لا سبيل لها إلى قلوب العامة ، وأدركا حكمة الشريعة في مسايرتها عقول الناس على قدر ما تيسر لهم فهمه » .

هذا وقد ترجمت قصة « **حي بن يقظان** » **لابن الطفيل** إلى العبرية في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، ثم في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) إلى اللاتينية بعنوان « **الفيلسون المعلم نفسه** » ، ومن اللاتينية إلى الانجليزية ، وقد تأثر بها الكاتب الإسباني « **بلتاسار جراثيان Baltosor Gracion** » في قصة (**النقاد**) **Criticon** وهي مقسمة إلى

الآداب الإسلامية وأثرها في آداب الغرب

ثلاثة أجزاء هي : في ربيع الطفولة ، ثم في خريف عهد الرجولة ، ثم في شتاء الشيخوخة ، وهي نقد للعاداتِ والتقاليد في عصر المؤلف .

ويرى بعض المفكرين أن **دانيل ديفو** تأثر في قصته « **روبنسون كروز** » بقصة **ابن الطفيل** لا سيما وقد انتهى بطلا القصتين إلى معرفة الله سبحانه وتعالى والاهتداء إليه وإدراك هيمنته على الكون ، هذا برغم اختلاف نظرة كل منهما ، من حيث إن **حي بن يقظان** كان فلسفي النظرة ، بينما كان **روبن** عملياً واقعياً .

وقد ترجمت قصة **حي بن يقظان** إلى الفرنسية والروسية في مطالع القرن الرابع عشر الهجري .

ومن ذلك ايضاً « **قصيدة يوسف** » عليه السلام المجهولة المؤلف والتي تنتسب إلى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، والمأخوذة عن **القرآن الكريم** ، والمصادر العربية الأخرى ، وهي مكتوبة بحروف عربية على الرغم من أن كلماتها إسبانية ، وشعرها فرنسي ، وهي مثال لما يعرف في إسبانيا والبرتغال بالأدب الأعجمي .

ولقد نقل المسلمون « **كليلة ودمنة** » إلى إسبانيا ، وظهر أثرها واضحاً عندما وظفت القصة في تقديم المواعظ والدروس الأخلاقية كما في مجموعة **خوان مانويل ابن أخي الفونس الحكيم** ، وهي مجموعة قصصية بعنوان « **بترونيو واكوند لوكانور** » في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، إذ يسأل **الشريف** وزيره **بترونيو** النصح في بعض مشاكل الحياة والحكومة ، فيجيبه **بترونيو** عن سؤاله بقصة فيها الجواب ، وقد ردت كثير من هذه الأقاصيص إلى أصلها الشرقي ، بل عثر فيها على عبارات كانت شائعة يومذاك مكتوبة بحروف إسبانية بنطقها العربي .

وإذا كانت كليلة ودمنـة قد أسهمت في تطور أنواع أخرى من الحكاية في الشرق كـ « **المقامات** » و « **الف ليلة وليلة** » ، فقد أدت هذه النماذج إلى تأثر الآداب الأوروبية بها تأثراً واضحاً ، لاسيما وقد طبعت عدة طبعات في الغرب ، ولكن نظراً لاختلاط المصادر الإسلامية بغيرها فيها ، فقد اكتفينا للتدليل على موضوع الدراسة بالنماذج التي أشرنا إليها ، وهي نماذج إسلامية خالصة ، تتضح فيها الفكرة الإسلامية ذات الطابع الأخلاقي .

ويضاف إلى ما سبق أثر مقامات بديع الزمان الهمذاني ، والحريري في الآداب الأوروبية ، ولكن الذي قصدنا إليه هو إبراز النماذج ذات المضمون الإسلامي الواضح ، والشكل الإسلامي المتميز .

خاتمـــة :

وهكذا يمكن أن نأتي إلى خاتمـة هذه الدراسة بعد أن حاولنا تقديم مفهوم للأدب الإسلامي ، لا ندَّعي أنه نهاية المطاف ، بل نأمل أن ترفده محاولات أخرى لتحقيق كثير من جوانبه ، وإثرائها ، لا سيما خصائص اللغة التي يصاغ بها الأدب الإسلامي ، والتي نرى أنها اللغة العربية ، اعتماداً على أنها لغة القرآن الكريم دستور هذه الأمة الإسلامية ، ومقوم حياتها ، ديناً ودنيا ، وإن كان هناك من يرى أن تكون هناك « **لغـات إسلامية** » حتى ينفسح مفهوم الأدب الإسلامي انفساحاً كبيراً ، ولست أتصور كيف تكون هناك لغة إسلامية غير العربية ، التي بها نصلي وبها ذاع الإسلام وانتشر ، بل وأصبحت اليوم من بين لغات العالم الهامة في المحافل الدولية .

وفي تصوري أننا يجب أن نعتني بهذه اللغة العربية التي حفظها القرآن الكريم ، والتي تعد الرابطة الروحية بين المسلمين والتي بها يقرأون كتاب الله العزيز . وليس معنى ذلك أننا نقف حجر عثرة في وجه تعلم أية لغة غير العربية ، كلّا ، إنما نحن حريصون أولاً على إجادة العربية ، وثانياً ندعو إلى أن يجيد كل مسلم ما يستطيع من اللغات غير العربية ، ففي ذلك ثراء لفكرنا وأدبنا الإسلامي .

كما أشرت إلى أهم المعابر التي تم من خلالها الاتصال بين الأدب الإسلامي والآداب الأوروبية ، علماً بأن هناك وسائل أخرى كرحلات العلماء والتجار وغيرهم أسهمت في توثيق هذا الاتصال ، لكنها تابعة لهذه المعابر .

ولقد كان عرضي لأثر الشعر الإسلامي قائماً على أساس المضمون والشكل كما ظهر في الجحيم **لدانتي** وشعر **التروبادور** ، وإن كانت هناك فوارق في بعض التفصيلات لكنها لا يمكن بأية حال ان تخفي أثر الآداب الإسلامية شكلاً ـ ومضموناً ، كموقف **دانتي** في المطهر .

وكذلك ما عرضته لأثر القصة الإسلامية ، وإن كانت الجوانب الموضوعية في هذا الصدد أكثر خصوبة وثراء من الجوانب الشكلية ، لأنني لا أتصور أن يكون ما عند الغرب في هذه الناحية صورة طبق الأصل الإسلامي ، فللفن وسائله التي تتعدد بها وجوه الفكرة من مكان إلى مكان .

وكم كنت أود أن أشير إلى بعض جوانب ذلك في المسرح الغربي ، لكن الظاهرة الإسلامية بحاجة إلى تدقيق وتقصٍّ ، وإلَّا فهناك ما يشير إليه كثير من الباحثين ويتمثل في الآثار المتعددة للأدب العربي في أدب **شكسبير** ، وما لاحظوه من تماثل وتناظر ، فهناك مثلاً شبه كبير بين قصة « **زرقــاء اليمامة** » المعروفة وبين مسرحية « **ماكبث** » لشكسبير ، ففي « **رنات المثالث والمثاني** » . رات **زرقاء اليمامة** شجراً يسير ، وما كان هذا الشجر سوى أعداء قومها ، وقد حمل كل بطل شجرة قدر طاقته ، ليتخفى وراءها أثناء التوجه لغزو قوم **زرقاء اليمامة** ، الذين لم يصدقوا ما راته **زرقاء** وما أخبرتهم به ، حتى فوجئوا بالأعداء كما وصفت **زرقاؤهم** وحلت بهم الهزيمة .

وقد وردت فكرة الغابة المتحركة في مسرحية « **ماكبث** » **لشكسبير** ، إذ بينما كان القائد **ماكبث** متحصناً في قلعته ، إذا بأحد الحراس يسرع إليه ليخبره بأن غابة « **برنام** » تتحرك ، وفي الحقيقة ، لم تكن الغابة سوى جيش **مالكولم** الذي جاء متقدماً نحو القلعة ، ومتستراً بأغصان الأشجار ، مما بدا للحارس كانه غابة « **برنام** » تسير ، ومن هنا أخذ **ماكبث** على غرة .

ويذهب بعض المفكرين إلى أن فكرة مسرحية « **عطيل** » لشكسبير يمكن أن تكون مستوحاة من حكاية « **التاجر الذي عاد من الغربة** » وهي إحدى **حكايات خوان مانويل** التي وضعها في القرن الثامن الهجري تقريباً ، ويتمثل فيها مغزى **مسرحية عطيل لشكسبير** .

لكن مثل هذا في نظرنا أقل من أن يمثل الظاهرة الإسلامية في الأدب وتأثيرها في آداب الغرب ، لا سيما ونحن نتحرى هذه الظاهرة شكلاً ومضموناً ، ونحن نحاول التأصيل للأدب الإسلامي ونقده .

مصادر البحث :

١ ـ الإسلام منهج حياة ـ فيليب حتي . ترجمة : د. عمر فروخ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت .

٢ ـ الأدب المقارن ـ د . محمد غنيمي هلال .

٣ ـ الأدب المقارن ـ نجيب العقيقي . الأنجلو المصرية .

٤ ـ التاريخ الإسلامي وأثره في الفكر التاريخي الأوروبي في عصر النهضة ـ د.جمال الدين الشيال ـ دار الثقافة بيروت .

٥ ـ تراث الإسلام : تاليف الفرد جيوم وآخرين (ثلاثة اجزاء) ترجمته لجنة الجامعيين لنشر العلم بالقاهرة سنة ١٩٣٦م . ثم قامت سلسلة عالم المعرفة في الكويت بنشره سنة ١٩٧٨م .

٦ ـ تراثنا بين ماض وحاضر ـ د.بنت الشاطىء . ط.دار المعارف سنة ١٣٨٩هـ (١٩٧٠م) .

٧ ـ حضارة الإسلام واثرها في الترقي العالمي ـ جلال مظهر ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة .

٨ ـ دراسات في الأدب المقارن ـ د . محمد عبد المنعم خفاجي .

٩ ـ دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ـ د.عبدالرحمن بدوي ـ مكتبة الانجلو المصرية .

١٠ ـ الفكر العربي ومكانه في التاريخ ـ تاليف ديلاس اوليري ـ ترجمة د.تمام حسان . ط. وزارة الثقافة ـ مصر .

١١ ـ معالم الحضارة الإسلامية ـ د.مصطفى الشكعة . ط.دار العلم للملايين .

قصة قصيرة

بقلم : محمد جاد البنا

عصا سيدنا الخضراء

لم أكن أتوقع أن ينتهي به الحال إلى ماهو عليه الآن ـ صحيح أن مرور الزمن يترك في حياة الناس ندوباً وأخاديد كثيرة ولكن ليس إلى هذا الحد ... كفرسيْ رهان كنا معاً في « الكُتّاب » نتقهقر إلى الخلف تارة ونندفع إلى الأمام تارة أخرى ، كنا طلاب علم غير موهوبين تماماً .. ولكننا أيضاً لم نكن عاديين ـ كانت عصا «سيدنا الشيخ يوسف » تمتد إلى أرجلنا المشدودة إلى مخنق حبل «الفلقلة» فتلهبنا وتثير الدماء الحمراء في وجوهنا ، ولكنها أبداً لم تكن تستدر الدموع !

كان صديقي «**عبد الحميد**» يغير على حقول «**القصب**» ونحن في الطريق إلى قرية «سيدنا» المجاورة لقريتنا .. أحياناً كان يصنع « سلكاً » معقوف النهاية ويجعله بمثابة «**الصنارة**» ويمده من خلال فتحة السور الحديدي الذي يحيط بحديقة القصر المهجور ، ليتنزع بعض ثمار البرتقال الأخضر .. كانت «**شقاوة**» الصبا لاتجعلنا نصبر عليه حتى ينضج .. مرة أمسكَ به الحارس بينما هربت أنا فقد كنت أرقب الطريق تحسباً لمجيء «عم طلبة» الخفير .. يومها لم يخف ولم يهرب وإنما ظل واقفاً كالتمثال المنصوب حتى أخذوه إلى «**الديوان**» وهناك أجرى معه «**مفتش الزراعة**» تحقيقاً مبدئياً ، ثم أوكل الأمر إلى «**رمزي افندي**» باشكاتب الدائرة ليتصرف .. واكتفى «رمزي أفندي» أن يبلغ «سيدنا الشيخ يوسف» بما حدث ثم يترك له أمر العقاب فهو يعرف قسوته وصرامته .. وتولى « **سيدنا** » الأمر وكانت دهشتنا بالغة ، فلأول مرة لم يكن عقاب سيدنا ضرباً مؤلماً أو صفعاً مهيناً ، وإنما كان العقاب درساً في التربية والأخلاق وحتمية الحفاظ على أموال الآخرين والتخويف من عذاب الله الذي لايهمل صغيرة ولاكبيرة .. ثم التفريق الواضح بين حدود الحلال والحرام ... أيضاً فمازلت اذكر يوم هرب صديقي عبد الحميد من «**الكُتّاب**» .. وعلم سيدنا بهروبه فاستشاط غضباً ، وأمرنا ان نسرع فنأتي به حتى ولو كان في «حضن أمه» .. وفرحنا بهذا الإفراج غير المتوقع ، وهرولنا مسرعين إلى القرية ثم إلى دار عبد الحميد ، فوجدناه ينهش حبة من ثمار البرتقال الأخضر ، لابد انه اصطادها بسلكه المدبب من خلال سور حديقة القصر المهجور ، وكأن سيدنا لم يقل شيئاً !

واستقبلتنا عمته بأكواب من الشراب البارد ، فاستطعمناه واتفقنا معه أن يعاود الهروب كل يوم حتى نظفر بالإفراج من لدن «سيدنا» وبأكواب الشراب البارد من يد عمته الكريمة .. ولكنه خيب آمالنا ، فقد أصر أنه لن يعود إلى «سيدنا» ولا إلى «**الكُتّاب**» مرة أخرى .. في هذا القدر كفاية .. وقالت «**عمته**» سنشاور جده في «**الموضوع**» ونرد على **الشيخ يوسف بعد يومين** ... وانقطع عبد الحميد عن الدراسة معنا في الكُتّاب ، وحرمنا من التمتع بحبات البرتقال الأخضر .. كان قد قضى سنوات غير قليلة حتى أنهى حفظ القرآن كله .. لقد سافر ليتابع دراسته بعيداً عنا .. هناك في العاصمة وانقطعت أخباره ، وان كنا لم نفتقد رؤيته بين حين وآخر في عطلة الصيف من كل عام ونتمتع «**بشقاوته**» في تكسير «صوامع» الدجاج الطينية ، وهدم «المصاطب» التي يصنعها أهل القرية أمام منازلهم حماية للجدران من التلف ، ومقراً للجلوس في أوقات الراحة ، وسهرات الصيف والاستجمام بدفء الشمس إبان فصل الشتاء ... كان قطعة من النشاط الملتهب ، ولذا فقد كان يوجه نشاطه نحو إيذاء الآخرين .. وكأن في داخله موقداً يغلي بالغضب مع أنه كان أكثرنا يسراً وقرباً من أهله .. أحياناً كان يهمل الصلاة عن عمد .. وحينما يعنفه جده بسبب ذلك يعود إلى المسجد ليصلي في خشوع كنا نغبطه عليه ... أنهى دراسته الثانوية وأصر على أن يكمل دراسته الجامعية في أوربا وفي النمسا بالذات وأخذتنا الدهشة .. لماذا النمسا ؟! وأمام أصراره وعناده تراجع جده الذي كان يلي أمره بعد وفاة والده ... وسافر صديقنا عبد الحميد .. وانقطعت أخباره كلها عنا لفترة طويلة كدنا أن ننسى خلالها ملامح وجه ، فما بالك بملامح أخلاقه وثقافته واتجاهاته إلى أن عاد تصحبه زوجة وطفلة صغيرة لايكاد لسانها يقيم جملاً من العربية .. وأنكرنا أمره ، وأنكر هو أيضاً أمرنا .. لم يعجبنا واقعه المتطرف ، ولم يعجبه واقعنا المتخلف ـ من وجهة نظره طبعاً ـ وباعد ذلك بيني وبينه وإن كان قد

عصا سيدنا الشيخ

اقترب مني ، بحكم عمله معي في جامعة الإقليم الذي ننتمي إليه بعد أن انبثت الجامعات في مدن كثيرة غير جامعات العاصمة ـ ولم يكن غريباً أن تتباين وجهات النظر .. حتى الشكليات اختلفنا حولها .. كان يطلق لحيته على عادة الغربيين لملاحة المظهر وللدلالة على الاشتغال بأمور الفن وقضايا الثقافة .

.. كان يجاهر أحياناً بضرورة تحكيم العقل حول بعض الأصول والمعتقدات الأساسية .. ولكنه ـ والحق يقال ـ كان سرعان مايسكت حينما أنظر إليه معاتباً .. ولست أدري لماذا كنت أشعر نحوه بعطف يجعلني أخصه بدعاء قصير عقب كل صلاة .. كنت أشعر في أعماقي أنه كسحابة ربيعية تائهة بين ركام العواصف .. ولولا سفره الطويل إلى أوربا لكان له شأن آخر .. دعاني مرة إلى زيارته فترددت ، فقد كان لي عليه تحفظات كثيرة من أخطرها أنه لايقيم تعاليم الدين إلى جانب استهتاره إلى حدما بالأعراف والتقاليد .. لَبَّيْتُ الدعوة مجبراً .. وفي مكتبته رأيت ما أدهشني .. سجادة صلاة مطروحة .. ومصحفاً مفتوحاً على حامل .. ومسبحة «مغربية» ذات حبات كثيرة .. وقلت في نفسي : لعل الرجل أراد أن يجاملني فاستعصم بهذه الأشياء كواجهه شكلية ، وانتظرت أن يحدثني عما رأيت فلم يفعل .. وإنما بادر بحركة تلقائية إلى السجادة فطواها والى المصحف فأغلقه ثم اخفى المسبحة في صندوق صغير كان على المنضدة .. وسألته في استحياء :

تقرأ القرآن يادكتور ؟

وابتسم ابتسامة خفيفة .. ثم غابت الابتسامة ليحل مكانها غضب مفاجيء ثم عاد فتلطف حينما أدرك أني ضيفه ... وأعدت عليه السؤال مرة أخرى فرد في هدوء غاضب :

وهل القرآن وقف عليك أو على من تخرجوا في الأزهر ؟!

لم أقصد وإنما هو مجرد سؤال ..

نعم يا أخي .. أراجع ما غاب عني .. هل نسيت أننا كنا زملاء في «الكُتَّاب» وهل نسيت أني غيبته مثلك عن ظهر قلب .. كيف ننسى عصا «سيدنا الشيخ يوسف» الغليظة .

كان ذلك عهداً مضى وانقضى ورحم الله سيدنا ..

بالمناسبة ، هل مازال الكتّاب موجوداً في «كفر ابو نعمان» أم جارت عليه الأيام ؟

مازال موجوداً ولكنه تحول واسفاه إلى «بوتيك» لبيع البضائع المهربة لأهل القرية .

بوتك ـ (ونطقها نطقاً مخالفاً لما انطق به) كيف هذا ؟

بعد أن مات سيدنا الشيخ يوسف ترك الكُتَّاب إرثاً خاصاً لولده «رمضان» الذي كان معنا في الكتاب ـ هل تذكره ؟

وكيف لا أذكره بينما مازلت أذكر رجليه الخشنتين حينما كان يأمرني سيدنا ـ كعقاب لي ـ أن «ادعكهما» بأعواد القش الجاف . توقفت لأضحك من الأعماق ولكني تابعت ..

فلما تحول الناس بأبنائهم إلى المدارس المدنية .. تقلص الكتاب فأمسى وقفاً على بعض «العميان» وأصحاب «العاهات» ممن لايكادون يدفعون أجراً للشيخ رمضان ، فأغلق «الكتاب» وسافر خارج الوطن بحثاً عن لقمة عيش ثم عاد ليحوله إلى «بوتيك» .

لاحول ولاقوة إلّا بالله .. ومن هنا نختلف يا أخي

نختلف (قلتها مندهشاً) نختلف حول الشيخ رمضان وما ذنبي أنا ؟

لا ، القضية أكبر من ذلك وأعمق .. نختلف حول واقع المسلمين .. أنت ترى ان الشكليات وحدها تكفي .. وأنا أرى غير ذلك

ماذا ترى .. هل ترى أن السلوك وحده يكفي ؟!

هون على نفسك يا صديقي لاتفهمني خطأ .. أنا لم أقل ذلك بعد ولن أقوله .. إني أرى وأنت تعرف أنها رؤية قديمة أن نمزج بين الدنيا والدين .. بين التعاليم في صورتها النظرية وصورتها التطبيقية السلوكية .

ليس هذا جديداً فالإسلام في معناه الصحيح هو ماتقول ..

إذاً لاخلاف من حيث الطرح النظري ولكن مارأيك أني أرى الواقع غير ذلك ؟ فأكثر الشباب يفهمون الإسلام فهماً غير صحيح ، وأغلب الشيوخ يمارسون التطبيق على غير منهج محدد أو مرسوم .. كل في فلكه يسبح ويحسب أنه على صواب ..

وبدأ الغضب يلوّن صوتي .

تسمح لي يا دكتور فانشغالك ببحث هذه القضية هو الآخر مجرد تفكير لم يتعد مرحلة التنظير ولو أنك «مطبق» كما تزعم لحاولت أن تكون قدوة لتلاميذك من الشباب في الجامعة

أما هذه فهي لك لقد افحمتني .

وقبل أن أودعه عائداً الى بيتي أدهشني أن أرى عدداً من كتب التفسير يعلو بعضها بعضاً في تنظيم مقصود فلم أطق صبراً وعدت أسأل من جديد .

ليس التفسير من تخصصك يا دكتور ـ ولو اني رأيت كتب الكيمياء الحيوية لكان أمراً طبيعياً .

عدت إلى ممارسة دائك القديم .. ليست القراءة في تفسير القرآن وعلومه وقفاً على أحد دون أحد يا أخي .. ألم نناقش هذه القضية منذ قليل !

نعم ، ولكن ما العلاقة ؟

هل تعلم يا صديقي أني مازلت أحفظ القرآن غيباً ولاينقصني سوى الإلمام ببعض الأحكام .. وليتك تساعدني بحكم تخصصك .

واستأذنت دون أن أعير الأمر اهتمامي

وإن كنت قد بدأت الاستبشار بهذا التحول .. فوجئت بعد أيام بندوة نظمتها الجامعة فارسها هو الدكتور عبد الحميد .. فوجئت أيضاً بتطور الأمر إلى تنظيم لقاءات أسبوعية تدور حول معالجة بعض القضايا الحياتية من منظور إسلامي .. ودار النقاش موسعاً حول هذه القضايا فكان صداها واسعاً .. اختلفنا كثيراً ، واتفقنا كثيراً ثم بدأت دائرة الخلاف تضيق ودائرة الاتفاق تتسع إلى أن تلاحمنا من جديد ، وكأننا عدنا كفرسي رهان في كُتاب سيدنا الشيخ يوسف ، وأدركت أن أملي في عودته لم يكن وهماً .

مرض الرجل واحتجب عن كل نشاطاته .. ذهبت لزيارته مرات عديدة ، لاحظت تغيراً يعلو قسمات وجهه .. كان طفيفاً في أول الأمر ولكنه أخذ يزداد .. لقد تحول وجهه الأسمر إلى بياض مشرب بحمرة خفيفة ...

وابيضت لحيته بعد أن زحف شعرها فكسا عارضيه بوقار جميل .. قالت زوجتي وكانت تصحبني كلما زرت منزله ..

إن «أم ليزا» ... تؤدي الصلاة في أوقاتها

وسألتها : هل هي مسلمة ؟

تقول : إنها أسلمت منذ شهور

وليزا ؟

مسلمة منذ ولادتها وهي الآن تتعلم كيف تؤدي الصلوات .

حدثني صديقي الدكتور عبد الحميد عن رغبته في أداء فريضة الحج ، وسألني إن كنت أستطيع أن أصحبه في هذه الرحلة ؟

لم افكر طويلاً .. وافقت .

في مكة حول البيت العتيق حيث الصفاء والبهاء والنقاء وهدوء النفس لاحظت أن ضوءاً باهراً وغريباً يطل من عيني صديقي ، وأن اشعاعاً غامضاً يكسو روحه .. كان يطيل في صلواته .. وكان يكثر من البر إلى فقراء الحرم ، سألته مرة مازحاً :

وهل تحل مشكلة الفقر في العالم الإسلامي بما تنفقه من أموال تقدمها ؟

فردَّ حزيناً ... وكأن شيئاً داخله يندم .

مالايدرك كله لايترك جله - ليتني أستطيع أن أعمل شيئاً منظماً .. ولكن يبدو أنه لم يعد في العمر بقية .

وضحكت وأنا أحاول التخفيف من حدة قنوطه

لاتخف .. اطمئن «عمر الشقي بقي» كما يقولون .

وتهيأنا للعودة بعد الانتهاء من مناسك الحج والعمرة - وبينما نحن في الحرم وبعد أن انتهينا من طواف الوداع .. وكنت مرهقاً فجلست لأستريح قليلاً .. وقام هو ليصلي ركعتي السنة بعد الطواف وإذ به يطيل سجوده على غير العادة .. وناديته

يكفي يا رجل .. لاتبالغ فالمبالغة في كل أمر مكروهة .

وكانت المفاجأة الأخيرة .. لقد مات الرجل أسلم الروح إلى بارئها وعبر الجسر الأزلي بين الموت والحياة وهو بين يدي الرحمن .. ومع قسوة الموقف وعصف الألم - لم تبك زوجته .. لم تلطم وجهها كما تفعل بعض النساء ، وإن كان الحزن قد حولها إلى كتلة من الصمت الدائم والتأمل الهادىء أما أنا فلم أتحمل هول المفاجأة ومرارة الصدمة فبكيت .. لم نجد أمامنا غير أن نتركه بين يدي خالقه هناك في ثرى مكة .. ومضيت وأنا اردد حقاً : **«إن احدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها الّا ذراع فيعمل بعمل أهل الجنة ...»** **ولم يكد صدى الحديث النبوي يغيب عن أذني ولساني حتى رأيت عجباً - وكنا في الطائرة عائدين مع موكب الأحزان - إنها عصا سيدنا الشيخ يوسف تمتد أمام عيني في السماء**

هنيئاً لك يا عبد الحميد ..

هكذا كنت أقول لنفسي .. هنيئاً لك لقد كنت أسبقنا جميعاً في الفوز بلقاء المصطفين الأخيار .

بقلم : محمد الصالح عزيز

حتى يكون البناء

□□ لا أحد يعارض القول بان الأمة المسلمة تعيش فترة من التخلف الحضاري ابتدأت منذ عقود طويلة من الزمن .. وإن كان للتخلف تعريفات ومفاهيم مختلفة ، فالجميع متفقون على أنه ـ التخلف ـ « جملة من مشاكل التعفن الخلقي والاقتصادي والثقافي والسياسي » وأنه العجز عن توفير الضمانات المادية والروحية كشرط أساسي للانطلاق نحو طريق التحضر ..

إلا أنّ أخطر أنواع التخلف الحضاري هو العجز عن تحديد الداء لنعرف الدواء . أو بكلمة أوضح : العجز عن تحديد المشكل لتحديد الهدف وتحديد نقطة البداية .. « إذ بدون تحديد لهذين الأساسين فإن جميع الجهود تضيع هدراً وتظل الأمة تخبط خبط عشواء بينما القافلة من حولها تسير » .

ولعلّ هذا النوع الخطير من التخلف هو ما تعانيه شعوب الأمة المسلمة بعدما أخطأت قياداتها السياسية في تحديد مشكلات أوطانها وتحديد العلاج اللازم لها .. فبعد أن استطاعت الشعوب الإسلامية أن تطرد من أراضيها قوات الاستعمار العسكري واجهتها مشكلات خطيرة وعديدة (التخلف الاقتصادي والعلمي ، التبعية السياسية والثقافية الخ ..) تتطلب تسخير جهود جبارة لتحديد خطرها وكيفية معالجتها حتى نضمن الوصول إلى الهدف المنشود .. إلّا أن الحل السهل أغرى معظم القيادات السياسية التي اعتقدت أن الطريق الوحيد الموصلة إلى الحضارة هي الطريق التي اتبعها الغرب ، وإن نحن اتبعنا غيرها فسيزيد تخلفنا ... ولم تمض على هذه التجربة إلّا سنون قليلة حتى ادركت الشعوب المستضعفة انها أخطأت الطريق ، لأنها أخطأت نقطة البداية ، ووجدت نفسها تتخبط في مشاكل جديدة لم يستطع الحل الشيوعي ولا الحل الرأسمالي أن يخففا من شدتها ..

التجربة الأوروبية

عندما استعرنا التجربة الأوروبية لنطبقها على أرضنا الإسلامية ، غاب عنا أن أية صورة لمستقبل شعب أو أمة يتحدد ضمن ما يحمله الشخص من مقولات ونظريات حول عديد من المسائل : الدين ، التراث ، الإنسان ، الملكية الخ ..

وبالتالي فإن التجربة الأوروبية وإن اختلفت اتجاهاتها واختلفت مناهجها ، واختلفت في المقولات التي اعتمدت عليها ، إلا أنها استندت كلها إلى تجارب المجتمع الغربي مع التراث والدين والأخلاق والاقتصاد لتستمد منه منهجها في بناء مستقبلها ... لقد غابت هذه الحقيقة عنا ردحاً من الزمن ، فذهبنا نستورد من الآخرين مشاريع استندت على واقع غير واقعنا وتاريخ غير تاريخنا ، وتراث غير تراثنا وحاجات غير حاجاتنا لبناء مستقبل أوطاننا الإسلامية ، ونسينا ان نبحث عن واقعنا وتاريخنا وتراثنا الحضاري ، فجاء المشروع لقيطاً ، نشأ في أحشاء غريبة ليتربى بين أيدٍ غريبة ..

ويحاول رواد هذا الاتجاه تبرير موقفهم هذا بجملة من الأدلة التي لا تستند إلى برهان ، والتي يدحضها واقع الأمة الإسلامية والتجربة القصيرة مع هذه الحلول المستوردة ..

من بين مايقولون : إن الإنسانية مرت بمراحل مشتركة لم تفلت منها أية أمة من الأمم ، ويمكن أن تتخذ هذه المراحل مرتكزاً نبني عليه منهجاً موحداً .. وهو مبرر لايستند إلى دليل تاريخي علمي بل هو مجرد افتراض .. أما الادعاء بعالمية الفكرة وعلميتها ، وهو الادعاء الذي يتعلق به الماديون كثيراً بزعمهم أن الفكر الماركسي هو اكتشاف لقانون التاريخ ، وبالتالي يمكن أن تكون نظريته عالمية تطبق على كل الشعوب ، فهو ادعاء يجب الوقوف معه قليلا لدحضه .. فالناقد ، أو المحلل الاجتماعي أو السياسي لايستطيع مطلقاً أن يتعامل مع الحدث بصفة مجردة مهما ادعى الموضوعية والنزاهة ، لأنه لم يقدم على ذلك وهو صفحة بيضاء ، بل لابد أن تفاعلت في نفسه وعقله مجموعة معارف وأفكار شكلت نمط تفكيره ونمط منهجه فغدا أسيراً لها بين مد وجزر ..

لكل حضارة خصائص

وهذا يعني أن المعرفة نسبية تحكمها الظروف المكانية والزمانية ، الأمر الذي ينكره الماديون تعنتاً ، لأنه الحرف الأول من تفسيرهم للتاريخ .. ويبني الماديون تفسيرهم ذلك انطلاقاً من معتقدهم الفلسفي القائل بأن الفكر هو الذي يولد اللغة وليس العكس .. وهو أمر كما نرى لايستند إلى بصيص من المنطق والعقل .. ذلك أن الفكر الذي ليس له زاد من اللغة ومن

همتينا

● إن تحديد أي مشروع مستقبلي للخروج من التخلف لا يقوم إلا بناءً على قراءة واقع أمتنا الإسلامية وتحديد العوامل المؤثرة فيها سلباً وإيجاباً ●

الثقافة ومن المعرفة الموروثة عن الجيل السابق ، فكر لايستطيع أن يتفاعل مع الواقع ولا أن يحول أحاسيسه إلى نظريات ومعرفة جديدة : بل لابد له من زاد من المعلومات والمعارف يكتسبها ليستطيع من خلالها أن يتكيف مع الواقع الجديد ويواجه بها تجاربه الجديدة ليصبح قادراً على التفكير .. وهذا الزاد هو الذي سيحدد له فيما بعد نمط المنهج الذي سيتخذه ..

فالمنهج إذن (السياسي أو الاقتصادي أو الثقافي) هو وليد الفلسفة والعقيدة ووليد المجتمع والحضاره التي نشأ فيها ..

لقد غابت عنا هذه الحقيقة فرحنا نبحث عن حلول لمشاكلنا في التجربة الأوربية التي انبنت على المنهج الغربي في التفكير والنقد ، مجهدين أنفسنا في فهم الحضارة الإسلامية بدون جدوى ، لأننا لانستطيع أن نظفر بالتفسير الصحيح للإسلام ونحن نسحب عليه المنهج الغربي للنقد المتميز بأسسه التي انبنى عليها : (نظرته إلى الدين ، إلى الدولة ، إلى المرأة ، إلى الاقتصاد) ، ولايمكن أن نفهم الإسلام والتراث ـ لبناء مستقبلنا ـ من خلال المنظور الماركسي أو الرأسمالي لأن كلاً منهما نشأ في ظروفه الخاصة .. فإذا كان الدين مثلاً في أوروبا عاملاً من عوامل الانحطاط والظلم والتأخر الحضاري ، فإن الدور الذي قام به الدين في المجتمعات الإسلامية غير الدور الذي قام به في المجتمع الاوروبي والذي استمد من تجربته تلك منظوره لتحليل الدين وتحديد موقف الإنسانية منه ..

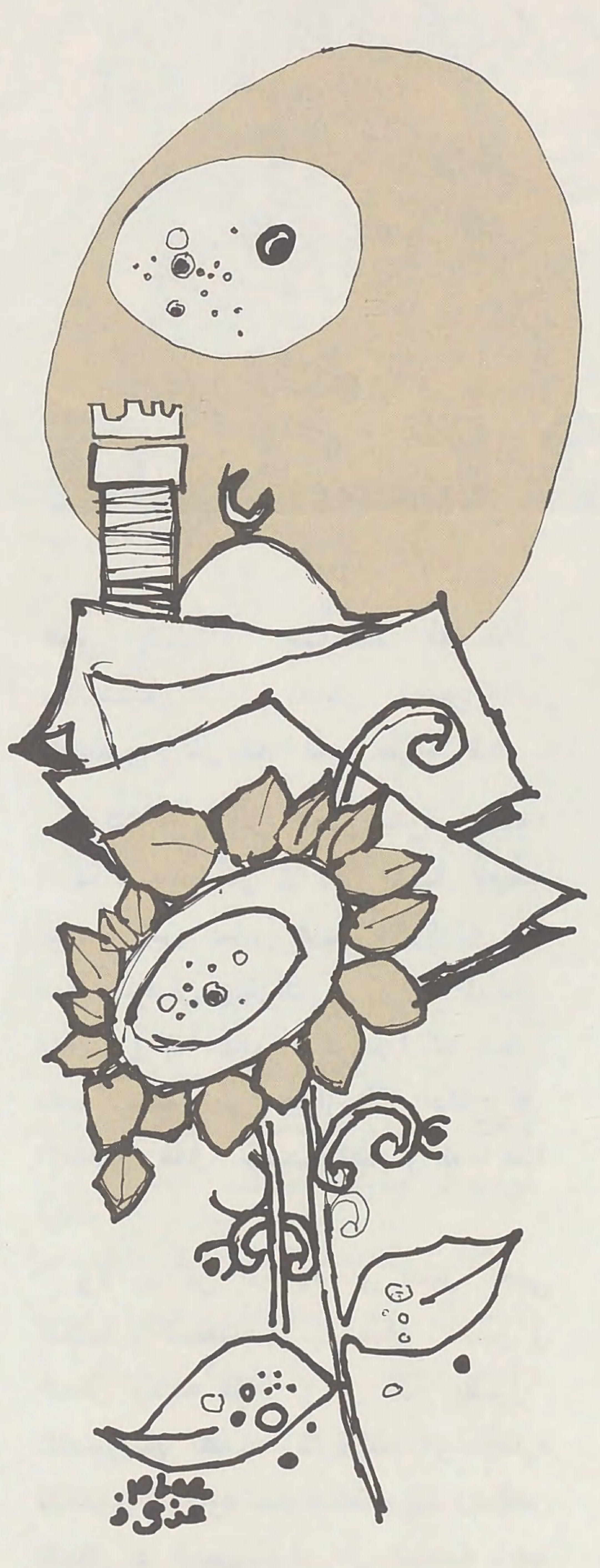

ومن هنا لايمكن أن نقرأ العالم من خلال منطق واحد (ماركسي أو رأسمالي) ، بل ضمن منطق كل حضارة ومسارها التاريخي .. عندها فقط يمكن أن يكون المشروع الذي سنطبقه قادراً على النجاح والعطاء ..

تحديد نقطة البداية

نعود فنقول : إن واجب الخروج من التخلف يدعونا إلى الإسراع بتحديد نقطة البداية ، ونقطة البداية أن نبني مشروعاً لمستقبلنا ، مستمداً من واقع أمتنا الإسلامية وتاريخها الطويل وأحاسيس شعوبها المعطاءة .. إن تاريخنا وتراثنا زاخران بالتجارب والنظريات على جميع المستويات لامجال لإنكارها أو إبعادها إذا أردنا أن نبحث عن مشروع مستقبلي للبلاد .. وكل مشروع لايراعي هذه المعطيات التاريخية مآله الفشل .. ومن المؤسف أن الاستعمار الغربي أدرك هذه الحقيقة عند تفكيره في غزو بلادنا والاستقرار فيها نهائياً ، فعمد إلى قراءة التاريخ الإسلامي ونفسية الإنسان المسلم قراءة واعية أدرك من خلالها عوامل وحدتنا وعوامل تمزقنا .

وفي خاتمة حديثي أعود فأقول : إن تحديد أي مشروع مستقبلي لايقوم إلا بناء على قراءة واقع أمتنا الإسلامية وتحديد العوامل المؤثرة فيها سلباً وإيجاباً ، كما لايمكن إنجاح أي مشروع إذا لم يخرج من قلوب الجماهير حضارياً وعقيدياً وفكرياً .. أما أن يكون المشروع مقتبساً من الآخرين ، ولم يولد ولادة طبيعية في مجتمعنا فلا مكان له على أرضنا ولا سبيل لنجاحه ، وقد أثبت الواقع المعاش عبث هذه المحاولات وفشلها رغم تقنعها بشعارات مجاملة للإسلام في غالب الأحيان ..□□

من هـ

بقلم : حنان لحام

■■ كنت في مجلس علم مع فتيات مؤمنات جامعيات نتدارس آيات من سورة النساء فوقفنا عند موضوع الحجر على السفهاء ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً ... ﴾ وانساب السؤال الذي لا بد منه قبل فهم الحكم : من هم السفهاء ؟

فأجابت عدة فتيات : هم الصبيان والنساء ..

قلت باستنكار : سبحان الله ..!! من أين جئتي بهذا الكلام ..؟!

فقلن : قرأناه في تفسير ابن كثير وابتلعنا غيظنا ..

وعدت إلى تفسير ابن كثير . فإذا به ينسبه إلى ابن عباس حبر هذه الأمة وترجمان القرآن ..!! وكرره تلاميذه أيضاً مجاهد وعكرمة ..!! ووجدتني في موقف حرج لا أحسد عليه ..

وتداركت الموقف فقلت : لا تتسرعن في الأمر فقد مر معنا حين استعرضنا كلام الزرقاني : (في مناهل العرفان) عن التفسير بالمأثور : أنه ذكر من عيوب هذا التفسير أن كثيراً من الفرق الضالة ومن أعداء الإسلام قد نسبوا إلى ابن عباس أقوالاً كثيرة : إما لتأييد ضلالهم أو دساً على الإسلام .. فاختلط الصحيح بالمدسوس .. ولم يتمكن المفسرون من التحقيق في كل ذلك . فلعل هذا من ذلك ..

كذلك فإن ناقل الخبر معرَّض لسوء الفهم .. وأذكِّركنَّ في هذا المجال بقصة حدثت لابن عباس عندما قالوا له : قد مشى الركبان بفتواك في زواج المتعة . فقال : وماذا قالوا ؟ فرددوا له شعراً يفيد : بأنه أفتى بجواز هذا النكاح على الإطلاق . فقال : سبحان الله - والله ما هذا أردت ..

ولا بد من العودة إلى أصل معنى الكلمة (السفهاء) .. فالسفه : نقص في العقل وخفة فيه . وابن كثير يقول : الحجر على أقسام : تارة للصغر ، وتارة للجنون ، وتارة لسوء التصرف : لنقص العقل أو الدين .. أي أن السفيه : هو الذي يبذر ويبدد ماله في ما لا ينفعه ولا ينفع الناس .. أو على الأقل في ما يضره .

ووجدتني آخذ زمام المبادرة فأقول لهن باندفاع :

فبالله عليكن .. ماذا يرى المتأمل في حياة المرأة المسلمة اليوم وأسلوبها في إنفاق المال وراء التقاليع والأثواب الغالية وأدوات الزينة (الماكياج) علماً بأن أكثر الشركات المنتجة لهذه البضائع يهودية ..؟ ألم تقل الشاعرة نازك الملائكة : إن المرأة العربية هي التي تضرب الاقتصاد القومي لأمتها حين تمنح الشركات الأجنبية واليهودية مال الأمة مقابل زينتها ..؟!

وهنا تبين لي أنني أزحت سداً أمام سيل من الاعتراضات الطريفة والجديرة بالتأمل انهال عليَّ ... رغم دلائل الموافقة والأسف (لواقع المرأة المعاصر) التي بدت على الوجوه .. فلقد بادرتني إحداهن قائلة :

قد نعتبر إسراف المرأة في إنفاقها على زينتها سفاهة .. ولكن اللوم لا يقع على المرأة وحدها .. بل الرجل يدفعها إلى ذلك لا شعورياً .. إذ أن كثيرين من الرجال - وحتى المتدينين منهم - لا يريدون من المرأة إلا أن تتزين وتخدم في البيت وتطيع أوامر زوجها .. وكثيراً ما تندفع المرأة في هذا الخط حفاظاً على زوجها من الفتنة بالأجنبيات ، والممثلات اللواتي يُعرَضْنَ عليه في التلفاز صباح مساء ..

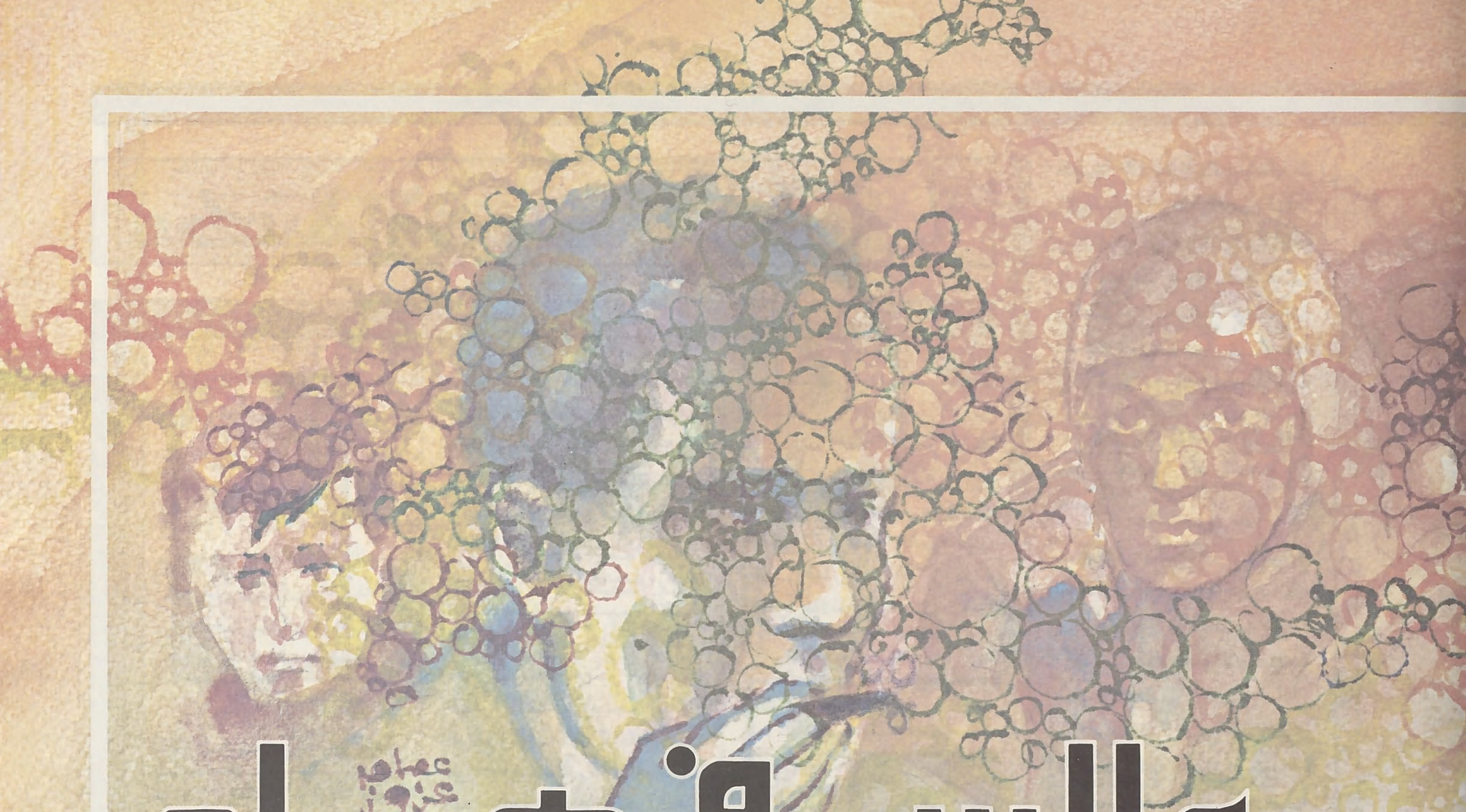

ـم السفهاء

إنها مشكلة مجتمع كامل ينجرف في طريق الشهوات .. ويبدد أمواله فيها ..

وقالت ثانية . إذا كان معنى السفه : هو تبديد المال فيما يضر بالفرد والمجتمع .. فإن أكثرية المدخنين في عالمنا الإسلامي من الرجال لا من النساء .. وهم يحرقون أموالهم وأجسامهم فلماذا لا يُحجر عليهم ..؟!

وقالت ثالثة : إننا نرى المرأة في عالمنا تصبر على طيش زوجها .. بل وعلى انحرافاته أحياناً وراء الخمر والميسر واللهو .. خوفاً على أولادها من التشتت والضياع .. وتحاول جهدها أن توفر وتدبر في المال لتأمين حاجاتهم الضرورية .. وهو سادر في غيه .. تنسى نفسها وتؤثر مصلحة أولادها .. فهل هذه سفاهة ..؟!

وقالت رابعة : ألم يكتب كثير من الإسلاميين المعاصرين عن ميزة الإسلام حين أعطى للمرأة حرية الامتلاك والتصرف في المال ..؟! فكيف نسلم بأن النساء من السفهاء الذين يُحجر عليهم ..؟! وهل يمكن للرسول ﷺ أن يتبع مشورة زوجته (أم سلمة) - يوم الحديبية - لو كان ينظر إلى النساء بهذا المنظار ..؟!

وهل يمكن أن توصف بذلك أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وقد وقفت إلى جانب رسول الله ﷺ حين كذبه كل الناس ...

جاءها بعد أن نزل عليه الوحي خائفاً يرتعد وقد خشي على نفسه ..

فهدَّأت من روعه ، وثبتته بكلماتها الفذة في هذا الموقف العصيب : اثبت يا ابن عم فوالله لن يخزيك الله أبداً ..؟!

وقالت خامسة : ولكن كيف نطلب من المرأة أن ترفع مستواها وترجع إلى دينها ونحن ننظر إليها بهذا الاحتقار ..؟!

وقالت أخرى : لقد بات معروفاً عند المربين أن وصف الناشىء بكلمات مثل : غبي أو أحمق .. يثبط همته ويوحي له أن يبقى في هذا النطاق .. وضربوا لذلك مثلاً : أن إحداهن قالت لحفيدتها الصغيرة وقد رأتها تحمل طبقاً : لا تحمليه .. إنك ستكسرينه .. فارتبكت الفتاة ووقع الطبق من يدها فانكسر ..

فكيف يرتفع مستوى المرأة إذا وصفناها بالسفاهة ..؟!

ولقد تساءلت في نفسي : ألم يكن بإمكان الأساتذة الكرام الذين تولوا تحقيق تفسير ابن كثير واختصاره أن يراعوا هذا الجانب فيحذفوا مثل هذه العبارات أو يعلقوا عليها في الهامش بكلمات تداوي بعض الجراح ..؟!

إذ أننا - رغم ظهور تفاسير عدة على مستوى جيد من العرض - لا نستطيع الاستغناء عن تفسير ابن كثير كمرجع قيم في التفسير لا بد منه للشباب المسلم الذي يسعى إلى تدبر قرآنه ..

وبعد ... فذاك حوار أحببت أن أعرضه أمام الجميع ليساهم الرجال والنساء في فهم هذه المشكلة وحلها .. ورغم كل ما قيل حتى الآن في قضية المرأة وحقوقها .. فإن هذا الواقع المزري الذي نعاني منه لن يتغير يا أختي المؤمنة حتى تبدأي من نفسك وتؤدي واجبك .. فتبرزي الصورة الحقيقية للمرأة المؤمنة التي تفرض احترامها على المجتمع . إن تغيير الصورة لا يتم إلا بعد انقلاب جذري في المفاهيم

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (الرعد : ١١) .

مكتبة الأمة

الكتاب : مختصر تفسير المنار

المؤلف : محمد رشيد رضا - رحمه الله -

أتمه وعلق عليه : محمد أحمد كنعان

الناشر : المكتب الإسلامي - بيروت

□□ « تفسير المنار » بدأه الشيخ محمد عبده رحمه الله وتوفي بعد أن وصل فيه إلى الآية (١٤٦) من سورة النساء ، فقام تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله بإكمال هذا التفسير ولم يتمه أيضاً ، وخالف منهج شيخه بالتوسع فيما يتعلق بالآيات والأحاديث من السنة الصحيحة سواء أكان تفسيراً لها أو بيان حكمها ، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء ... ووافاه الأجل المحتوم وقد بلغ في تفسيره آخر الآية (١٠١) من سورة يوسف ، وهي قوله تعالى : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ .

وكان قبل وفاته رحمه الله قد رأى أن تفسير المنار مطول جداً حيث إنه إذا أكمل سيبلغ ثلاثين مجلداً ، لذلك رغب في جعله ثلاثة أجزاء ، كل عشرة أجزاء قرآنية في مجلد ، وبدأ باختصاره ، إلا انه توفي دون أن يكمل هذا المختصر أيضاً ، وكان مجموع ما اختصره ثلاثة أجزاء ونصف الجزء ، وقد حاول الأستاذ محمد زهير الشاويش صاحب المكتب الإسلامي إنجاز المختصر على منهج مؤلفه ، فانجز اختصار الجزء الثالث ونصف الجزء الرابع وتوقف عن المتابعة بسبب ظروفه ومشاغله ، ثم قام بتكليف منه الشيخ محمد أحمد كنعان بإكمال المختصر والتعليق عليه ليوضح غامضه ، أو ليضيف إلى كلام مؤلفه فائدة ، وقد قام الشيخ بالعمل ، وكان مجمل ما اختصره ثمانية أجزاء وأكثر من نصف الجزء من مجموع تفسير المنار ، أي : ما يفوق ثلثي الكتاب ، وقد حوى هذا المختصر أحسن ما في « تفسير المنار » وخلا من المجادلات التي لا جدوى منها ولا طائل تحتها ، حيث أثبت فيه مُتمُّه أوضح المعاني التي ذكرها المؤلف واقربها إلى الصواب مستنداً في ذلك إلى ما ثبت في التفسير من الأحاديث النبوية والآثار ، وإلى الأقوال المتفقة مع منهج سلفنا الصالح ... وقد قام الأستاذ الشاويش بمراجعة هذا المختصر مع التعليقات التي عليه ، وجاء « المختصر » في ثلاثة مجلدات ضم الأول منها : تقديماً كتبه الأستاذ الشاويش ، ومقدمة لمتمه ، ومقدمة السيد محمد رشيد رضا رحمه الله ، وتفسير سور « الفاتحة » و « البقرة » و « آل عمران » .

وضم الثاني تفسير سور « النساء » و « المائدة » و « الأنعام » .

وضم الثالث ما تبقى من السور ، من أول سورة « الأعراف » إلى آخر سورة « يوسف » عليه الصلاة والسلام .

ويعتبر هذا المختصر إضافة هامة للمكتبة القرآنية ، حيث يسهل على الباحثين والقارئين الاطلاع على منهج الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله في تفسير المنار ، والانتفاع به □□

الكتاب : سيد قطب الأديب الناقد

المؤلف : عبد الله الخباص

الناشر : مكتبة المنار - الزرقاء - الأردن

كثيرون لا يعرفون عن سيد قطب رحمه الله إلا انه رجل دعوة ينافح عن دينه بفكره وقلمه ، ويجهلون انه الأديب الناقد قبل أن يسلك سبيل الدعوة إلى الله عز وجل ويجرد قلمه لبيان العدالة الاجتماعية في الاسلام ، وخصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، وفي ظلال القرآن مبيناً سمو الشريعة الإسلامية وعدالتها المطلقة ...

والكتاب الذي نقدمه في أصله رسالة ماجستير تقدم بها مؤلفها إلى قسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب بالجامعة الأردنية ... ويتالف من تمهيد وثلاثة أبواب ، وقد بين الكاتب في التمهيد صلته بالبحث ، والحدود الزمانية والمكانية للبحث ، ومنهجه في البحث إضافة إلى مصادره ومراجعه ..

في الباب الأول تناول عصر سيد قطب ، وقد قسمه إلى قسمين :

- حركة المجتمع العربي في مصر ، تحدث فيه عن ملامح الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .
- الواقع الأدبي في مصر : تحدث فيه حديثاً موجزاً عن الصحافة الأدبية والقصة والرواية والمسرح والشعر والنقد في الفترة التي عاشها سيد .

أما الباب الثاني فقد تناول فيه حياة سيد قطب وقسمه كذلك إلى قسمين :

- مسيرة سيد الحياتية ببعديها الزماني والمكاني ، تحدث فيه عن حياة سيد ونشأته في القرية ، ورحيله إلى القاهرة وعمله فيها بعد إتمام دراسته ، ثم سفره إلى أمريكا وعودته إلى القاهرة موضحاً صلته بالأحزاب السياسية والحركة الإسلامية ، ثم علاقته بثورة يوليو ، والمرحلة الأخيرة من حياته حتى وفاته عام ١٩٦٦م رحمه الله .
- مسيرة سيد الثقافية أخذاً وعطاء ، عرض فيه لمصادر ثقافته وأثرها في تكوينه الثقافي والفكري وعطائه الأدبي والفكري .

وفي الباب الثالث تناول آثار سيد قطب ، وقسمه كذلك إلى قسمين :

- آثاره في الشعر ، وتأثره

بالعقاد ، والوقوف عند أبرز القضايا التي عرض لها في شعره .

ـ آثاره في الكتابة ، وقسمه بدوره إلى أربعة أقسام :

١ ـ في المقالة حيث تحدث عن بداية علاقة سيد بالصحافة ، ونشره المقالات على صفحاتها ، وعن الصحف والمجلات التي أشرف عليها أو رأس تحريرها إلى جانب الحديث عن ألوان المقالة التي كتبها والسمات والخصائص التي امتازت بها مقالاته عن مقالات غيره من الكتاب .

٢ ـ في النقد الأدبي : تحدث فيه عن مسيرة سيد النقدية ، وتلمذته للعقاد وتأثره به في النقد ، والقضايا النقدية التي اهتم بها ومعاركه الأدبية .

٣ ـ في القصص والرواية : تحدث عن مشاركة سيد الجزئية في مجال القصة ثم تناول رواياته : طفل من القرية ، والمدينة المسحورة ، وأشواك ، بالدراسة والتحليل .

٤ ـ في البحوث والدراسات : تحدث عن بحوث سيد ودراساته القرآنية ، وبحوثه ودراساته الإسلامية العامة ، وبحوثه ودراساته الحركية ...

وفي الكتاب ملحق ذكر فيه المؤلف ماكتبه سيد قطب من مؤلفات ومقالات وقصائد ، مع ذكر الصحيفة أو المجلة ومجلدها وسنتها وعددها وتاريخها وأرقام الصفحات التي نشر فيها سيد مقالاته وقصائده ...

وآخر ذكر فيه ماكتبه الآخرون عن سيد من مؤلفات ومقالات وكلمات وقصائد ...

الكتاب : من أساليب القرآن

المؤلف : الدكتور إبراهيم السامرائي

الناشر : دار الفرقان ـ مؤسسة الرسالة .

عمّان ـ الأردن

□□ جاء الكتاب في مقدمة بيَّن فيها الكاتب أن استقراء النحاة الأوائل للقرآن الكريم لم يكن وافياً بحيث يكون القرآن مادة هذا النحو ، وأنهم استعملوا في مناهجهم مواد غريبة عن العلم اللغوي ، فكان من ذلك أن توسعوا في التأويل والتقدير واختراع العلل مما أدى بهم إلى وجوه كثيرة للقول في المسألة الواحدة ، فكانت أقوال ثم كانت طرائق ... ولو أنهم نظروا في اللغة من غير أن يتأثروا بما هو غريب عنها لجاء من ذلك فوائد كثيرة ... كما أن الاقتصار على العلم النحوي في طائفة من المسائل قد حمل الضيم على جملة من أساليب القرآن ...

وتسعة فصول أشار فيها إلى جملة من أساليب القرآن الكريم (في الدعاء ـ النداء ـ القسم ـ التوكيد ـ التعجب ـ التفضيل ـ المدح والذم ـ الدلالة في طائفة الأفعال ـ ما يسمى بأسماء الأفعال) كان له فيها شيء يخالف ما ذهب إليه النحاة الأوائل ...

وخاتمة لخص فيها نتائج بحثه مبيناً كيف أن التزام النحاة بوجه واحد لا يصيرون إلى غيره من الوجوه أثر في العربية ، كما أن تقييدهم أنفسهم بفهم خاص فرض عليهم أسلوباً خاصاً من النظر والتطبيق ، وبسبب من هذا قسروا أنفسهم على أن يقولوا شيئاً لا يأتي إلا على مسائل نحوية من جنس ما اعتقدوا أنه من علم النحو ، وزادوا عليه مما توهموه في هذا الباب ليتم ما أرادوا ، وكان من نتائج ذلك أنهم غضوا الطرف شاعرين أم غير شاعرين عن فوائد أخرى مما ورد في لغة التنزيل لأنها لا تدخل في حيز الجملة وأجزائها وما كان من إعرابها ، ومما هو معروف من لوازم هذا العلم النحوي ... وينهيها بقوله :

هذه الأشتات التي وقفت عليها في هذا الموجز ما يمكن أن يكون حافزاً إلى العود إلى هذه العربية لتسجيل فرائدها وفوائدها على نحو أكثر اتصالاً بالعلم النافع .. □□

الكتاب : عقوبة السارق

المؤلف : الدكتور أحمد توفيق الأحول

الناشر : دار الهدى للنشر والتوزيع ـ الرياض

□ الكتاب في أصله أطروحة علمية تقدم بها مؤلفها لنيل درجة الدكتوراه في الشريعة وهو عبارة عن دراسة للعقوبة بصفة عامة ، وعقوبة السارق بصفة خاصة في الشريعة الإسلامية ، رد فيه مؤلفه شبهات المفترين في زعمهم قسوة العقوبات الشرعية ببيان الضمانات التي قدرتها الشريعة إلى جانب العقوبة التي أرادتها أن تكون رادعة زاجرة في غير عنف ودون ظلم ...

والكتاب يتألف من مبحث تمهيدي وثلاثة أبواب وخاتمة ، تكلم مؤلفه في المبحث التمهيدي عن العقوبة وخصائصها وأنواعها في الشريعة الإسلامية ، أما الباب الأول فقد خصه للكلام عن السرقة وأركانها ووسائل ثبوتها ، فجاء في ثلاثة فصول ؛ وفي الباب الثاني الذي جاء في فصلين تحدث عن الشبهات المتعلقة بأركان جريمة السرقة وأثرها فيها . أما الباب الثالث فقد خصه للكلام عن عقوبة السارق والأمور المتعلقة بها ، فجاء في ثلاثة فصول ... وجعل خاتمة الكتاب في مشروع قانون لعقوبة السرقة طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية .

وقد ألحق بالكتاب تعريفاً موجزاً بالأعلام الذين وردت أسماؤهم في البحث ، إلى جانب فهرس بأهم مراجع البحث ، وفهرس بمباحثه . ويتميز هذا البحث في أن مؤلفه يجمع بين الثقافة الإسلامية والثقافة القانونية إلى جانب عمله بالقضاء الذي ابتلي بالقوانين الوضعية ، لذا فإنه عندما يدعو إلى نبذ القوانين الوضعية والاحتكام لشريعة الله عز وجل ، فإنه يدعو إلى ذلك عن دراية وفقه وتجربة عملية .. □

من المخطوط الإسلامي في خزائن مكتبة برلين

كيف انتقلت كنوز الحضارة الإسلامية إلى دول الغرب ؟

ومن خلال زيارتنا لمكتبة برلين ـ أو مكتبة الدولة الألمانية (الاسم الرسمي) ـ في مقرها الجديد بالقسم الغربي من مدينة برلين حيث توجد تسعة آلاف مخطوطة عربية .. و ٢٥٠٠ مخطوطة فارسية ، و ٣٥٠٠ تركية ، و ٦٠ أوردية أيضاً ...

يمكن أن تطرح عدة قضايا حول هذا المورث الفكري والثقافي ـ في المراحل التاريخية المختلفة ، وأهميته في عملية التواصل الحضاري والثقافي للأمة الإسلامية ودوره في إمكانية إعادة صياغة العقل الإسلامي المعاصر .. لكن ، تبقى قضية هامة .. هي : **كيف انتقلت كنوز الحضارة الإسلامية ـ التي انتجتها ونمّتها وتوارثتها الأمة عبر تاريخها الطويل ـ إلى دول الغرب بهذا الكم الكثيف وفي فترات تاريخية معينة ..**

وكيف يتم اختيار نوعيات معينة منها للنشر ، بعد ان تخضع للدراسة والبحث والفهرسة والتحقيق والمقارنة والحفظ من آفات الزمان ، بتطبيق أحدث وسائل الحفظ والصيانة ..

مع أن العلم لايحدّ من انتشاره حدود جغرافية ، إلا أن ماينطبق على المؤلفات المطبوعة والمنشورة قد لاينطبق على المخطوطات التي ظلت في حوزة أهلها على طول التاريخ .. حتى وإن تأخر انتفاعهم بها بحكم ظروف طارئة .. ولكن قيام الغرب باستلاب المخطوطات العربية التي تمثل في معظمها ، الرصيد الثقافي والحضاري للأمة الإسلامية عبر الأجيال ، يكون قد جرى بالفعل حرمان الأمة من حقها في الانتفاع بماتراه مفيداً من هذا الرصيد ، بهدف إحداث الانفصام الذي يزيد من اغتراب المسلمين المعاصرين عن ماضيهم .. وقد يكون مصطلح « **الإحياء** » الذي ارتبط بالتراث ، أكثر ملاءمة للأمة الإسلامية المعاصرة ، إذا ماتمت عملية « **تحقيق** » تراثها بالاسلوب العلمي الواعي الصحيح ..

وبالنسبة لمكتبة برلين . فقد انتقلت المخطوطات إليها عن طريق المعابر الشرعية وغير الشرعية ، التي استطاعت من خلالها أن تحصل معظم دول أوروبا على أعداد كبيرة منها ـ بحيث شكلت ركناً هاماً في مكتباتها وانشئت لها معاهد الدراسات الشرقية ـ ومن هذه المعابر : **القنوات** الدبلوماسية سواء بطريق الإهداء أو الشراء .. وعلى سبيل المثال ، فقد بذل **ملك بروسيا ـ صاحب مكتبة برلين في بداية تكوينها ـ [فردريك ويليام ـ ١٦٢٠ ـ ١٦٨٨م] جهوداً كبيرة من أجل الحصول على المخطوطات الإسلامية والعربية ، فأرسل لهذا الغرض اثنين من معاونيه ـ من المتخصصين في الدراسات الشرقية ـ إلى الشرق ، هما « ريتشارد ليبسيوس » و « هنريس بترمان » لجمع مايمكن جمعه منها ...**

وبمرور الزمن : كان للعلاقات الخاصة بين بروسيا والدولة العثمانية ، وللتحالف التاريخي بين المانيا وتركيا ، خلال حربين عالميتين ، أثر واضح في تسهيل عملية انتقال المخطوطات العربية والتركية والفارسية إلى مكتبة برلين ..

ونستطيع أن نقول : ـ بصورة عامة ـ **أن عمليات الاتجار المشبوهة ، التي أجرتها أوروبا مع بلدان المشرق والمغرب الإسلامي كان لها دورها في تسرب كميات كبيرة من المخطوطات ، حيث حرص التجار الغربيون على نقل ما استطاعوا نقله منها باعتبارها مواد علمية وأثرية ذات قيمة** . وفي بعض الأحيان على سبيل الذكرى من هذه البلدان .. فاستطاعت « **شركة الهند الشرقية** » ـ على سبيل المثال ـ التي اسستها بريطانيا لإدارة شؤون

■ مسؤول قسم المخطوطات بمكتبة برلين : متخصص في تاريخ الجزائر ، درس اللغة العربية في الجامعة الالمانية الشمالية ويتحدث بها بصعوبة ، ويعمل بالمكتبة منذ اثنتي عشرة سنة ■

■ قاعة المطالعة الرئيسة في مكتبة برلين ـ وبجوارها يوجد قسم الفهارس الذي يضم معلومات عن حوالي ثلاثة ملايين ونصف مليون كتاب ، وثلاثين ألف مخطوطة ■

■■ تتصل عملية توزع نسبة كبيرة من حوالي ثلاثة ملايين مخطوطة عربية وإسلامية في دول العالم الغربي بجذور الصراع الحضاري - الذي لايزال دائراً - بين الأمة الإسلامية والغرب ، حيث يسعى بإصرار إلى سلب هذه الأمة مقومات نهضتها .. وهذه المقومات تكمن في تحقيق التواصل الحضاري والثقافي للشخصية المسلمة ، منذ نشأة العقيدة الإسلامية وتفاعل حياته بها .. إلى عصرنا الحاضر ■■

الاقتناء.. إلى النشر

■ مبنى مكتبة برلين في مقرها الجديد بالقسم الغربي من المدينة .. بلغت تكاليف انشائه مائتي مليون مارك الماني ■

مستعمراتها أن تنهب كنوزا نادرة من موروثات المسلمين ، فكانت تطلب إلى رجالها ضرورة العودة إلى بريطانيا بمخطوطات وقطع أثرية كدليل على نجاحهم في مهماتهم ..

المعرفة تمنح القوة

وبانتقال المخطوطات من البلاد الإسلامية إلى مكتبات أوروبا ومراكز ومعاهد الدراسات الاستشراقية بجميع مدنها تقريباً **لوحظ زيادة السيطرة الغربية على بلاد المسلمين على ضوء ما حصل عليه الغرب من معلومات وأفكار عن الشخصية الإسلامية** ، فالمعرفة - كما يقولون - تمنح القوة ؛ ولعل هذا مايوضح أبعاد العلاقة الرسمية الوثيقة بين الاستشراق والاستعمار ، فمن المستشرقين من عمل مستشاراً لوزارة المستعمرات في بلده مثل المستشرق « **دي ساسي** » في فرنسا ، والمستشرق « **ماسينون** » الذي كان مستشاراً لإدارة المستعمرات الفرنسية في الشؤون الإسلامية ، ولذلك فلا غرابة أن تحظى المخطوطات الإسلامية منهم بالحفظ والعناية وعمليات التصنيف والفهرسة العلمية ...

مكتبة برلين

ومكتبة برلين . تعتبر إحدى المكتبات الأوروبية الهامة التي ساعدت الغرب كثيراً في دراسة قضايا الفكر والعلم والثقافة عند المسلمين ، وأفادت بذلك أجيالاً من المستشرقين .. **وهي تأتي في المرتبة الخامسة بين مكتبات العالم** - من حيث أهميتها للباحثين والذين يشتغلون بتحقيق التراث . **بعد المكتبة الظاهرية بدمشق ، ومكتبات استانبول بتركيا ومكتبة جامعة بريستون بأمريكا ومكتبات القاهرة والاسكندرية** .

وخلال زيارتنا للمكتبة - في مبناها الجديد بالقسم الغربي من مدينة برلين (**عاصمة المانيا منذ ١٨٧١**) الذي تكلّف مائتي مليون مارك الماني - حيث كانت المكتبة قبل ذلك تشغل عدة مبان قديمة مؤقتة - التقينا بمسؤول قسم المخطوطات والدراسات الشرقية (متخصص في تاريخ الجزائر ، ودرس اللغة العربية في الجامعة الالمانية الشمالية ويتحدث بها بصعوبة ، ويعمل بالمكتبة منذ اثنتي عشرة سنة) ..

وقد حدثنا حول عدد المخطوطات الموجودة بالمكتبة ، ونوعيتها والطابع المميز لها ، وطريقة حفظها وفهرستها .. يقول :

● **يوجد في مكتبة برلين حوالي ثلاثة ملايين ونصف مليون كتاب · أما المخطوطات فيبلغ عددها ثلاثون ألفاً ، منها تسعة آلاف مخطوطة عربية ، والباقي مخطوطات تركية وفارسية وهندية وصينية** .. وهي جميعاً مدونة في فهرس خاص بذلك ، وأيضاً مدونة ضمن فهارس مختلفة عن المخطوطات العربية في المانيا .. منها :

فهارس المخطوطات

- فهرس مخطوطات جميعة المستشرقين الألمان في « Halle Saale » الذي نشره

المخطوط الإسلامي في خزائن مكتبة برلين

من الاقتناء.. إلى النشر

هانس فير Hans Wehr في عام ١٩٤٠

— وفهرس مخطوطات السيمياء الذي وضعه A.siggel ، ونشره مجمع العلوم في برلين ، كمساهمة في الفهرس العام لمخطوطات الكيمياء ، الذي ينشر تحت رعاية اتحاد المجامع الدولي في بروكسل ، وقد صدر من هذا الفهرس ثلاثة أجزاء :

□ **الأول** : (برلين ١٩٤٩) ويتضمن مخطوطات مكتبة برلين ،

□ **والثاني** : (برلين ١٩٥٠) ويشمل مخطوطات مكتبة جوتا .

□ **والثالث** : (برلين ١٩٥٦) عن مخطوطات مكتبات درسدن Dresdne وميونيخ Munchen .

■ وهل لاتزال توجد مخطوطات غير مفهرسة من بين ما تحصل عليه منها مكتبات المانيا حديثاً ؟

— في عام ١٩٥٥ ، تقدم أحد المتخصصين من ذوي الاهتمام هو الدكتور هـ . رومر باقتراح باحصاء وفهرسة جميع المخطوطات الشرقية الموجودة في مكتبات المانيا ، التي دخلت المكتبات بعد ظهور فهارسها ، وقد قبلت الجهات المعنية هذا الاقتراح وبديء بتنفيذه ، وقد تبين - نتيجة ملاحظات أولية - أن هناك مايقرب من ١٤ ألف مخطوط غير مفهرس - في المانيا بشطريها ، وهذه المخطوطات الموزعة في عدد كبير من المكتبات - قد جرى تصنيفها حسب لغاتها ، وعُهد إلى علماء مختصين بوضع فهارسها ، حسب اختصاصهم ، إما بأنفسهم وإما بالاستعانة بالخبراء ، ويدير هذا العمل **الدكتور otto spies** الاستاذ بجامعة بون **ورودلف سلهايم R. sellheim** من جامعة فرانكفورت ، بمساعدة الدكتور **ايفالد فاجنر Evald Wagner** من جامعة مينز Malnz .

المخطوطات العربية

ويضيف مسؤول قسم المخطوطات الشرقية بجامعة برلين :

والمخطوطات العربية - بصفة عامة - عبارة عن مصاحف ، ومدونات في علم التفسير وعلم الحديث وعلم الكلام ، وفي التصوف ، وفي الشعر والأدب ، وعلوم اللغة ، والنحو والصرف ، وفي التاريخ والسير الشعبية ... ونسبيا ، فإن عدد المخطوطات في الأدب والشعر كثيرة ؛ والسبب في ذلك أن الرجال الذين كانوا يجمعون المخطوطات - في القرن الماضي - إما إنهم كانوا لايجدون غيرها أو أنهم كانوا يحصلون عليها بسهولة ..

■ **إلى أي القرون يعود تاريخ مخطوطات المصاحف الموجودة بالمكتبة ؟**

— أوراق المصاحف المخطوطة الموجودة بالمكتبة تكوّن عشرين نسخة ، وهي تعود إلى عدة قرون ؛ القرن السادس والسابع والتاسع والعاشر الميلادي ..

■ **وعن رحلة المخطوطات إلى مكتبة برلين .. يقول رئيس القسم :**

— يعود تاريخ حصولنا على معظم هذه المخطوطات إلى القرن التاسع عشر الميلادي ، وقد ساهمت في ذلك العلاقات والاتصالات التي كانت قائمة بين بروسيا والعثمانيين ، خاصة فيما يتعلق بالمخطوطات التركية والعربية والفارسية ، حيث كان ملك بروسيا قد كلّف القنصل البروسي في دمشق بالبحث عن المخطوطات الهامة وجمعها وإحضارها ، وتوجد الآن بالمكتبة ستون مخطوطة نتيجة جهوده الناجحة ..

وتعتبر المصادر الدبلوماسية هذه احدى الوسائل التي تم تزويد المكتبة بالمخطوطات عن طريقها ، كما كانت الرحلات والبعثات المنظمة من الوسائل الهامة في هذا المجال ، **فقد قام الرحالة « إدوارد بلازر » بتنظيم بعثة إلى اليمن ، ومن هناك اشترى ٢٥٠ مخطوطة عربية ، أحضرها معه إلى بروسيا ثم انتقلت إلى مكتبة برلين ، كما قام « شبرنجر » - الذي كان يعمل**

■ يتم حفظ المخطوطات في أماكن مهيأة ، كما يتم فحصها بصفة دورية ، ومعالجتها في معملين لترميم المخطوطات ، واحد في ميونيخ والآخر في برلين ، أقيما في الخمسينيات ■

■ ملك بروسيا - فريدريك ويليام (١٦٢٠ - ١٦٨٨) الذي تكونت نواة مكتبة برلين في قصره ، وقام بتزويدها بالمخطوطات العربية الإسلامية ■

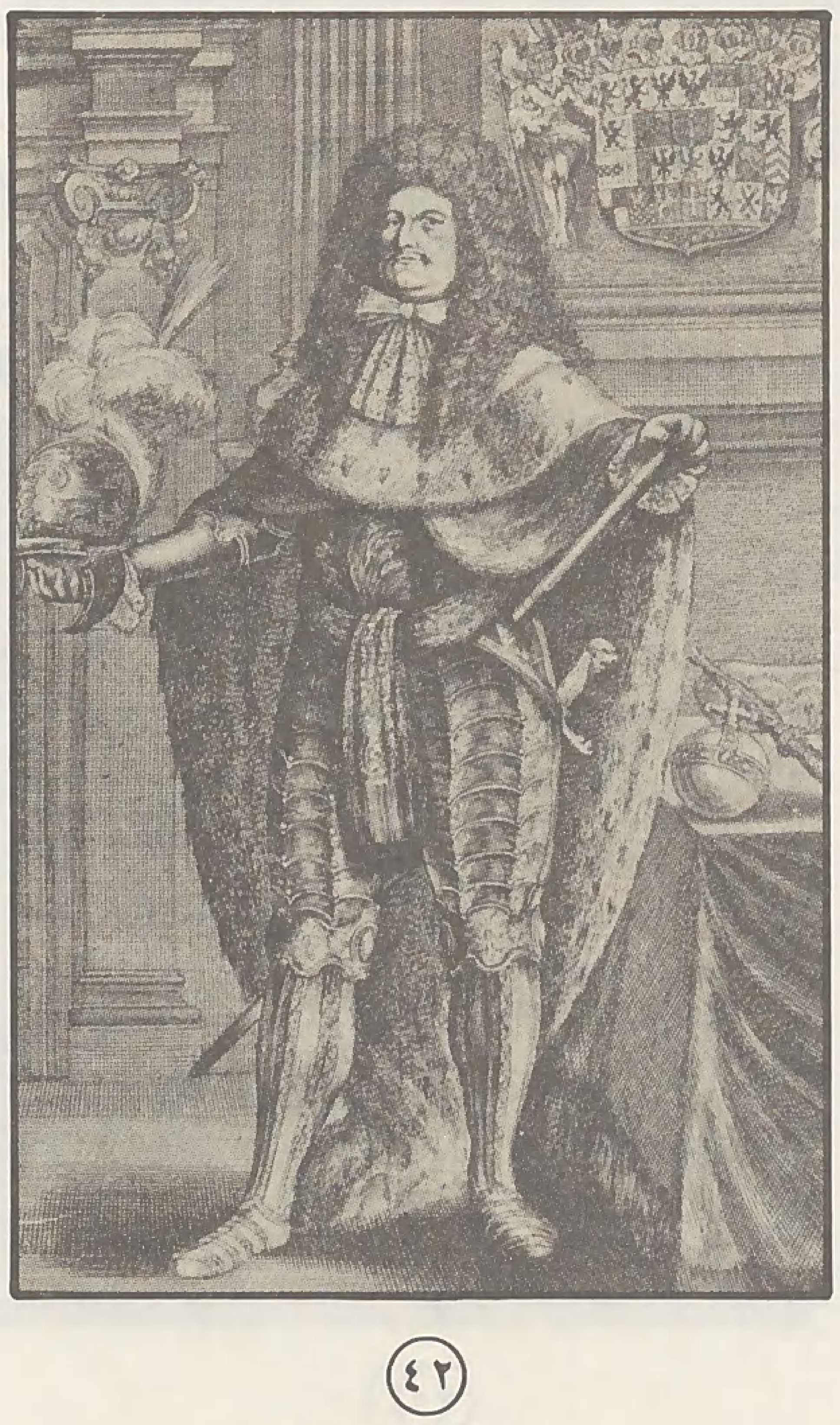

■ غلاف لمصحف مخطوط .. يجري تقدير تاريخ كتابته بدراسة نوع الورق وشكل الزخارف وأسلوب الخط ■

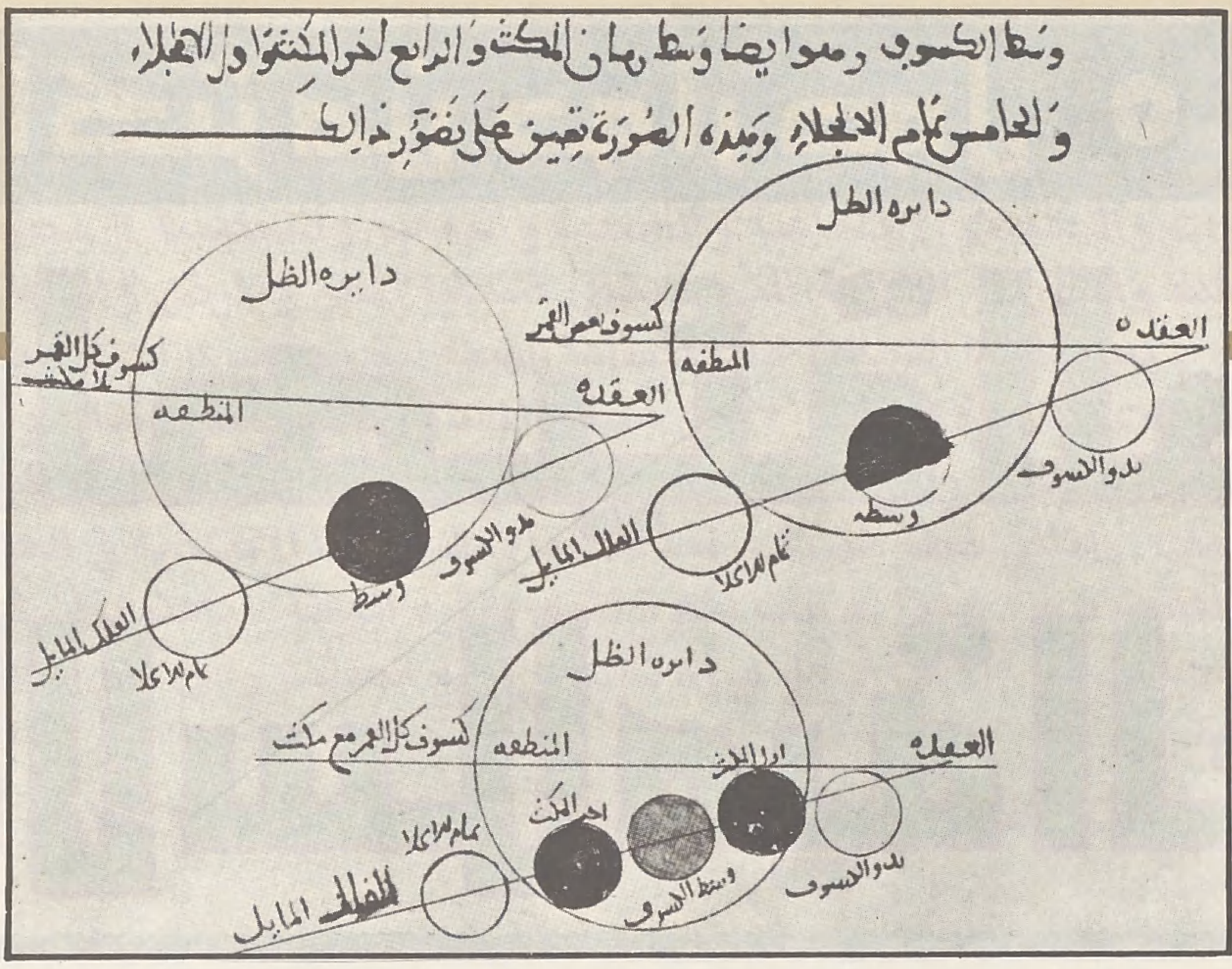

■ مخطوطة عربية من مقتنيات مكتبة برلين (٧٥ر٢١ سم ×١٤ سم) تتضمن معلومات لتدريس علم الفلك وهندسة المثلثات والحساب (٦٣٥هـ/١٢٣٨م) ■

في شركة الهند الشرقية ـ بجمع عدد كبير من المخطوطات بلغ ألفي مخطوطة .. ثم كانت بعثة « لانت بيرج » ـ في أواخر القرن الماضي ـ التي كانت تهتم بقضايا الحرف اليدوية واللغات المحلية العامية في جنوب شبه الجزيرة العربية ـ وقد جمعت هذه البعثة خلال فترة عملها عدداً كبيراً من المخطوطات ..

■ على ضوء دراستكم وخبرتكم في مجال العمل بمكتبة برلين لاكثر من عشر سنوات ، كيف ترون أهمية المخطوطات الموجودة بالمكتبة بالنسبة لتطور دراسة الشؤون العربية والإسلامية في المانيا بصفة خاصة وفي أوروبا بصفة عامة ؟

ـ لقد كانت المخطوطات التي حصلت عليها مكتبة برلين ـ على مدى أكثر من قرن من الزمان ـ سبباً في تطور ونمو الدراسات العربية في أوروبا .. وعلى سبيل المثال ، فإن المستشرق الشهير « كارل بروكلمان » ـ الذي سجل تاريخ الآداب والعلوم عند العرب في خمسة مجلدات كان قد بدأ عمله هنا في مكتبة برلين ، وعكف بها على رصد معظم المؤلفات التي ضمنها كتابه « تاريخ الأدب العربي » من خلال ما أتاحته له المخطوطات الموجودة بها ..

كيف يمكن الاستفادة من المخطـوطات ؟

■ وكيف يستفيد الطلاب الدارسون بمعاهد الدراسات الشرقية بالجامعات الألمانية من المخطوطات ؟

ـ يوجد في جامعة برلين ـ على سبيل المثال ـ معهدان لدراسة اللغات السامية ومعهد للدراسات العربية والإسلامية ، ويستفيد الدارسون بها من المخطوطات بصورة مباشرة ، ولكن تأتينا أيضاً طلبات كثيرة للحصول على صور مخطوطات معينة من الباحثين والدارسين المتخصصين بالبلاد العربية .. وعندما تأتينا هذه الطلبات نقوم بتصوير الصفحات المخطوطة المطلوبة ، وتقوم إدارة المكتبة بارسالها خلال شهر أو شهرين ..

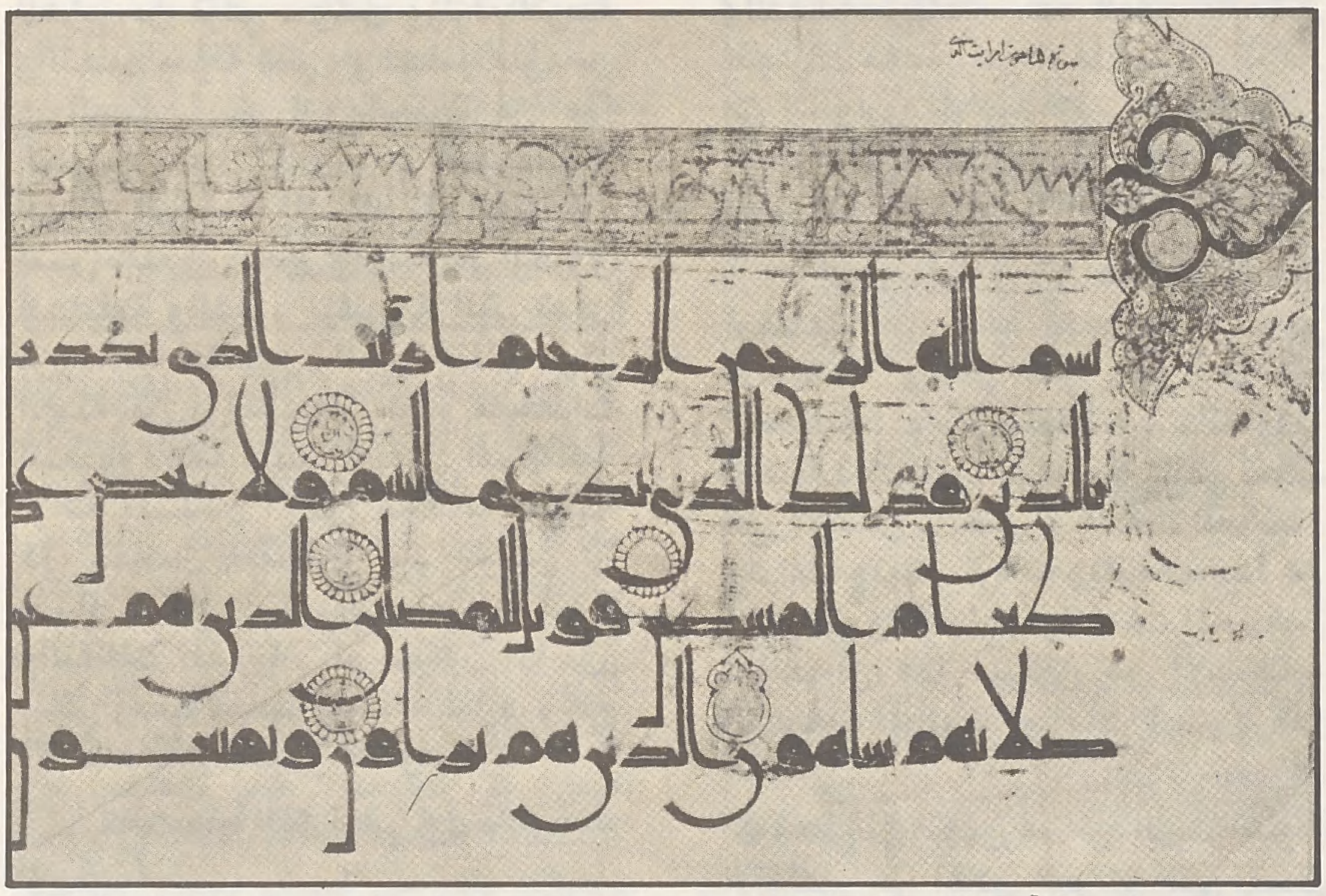

■ من المخطوطات القرآنية التي تقتنيها مكتبة برلين ـ صفحة من سورة « الماعون » ـ بالخط الكوفي ضمن مجموعة تضم خمس صفحات مقاس ٢٥×٣٧ سم ، مكتوبة على الجلد ■

نوعية المخطوطات التي اختيرت للنشـر

وحول مجالات الاستفادة من المخطوطات العربية والإسلامية الموجودة في مكتبات أوروبا وفي مراكز الدراسات الشرقية بجامعاتها ، قد يكون من المفيد الاشارة إلى مجال النشر ، ذلك أن مزيداً من الشك يشيع حوله بالنظر إلى نوعية المخطوطات التي اختيرت للنشر من بين موروثات العقل الإسلامي ، وبصفة عامة ، فإن نسبة ما قام المستشرقون بنشره من المخطوطات لم يتعد ٢٠٪ أي حوالي ٩٥٠ كتاباً على مدى عشرين عاماً (بدأ نشاط المستشرقين الألمان في النشر بعد الحرب العالمية الثانية) ، ويرى الباحثون أنها من نوعيات معينة تتناول بصورة أساسية الفكر الأخلاقي والمذاهب الباطنية التي لا تقوم إلا في عصور الانحطاط الحضاري وضعف المسلمين :

ـ أشهر السلاسل التي تصدر الآن هي « المكتبة الإسلامية » التي أسسها هلموت ريتر H.ritter

ـ في عام ١٩٥٣ ، نشر رودلف شتروتمان R.strothmann رسالتين عن النصيرية ، الأولى مجهولة العنوان والمؤلف ، والثانية رسالة للشيخ محمود بأمرة الحسين النصيري .

ـ وكان شتروتمان نفسه قد نشر بين عامي ١٩٤٤ ـ ١٩٥٥ ـ في منشورات مجمع العلوم في جوتنجن ـ كتاب « مزاج التسنيم » وهو عبارة عن تفسير « اسماعيلي » للقرآن .

ـ ونشر أيضاً (١٩٤٦م) في مجلة « الإسلام Der islam » المجلد ٢٧ ـ كتاب « سبيل الأرواح ودليل السرور والافراح إلى خالق الاصباح » المعروف بمجموع الأعيان ، لأبي سعيد ميمون بن القاسم النصيري ..

أكثر من حوار حول ٢

الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية

كان لقاؤنا هذه المرة مع الاستاذ عبد العزيز بن تركي ـ وكيل وزارة التربية والتعليم بدولة قطر، والعضو المؤسس في الهيئة، ذلك أن مايعنينا من هذا الحوار ـ بشكل أخص ـ هو الدور الثقافي للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، فنحن نعلم أن الجهل والأمية هي الخروق الحقيقية والثغور المفتوحة التي تسلل من خلالها التنصير والغزو الثقافي، وان الهيئة من برامجها أن تقدم مساعدات انتاجية دائمة وليست حلولاً استهلاكية لواقع المسلمين.. فهل ستقتصر الهيئة على تحصين المسلمين ضد مايمكن أن يتسلل ـ مع حاجتهم ـ من المبادىء والثقافات الغازية، أم سيكون لها دور بنائي وخطة شاملة للعطاء الثقافي وعدم الاكتفاء بسد الثغور المفتوحة ؟؟

.. كانت هذه الفكرة هي أول ماطرحناه للمناقشة..

الدور الثقافي وأولويات العمل

● يقول:

إن أحد الأهداف الرئيسة التي تقوم عليها الهيئة ـ الاهتمام بالجانب الثقافي فيما يتعلق بدور الإسلام والمسلمين في الوصول بالانسان إلى مايحقق السعادة والرفاه ـ ويوفر للمسلمين الحصانة التي تحفظ لهم عقيدتهم، ذلك لأن الاتجاهات الثقافية الأخرى إنما تقوم مبرأة من الناحية القيمية والعقيدية ـ كما تعلمون ـ فهي تستهدف ترويج فلسفة استعمارية معينة، أو زرع توجهات عقائدية معينة أو تحقيق مكاسب تجارية واقتصادية أو كل الأهداف معاً، الثقافة الآن تسخر بمنأى عن الجانب القيمي والأخلاقي والانساني، وفي تصوري أنه في ضوء التناقضات القائمة الآن في هذا العصر، وماكشفت عنه حضارة الغرب التي تعتبر قمة الحضارات المادية ـ من وجود فجوة عميقة في قلب الانسان ومشاعره لن تستطع أن تملأها هذه الحضارة التي تعتمد على إثارة الانبهار والدهشة ـ فقط ـ عند الناس وتحقيق انجازات مادية، يعتبرها بسطاء الناس من الخوارق إلى درجة قد تهزم الانسان البسيط المتخلف وتجرده من كيانه الثقافي بفعل هذه المبهرات..

اقول، إنه في ظل هذا الواقع إذا استطعنا أن ننتفع بمعطيات جوهر الإسلام، ونعمل على نشر مبادئه الأصيلة، وبعث ثقافته، كانموذج للثقافة ذات القيم الراسخة، التي تحفظ على الإنسان ـ بصورة عامة ـ انسانيته وكرامته وتهتم بترقيته وتقدمه بعيداً عن الاغراض والأهواء وارتكاسات المادة فمن المؤكد أن هذا سيكون هو الاستجابة الطبيعية المطلوبة لحاجات البشر في هذا العصر..

■ يعني في تصوركم أن الهيئة سوف لاتقتصر على اغلاق النوافذ التي يتسلل منها الغزو الفكري بمختلف وسائله وتعدد أهدافه، و إنما تفكر بالقيام بدور بنائي لإيصال رسالة الاسلام إلى العالم لإنقاذ الانسان مما يعانيه من أزمة الحضارة المادية..

ـ هذا صحيح، وإن كان الأمر في البداية يقتضي أن تكون هناك أولويات، فقد تكون بعض الامور البسيطة التي ينبغي أن تقوم بها الهيئة، لتحقيق تنمية تعليمية سليمة في قلب الأجزاء الاسلامية المحرومة التي توجد فيها نسبة كبيرة من الأميين ـ قد يكون ذلك هو الأهم في البداية لتخليص هؤلاء المسلمين من أميتهم، والعمل على سد احتياجاتهم وتحقيق حد الكفاية في مستوى التعليم كأولوية هامة.. ثم يأتي بعد ذلك مجال الانطلاق من خلال مراكز مفتوحة لتوعية الجيل المسلم المتعلم وتثقيفه وتحصينه ضد هذه الردة وهذا التغريب الذي نراه في الساحة الإسلامية.

■ مما لا شك فيه أن خطة الهيئة، والأعمال المنوطة بها في المستقبل سوف تاخذ في الاعتبار ترتيب الأولويات ووضع الخطط المرحلية والمدروسة لأعمالها، فإلى أي مدى يمكن أن تفكر الهيئة ـ فيما يتعلق بالمجال الثقافي والمجال الفكري ـ بايجاد برامج مستقبلية مخططة على المدى البعيد، مبصرة للمراحل التي سوف تنتقل إليها. وذلك لأهمية هذه المجالات التي يرجو المسلم لها أن تخلص من الارتجال وأن تحقق أقصى درجات الفعالية ؟

ـ دعني أقرأ عليكم بعض الأهداف المنصوص عليها في النظام الاساسي للهيئة، المتعلقة بالنواحي الثقافية والتعليمية، لعل فيها مايطمئن قلوب المسلمين:

[ـ بناء الشخصية المسلمة، ونشر الوعي الإسلامي الأصيل المبني على الكتاب والسنة، والمساهمة في محو الأمية، وتعليم القرآن الكريم واللغة العربية.. وتبليغ رسالة الإسلام إلى الناس كافة، وإيضاح الحقائق عن الاسلام وكشف أباطيل الخصوم بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.. وإنشاء ودعم المؤسسات التعليمية والثقافية الإسلامية، كالمدارس والمعاهد والجامعات والمكتبات والأندية، وتوفير المنح الدراسية مع توجيه التخصص لتغطية ماتحتاجه المجتمعات الإسلامية.. وتطوير أساليب التعليم والدعوة باستخدام الوسائل المتطورة المرئية والمسموعة والمقروءة وترجمة معاني القرآن الكريم والكتب الإسلامية إلى اللغات المختلفة وإعداد الدعاة والمعلمين وإنشاء معاهد لتدريبهم ليكونوا قادرين على القيام بمهمة التعليم والدعوة وفق الكتاب والسنة...].

بين المبادىء والبرامج العلمية

■ هذه كلها مباديء طيبة، ولكن ألا تلاحظون أنها واردة ـ كقاسم مشترك ـ ضمن الأهداف المعلنة عند معظم المهتمين بالقضية الإسلامية ولذلك يبقى الأمر المطلوب ترجمة هذه المبادىء إلى برامج

■■ كنا قد عرضنا في الجزء الأول من هذا الحوار لفكرة تأسيس الهيئة كثمرة لمبدأ الأخوة الإسلامية ومايترتب عليه من حقوق ، لسد الثغرات والحاجات الاجتماعية والصحية والثقافية والتعليمية في مجتمع المسلمين ، وحمايتهم من القوى المضللة والتيارات الغازية التي تستغل ضحايا الفقر والمرض والجهل ، وضحايا الكوارث لتفتنهم عن عقيدتهم .. كما تناولنا الوسائل التي تتبناها الهيئة لتقديم مساعدات إنتاجية مجدية في حل مشكلة الفقر إلى جانب الاغاثات الاستهلاكية التي لاتحل مشكلة المسلمين إلا بصفة مؤقتة ، ومن ثم لاتلبث أن تظهر من جديد .. وضرورة استقراء واقع المجتمعات الإسلامية والقيام بدراسات ميدانية لتصنيف الفقر والحاجة في هذه المجتمعات ، لتأتي خطة الهيئة في مساعداتها ومشاريعها الانتاجية في العالم الإسلامي متناسبة مع درجة الحاجة القائمة فيه .. وكذا عرضنا لفكرة تثمير موارد الهيئة ، باعتبار أن أهم ماجاءت به من إضافة في مجال العمل الخيري هو : الاعتماد على مورد ثابت من ريع استثمار رأس المال - ألف مليون دولار - وفقاً للضوابط الشرعية ..

وفي الختام وعدنا بمتابعة الحوار .. لإلقاء أضواء إضافية على جوانب أخرى في الموضوع :■■

■ عبد العزيز بن تركي :
لا بد أن تتوفر قبل كل شيء دراسات دقيقة عن الواقع الإسلامي وتحديد الاحتياجات الحقيقية والأولويات ■

من خلال لجان متخصصة واجهزة فنية ، لأنه ليس في وسع كل إنسان عنده غيرة على الإسلام أن يضع البرامج الحقيقية التي تتناسب مع الامكانات والظروف وسلم الاولويات التي تحتاجها مناطق العالم الإسلامي .. فهل بتصوركم - كإنسان يعاني القضية الثقافية بطبيعة اهتماماته وموقعه من العمل الرسمي - أن الهيئة يمكن أن تفكر بايجاد لجان متخصصة في القضايا الثقافية ، تتولى نقل هذه المبادىء إلى برامج ، وماهي الملامح العامة التي يمكن أن ترونها في هذا المجال ؟؟

— استطيع أن أؤكد أن العمل في إطار الهيئة سوف يكون - إن شاء الله - عملاً مبنياً على أسس علمية تخطيطية تنظيمية بالدرجة الأولى ، ولن يتم الاقدام على تنفيذ خطوة مالم تتوفر لها الامكانيات الاحصائية والمعلومات الدقيقة التي توفرها الأجهزة القائمة في داخل الهيئة : **فهناك مجلس تنفيذي وهناك مجلس الإدارة ، وهناك لجان متخصصة ، وأعتقد ان الأعضاء المؤسسين - بالاضافة إلى المفكرين المسلمين والدعاة والعلماء الذين يتواجدون في كثير من الأقطار الإسلامية ، أو حتى في أقطار غير إسلامية ولكنهم يمارسون الاهتمام بشؤون المسلمين هؤلاء جميعهم - قادرون بفضل الله - على إعداد دراسة برامج ، لها من القوة ومن الفاعلية - في مجتمعات المسلمين المحتاجة ، مايمكن أن تحدث تأثيراً فعلياً في قطاع الثقافة والتعليم والتربية ومحو الأمية ..**

لكن قبل كل شيء ، أعتقد أنه لابد أن تتوفر دراسات دقيقة عن الواقع الإسلامي . وتحديد الاحتياجات الحقيقية ، والاولويات وكيفية البدء ، وكلها مسائل على غاية من الأهمية ، وقد يكون أحد الأجهزة الهامة الموجودة ضمن الهيئة جهازاً للمعلومات أو بنك معلومات .. وستكون مهمته الرئيسة أن يغذي القائمين على الخطط والبرامج بالبيانات التي تمكنهم من تقديم البرامج على كل المستويات ..

موقع القضية الفكرية

■ لكن الحقيقة تبقى القضية الفكرية لها مواصفاتها الخاصة التي تتطلب إعداداً خاصاً .. فقد تكون الحاجات الأخرى مقدمة مثل قضية الطعام والشراب والكساء وما إلى ذلك ، حتى يهيأ الانسان لتقبل القضية الفكرية وحتى تغلق الاقنية التي يتسلل منها الغزو الفكري .. الا أنه لابد في الحقيقة أن يكون عندنا تصور عن البرامج ، التي لاتقتصر على الحصانة الفكرية لعالم المسلمين وإنما تتجاوز ذلك بأن تجعل المسلم صاحب رسالة يستطيع أن ينقلها إلى العالم ..

— لاشك أن هذا هو أدق تعبير عن الحاجة الحقيقية للمسلمين اليوم التي يمكن أن تعالج الواقع المؤسف الذي نشعر به جميعاً ، **إن تخلف الدور الإسلامي على الساحة العالمية جعل القوى العالمية المتصارعة لاتحسب أي حساب لهذا الدور ، وهو مانعتبره نتيجة طبيعية للتمزق والتخلف والانقسام الذي أصاب المجتمعات الإسلامية ، وبالتالي عدم استشعار المسؤولية وماتقتضيه من ضرورة إيجاد القوة والفاعلية وإسقاط مبدأ أن الأمة الإسلامية أمة واحدة - عقيدة وشعوراً وسلوكاً ومسستقبلاً ووجوداً ،**

■ في إطار تحديد الحاجات الحقيقية قد نختلف عن غيرنا في جدولة الأولويات فقد نعتبر أن تخريب القضية الفكرية هو الذي أدى بالمسلمين إلى ماهم فيه من التمزق ، وقد يكون ترتيب القضية الفكرية وإعادة تنقيتها وسلامتها ، يمكن أن يقع في جدول الأولويات من القضايا الأساسية في عمل الهيئة ..

أكثر من حوار حول ②

الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية

وهناك في الحقيقة نقطة أخرى، هي أن رسائل كثيرة تأتي إلى «الأمة» من الطلبة المسلمين من جميع أنحاء العالم، الذين يكونون هدفاً للغزو الفكري بما يقدم لهم من فرص للدراسة والرعاية المجانية بالمدارس والجامعات التنصيرية والاستعمارية بشكل عام..

فإلى أي مدى - في تصوركم - يمكن التفكير بالاتصال بالهيئات والمؤسسات التعليمية والجامعات والمعاهد الإسلامية المعنية - الرسمية والشعبية - لإمكانية الحصول على مجموعة من المنح الدراسية للطلبة من أبناء المسلمين، بعد إجراء مسح ودراسة للعالم الإسلامي لتحديد احتياجاته، وقد ترون أن هذه المنح تحقق هدفين رئيسين: فهي أولاً تنقذ أبناء المسلمين من أيدي المؤسسات التعليمية التنصيرية الاستعمارية - وهي عملية تحصين ضرورية ابتداءً، ثم تجعل منهم جسوراً تمر من خلالها الثقافة الإسلامية الصحيحة إلى بلادهم فيبنى بهم كيان الثقافة الإسلامية هناك..

— الأمر الذي لاشك فيه أن الفترة التي مضت منذ اعلان قيام الهيئة حتى الآن لاتعدو أن تكون حوالي شهرين لأن الهيئة كما تعلمون، أعلن عن تأسيسها في دولة الكويت في ١٧ - رمضان الشهر المبارك، والأهداف التي وضعت لها تقوم بالفعل على تمكين الشباب المسلم من تحقيق فرص دراسية في الجامعات والمؤسسات التعليمية القائمة في العالم الإسلامي، أما عن العمل الأساسي الذي تقوم به الهيئة - في البداية - فهو بناء القوة المادية داخل الهيئة نفسها، والفكرة التي طرحتموها إنما تقتضي قيام جهاز يستطيع أن يتحرك، والجهاز القائم حتى الآن لايعدو أن يكون مجموعة المؤسسين والتشكيل المنتخب لمجلس الادارة، وعندما نستكمل هذه المرحلة - التي تتمثل في بناء القوة المالية المستقلة للهيئة حتى تتحصن ضد عوامل الضعف والخضوع لتاثيرات معينة من هيئات رسمية أو غير رسمية، وحتى يقوم بناؤها بشكل مستقل يمكنها من أن تتعامل وفق المبادىء الإسلامية وفي إطار ظروف المسلمين، تعمل على تخليص المسلمين من المعضلات والمشاكل التي يواجهونها - وتصنف الأولويات - دون أن تخضع في قراراتها إلى أية تأثيرات سياسية أو رسمية من أية جهة، وأعود الآن لأقول: إن من المقرر أن يتم خلال الشهرين القادمين تنظيم حملة على مستوى الوطن الإسلامي والعالم كله للحصول على رأس مال الهيئة (ألف مليون دولار) وخصوصاً من الدول الغنية، وسوف تسهم في هذه الحملة جميع فئات الشعب، وقد تكون هيئات رسمية ولكن التبرع بالمال سوف يكون تبرعاً خالصاً، بريئاً من أي شرط أو غرض، لأن هذا المال سوف يستخدم لتحقيق أهداف الهيئة، وبالتالي يجب أن يكون مالاً صافياً مستقلاً، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة تنظيم الجهاز الداخلي للهيئة الذي يتكون من موظفين وإداريين ومفكرين ومتخصصين في المجالات المختلفة، ومن ضمنها المجال الثقافي بقضاياه المختلفة.. سواء كانت قضايا فكرية إسلامية، أو تيارات حضارية وافدة ينبغي للهيئة أن توعِّي المسلمين بها في مناطق معينة. أو قضايا تتعلق بنشر التربية الإسلامية والاهتمام بالكتاب والسنة وتعليم اللغة العربية ومحاربة الأمية، أو على مستوى الاهتمام بالطلبة من أبناء المسلمين وتمكينهم من الحصول على مقاعد ومنح دراسية في المعاهد والجامعات الإسلامية، للحيلولة دون محاولات احتوائهم واستيعابهم في مؤسسات الآخرين.. فكل هذه القضايا - في الحقيقة - سوف يخطط لها ان شاء الله - بمجرد قيام الأجهزة التي نتوخى أن تقوم سريعاً بإذن الله - عندما نتمكن من تحقيق الأولوية الأولى وهي بناء الهيئة من الناحية المادية والاقتصادية...

المتخصصون المخلصون..

■ الهيئة بالفعل - كما نعلم - تخطو الخطوة الأولى - لكن في تصوري أن دور أجهزة الاعلام والثقافة الإسلامية ومن ضمنها «الأمة» أن تبصر الهيئة بالجوانب والآفاق التي يمكن أن ترتادها، وأن تقدم لها رؤى، وأن تكون حواساً لها، فنحن لا نطرح هذا على أساس ان الهيئة قد استكملت أجهزتها وإنما نحاول أن نقدم آفاقاً وأن نفتح نوافذ للنظر من خلالها على بعض الابعاد التي يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار، لتكون وسائل الاعلام الإسلامية، أداة مساعدة للهيئة وكما يبدو لنا أيضاً أن كثيراً من طلابنا المبتعثين في جامعات أوروبية يخضعون لنمط ثقافي وحضاري معين ويخضعون لشبهات معينة، فهؤلاء لابد - في الحقيقة أيضاً - أن يؤخذ وضعهم بعين الاعتبار..

وعلى العموم فإن مانعنيه هو ان القضية الثقافية التي يمكن أن تمارس الهيئة العمل لها على مستوى المسلمين في العالم الإسلامي، وبين الاقليات الإسلامية في العالم. وعلى مستوى الفرد كانسان في العالم، قضية يمكن أن تكون على غاية من الأهمية والخطورة، وبعض الإخوة الذين يحسون بأن وظيفتهم تنتهي عند ملء البطون الجائعة وستر الاجساد العارية.. يكونون قد حققوا أقل من خطة العمل المطلوب تحقيقها..

— هذا الأمر واضح جداً، وكثير من الإخوة في الاجتماع الذي عقد في دولة الكويت الشقيقة للاعضاء المؤسسين كانوا يمثلون الجوانب المختلفة للعمل الإسلامي. كان من بينهم إخوة يمثلون اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة الامريكية وفي كندا وآخرون

■ من أهداف الهيئة الرئيسة الاهتمام بالجانب الثقافي وتوفير الحصانة التي تحفظ على المسلمين عقيدتهم وتجعلهم قادرين على العطاء الإنساني ■

■ الإسلام.. ليس انقلاباً عسكرياً كما يتصور بعضهم وليس تفوقاً مادياً فحسب. إن الإسلام خير وللخير مؤسساته ■

من هيئات تمثل الندوة العالمية للشباب المسلم ، وأيضاً بعض الإخوة المفكرين المعروفين باهتمامهم بالمجالات الثقافية والفكرية إلى أبعد حدود .. ولذلك فالهيئة ـ ولله الحمد ـ يمثل الاعضاء المؤسسون فيها قطاعات متنوعة قادرة بالفعل على العطاء ، وعلى تغطية الجانب الثقافي والفكري والحضاري بكثير من الأفكار التي تمثل أولويات على الساحة الإسلامية وإننا ندعو الله تعالى أن تتوفر لدينا العقول والقلوب والنوايا المخلصة والرجال القادرون على العطاء غير المحدود ، وأن ينظر إلى هذا العمل على أنه جزء من الالتزام بعقيدة الإسلام وجزء من واجب الفرد المسلم في هذا العصر ، وأن يحاول كل مسلم أن يكثف جهوده للتغلب على هذه المشكلات التي هي بحاجة ـ ليس فقط إلى هيئة واحدة ولكن إلى عشرات من أمثال هذه الهيئة ، وفي حاجة إلى جهود مضاعفة .. والهيئة قد تكون مجرد علامة على الطريق تضيء ـ ان شاء الله ـ ونحمد الله سبحانه وتعالى أنها حتى الآن تسير في الطريق الصحيح .

■ قد تكون المشكلة ـ في تصوري ـ أن عالم المسلمين يعاني من وجود الناس المخلصين غير المتخصصين ، أو وجود متخصصين غير مخلصين ، والانسان يخشى من باب غيرته أن يتولى بعض اللجان التخصصية أناس مخلصون ولكن بعيدين عن التخصص ، فترتكس الهيئة وتقع بمشكلات ، قد يخف معها حماس المسلمين وعطاؤهم ويقلل بالتالي من قدرة الهيئة على تنفيذ رسالتها ، فيتمنى الإنسان أن يكون التخصص والإخلاص هما العنصران اللذان يمكن أن يحققا النتائج المطلوبة ـ إن شاء الله ـ

■ وفي ختام جولة الحوار .. كان لنا هذا اللقاء مع العالم الداعية ، فضيلة الشيخ محمد الغزالي ..

يقول فضيلته معقباً على حدث تاسيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في هذه المرحلة من مراحل العمل الإسلامي المعاصر :

● يؤسفني أن أقول : إن أمتنا الإسلامية نسيت نفسها من أمد طويل ، وذهلت عن أن لها رسالة كبيرة ، كان يجب أن تحملها للناس تسعد بها نفسها أولاً ثم تنشرها بين الناس ..

إن أمتنا تعطلت فيها أجهزة الدعوة من مدة طويلة فلم تحسن عرض الإسلام في الخارج ، ولم تبعث المبلغين ذوي الكفاية والدراية والخبرة وأنواع المهارات المختلفة كي ينشروا الإسلام ، وما حدث من ذلك كان نشاطاً فردياً وليس خطة عامة تضعها دولة .. ثم أمتنا أيضاً لم تقدم من نفسها أنموذجاً معجباً ، يجعل الآخرين ينظرون إليها ويتأسون بها ويقتبسون منها ..

إن هذا الوضع الذي سقطت فيه أمتنا ، وأصبحت في شبه غيبوبة أساء إليها يقيناً ، وانتهى بالنهاية المحزنة التي وصلنا إليها **إذ أصبحت أمتنا جزءاً ضخماً من العالم الثالث . العالم الذي لاحضارة له ولاصناعة له ، ولاتفوق له ، والذي يعيش ذيلاً لإحدى الكتلتين الكبيرتين في العالم ، الصليبية أو الشيوعية ..**

هذا النوع من التصرف الذي أشرت إليه يكاد يكون ارتداداً دينياً أو خيانة وطنية عظمى ، إنه شيء لايمكن قبوله أبداً . لقد وصفنا الله سبحانه وتعالى فقال : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ .. (آل عمران : ١٠٣) فما الخير الذي دعونا إليه ؟ هل حققناه في بلادنا ثم نشرناه بين الناس ؟ إن جمودنا على هذا النحو هو الذي أتاح للآخرين من حملة الخرافات والأباطيل ، من حملة العقائد المغشوشة والايمان المزيف ، إن جمودنا أتاح لهؤلاء أن ينطلقوا في العالم ، ومن خلال خدمات اجتماعية رخيصة أو غالية أخذوا يقنعون الناس بأنهم على شيء أو بأنهم يقدمون للعالم شيئاً ..

والذي حدث للأسف أن الطمع بلغ بهم حداً رهيباً ، لقد بلغ بهم الطمع إلى أن يعقدوا مؤتمراً ـ أخيراً ـ يتنادون فيه بالإجهاز على الإسلام نهائياً ، فما ينتهي هذا القرن إلا ويكون الإسلام قد انتهى .

لقد كانت صرخة **الدكتور يوسف القرضاوي** لإيقاظ النيام وإشعارهم بواجباتهم ، كانت صيحة مقدورة مشكورة .. وكان لابد أن يتجاوب معها أولو العقل وأصحاب الخير ، أولو الغيرة على الدعوة الإسلامية ، المحافظون على رسالة الإسلام ، الحريصون على أن يؤدوا واجبهم نحو ربهم ونحو دينهم .. هؤلاء استجابوا فعلاً ..

الإسلام خير فعلاً

■ الا تعتبرون أن هذه الخطوة قد جاءت كرد فعل للهجوم الذي يقع على الأمة ، ويخشى أن يتوقف عند حدود رد الفعل ؟ فكثيراً ما تحمسنا لقضايا كردود فعل ثم تبرد الهمة ؟

ـ بلى ، لقد كان مافعلناه رد فعل للهجوم ، لكن الهجوم قديم ورد الفعل كان ضعيفاً في الماضي .. أما الآن فأعتقد أن رد الفعل سيكون قوياً ، وسيكون تنادياً من أنحاء العالم الإسلامي لوقف هذه الغارة الهمجية التي تريد إطفاء مشاعل التوحيد ونشر الجاهلية والوثنية في العالم ..

■ يوجد بين العاملين للاسلام من يتصور أن هناك مجالات للعمل الاسلامي أولى من المجال الاجتماعي خاصة في هذه المرحلة التي تتعرض فيها الأمة الإسلامية

■ أطفال المسلمين في انتظار الطعام هل تستطيع الهيئة إنقاذهم ؟! ■

الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية

لحملات فكرية ولحروب قاسية فما هو رأيكم حول هذه القضية ؟

ـ **يجب ان نعلم ان الاسلام ليس انقلاباً عسكرياً كما يتصور بعضهم** ، وليس تفوقاً مادياً فحسب ، إن الإسلام خير ، وللخير مؤسساته ، الإسلام علم ؛ وللعلم مدارسه ، **الاسلام بذل وعطاء ؛ ولهذا البذل والعطاء أهله** ، الذين يجودون به لله سبحانه وتعالى ، هدفهم كما قال رب العالمين : ﴿ **لَانُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَاشُكُوراً** ﴾ (الانسان :٩) هذا المعنى يجب أن يفقهه جمهور المسلمين الآن . **جمهور المسلمين الآن يجب أن يعرف أن الإسلام ليس خطباً رنانة** ، وقد ينتصر الإسلام في ميدان الجدل العقلي لأن الطاقة العقلية للاسلام رهيبة ، فهو جملة حقائق : ﴿ **وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ** .. ﴾ (الأسراء : ١٠٥) ، والحق في ميدان الجدال العلمي أو الاستدلال النظري لاينهزم ، لكن أحياناً يكون مفتاح الشخصية الانسانية لا في عقلها وحده ، بل في تلبية حاجاتها وإجابة رغباتها التي لابد منها ، وربما كان الجائع أحوج إلى أن تخاطب معدته قبل أن يخاطب فكره ، ولانريد أن يسبقنا الآخرون إلى الاستيلاء على الناس بوقود يقدم لمعدهم وفي ظل هذا يحترق الايمان وتتلاشى عقيدة التوحيد وتنتشر الوثنيات في الأرض ..

إننا نريد أن نخدم ديننا بالوسائل الطبيعية التي يخدم بها في هذا العصر وفي غيره من العصور ..

استمرارية العمل

■ **في رأيكم ، ما مدى الاستجابة التي يمكن أن تلقاها هذه الهيئة الواعدة ، وماهو تصوركم حول العوائق التي يمكن أن تنشأ في طريق تحقيق أهدافها ، والحلول التي تطرحونها لتذليلها على ضوء المنهج الذي تعتمده الهيئة لضمان استمرارية العمل ؟**

ـ الهيئة توصف أولاً بأنها شعبية ، أي أنها لاتتبع الحكومات ، فعملها من خلال الشارع الإسلامي لامن خلال الدواوين الحكومية .. هذه أول صفة لها .. من هنا **فإن الدافع الأول عند أصحابها ليس الاحتراف أو انتظار مرتب آخر الشهر ، بل الدافع الأول عندهم أنهم يرضون ربهم ويخدمون دينهم** .. وعندي أن تجمع الجماهير لهذا الدافع وراء أهداف الإسلام الكبيرة هو الاساس الحقيقي للنجاح ، وأمتنا ـ ولله المنة ـ أمة مؤمنة ، وما يلاحظ على تاريخها الأخير أن إيمانها يجد عقبات كثيرة ،

■ الشيخ محمد الغزالي :
صحيح أن وقف الأموال لم يقل به علماء الفقه الإسلامي .. لكن جدَّت الآن ظروف ونحن لا ينبغي أن نقف جامدين ■

والنشاط الإسلامي ربما حقق خطوات إلى الأمام في عصرنا هذا لكن كل خطوة مليئة بالدم ، ومعنى هذا أن المسلمين لاينقصهم الدافع ولايحتاجون إلى الحماس ، فعقيدتهم مذخورة في أفئدتهم ، يتحركون بها .. كل ما يبغونه أن تنزاح العوائق التي توضع أمامهم ، وبذلك يؤدون واجبهم على نحو عظيم ..

قد تكون العوائق التي توضع أمامهم من أعدائهم ، وقد تكون عوائق يصنعها المتدينون الجهال بطبيعة الأوضاع في عصرنا ، ومن المتدينين من يسرع إلى الاصطدام أو يبحث عنه ، دون سبب واع أو دون عذر مقبول ، وهؤلاء قد يضرون الإسلام أكثر مما ينفعونه : وإن كانوا أهل إخلاص ، وتجنباً لهذه المشكلات التي يفتعلها العباد الجهلة .. **نرى أنه من الخير إثارة همم الجماهير بأن هناك طريقاً معبداً ، لا شوكة فيه أو لا تحدي فيه لمن يسرهم وقف النشاط الإسلامي .. هو طريق الخير .. نحن نريد إطعام جائع ، نحن نريد كسوة عار ، نحن نريد علاج مريض ، نحن نريد تعليم جهال ، نحن نريد تبليغ الدعوة لمن لم تبلغهم الدعوة ، نحن لانريد مناصب معينة** ، ولانزاحم على قيادات تعطي أصحابها مالاً أو جاهة .. نحن نريد أن نحقق قوله تعالى : ﴿ .. **وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (الحج : ٧٧) ..

بهذا السير الجاد النافع يمكن أن نسد الأبواب أمام التنصير العالمي الذي استغل حاجات المحتاجين ومتاعب المتعبين ، وفرض نفسه عليهم بالرشوة التي يقدمها لهم ..

ولذلك فإن منهج الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية منهج يجب أن يتسع وأن يشجع وأن ينتظم العالم الإسلامي كله .. خصوصاً أن التحديات هنا مستبعدة ، لأننا لانزاحم على جاه أو على مال أو على عرض من أعراض الدنيا ، إننا نطلب ـ لوجه الله ـ الخير المجرد للناس وبالاساليب السليمة الهادئة .. ولكن عندما يصل التحدي إلى منع هذا الخير المسالم ، فإن الدفاع هنا ـ ولو كان ببذل الروح ـ يكون فريضة .

يبقى أن أقول شيئاً آخر ، وهو أنني لا أريد أن أجعل الامر بين مستوى أدنى ومستوى أعلى ، فعندما أكون في ميدان ربح ، فأنا لايعنيني الاستكثار من الربح أو الاستقلال منه ، الذي يعنيني أن أبقى في الميدان ، فوجودي مفيد على كل حال ، لأني لن أخسر أبداً ، بل الخسار في الانسحاب .. يجب أن أبقى في الميدان .. قد أحقق ربحاً قليلاً ، وهذا خير من لاشيء ، بل قد يكون الانسحاب من الميدان محققاً لإثم يرتكبه المرء الذي يدع الإسلام مستوحشاً في هذا الميدان .. وأنا أوصي الجماهير بأن تمضي في طريقها في هذا الميدان العام .. ولعل مايفسح المجال أمامهم جميعاً أن الإسلام ـ بقبوله للصدقة ـ يجمع بين صنفين من الناس .. المقل والمكثر ، ومن النفاق أن نلمز مكثراً أو أن نعيب مقلاً ، وقد وصف الله بالنفاق هؤلاء الذين إذا رأوا مكثراً يعطي يقولون مرائياً ، وإذا رأوا مقلاً يعطى يقولون : الله غني عن حاجته .

﴿ **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَايَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ**

■ ليس في وسع الإنسان الذي يمتلك الغيرة على الإسلام دون التخصص أن يضع البرامج الصحيحة التي تتناسب مع الإمكانات والظروف وسلم الأولويات التي تحتاجها مناطق العالم الإسلامي ■

■ إن تبلدنا الفكري كان سبباً في أن هيئات التنصير أسرعت إلى التقاط ألوف اليتامى وعملت على تنشئتهم على النصرانية ■

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .. (التوبة : ٧٩) قد يوجد من يتبرع بالمليون ، وقد يوجد من يتبرع بالدولار الواحد أو حتى بالريال الواحد ، والإسلام يقبل التبرعين من الشخصين ، أما أجرهما فعند الله ، فإن الله سبحانه وتعالى يكتب الأجر ، وهو عندما يكتب الأجر .. فقد يعطي انسان ريالاً وهو بذلك يتصدق بنصف ما يملك ، بينما من يعطي مليون دولار يتصدق بعشر ما يملك أو بواحد بالمائة مما يملك .. فيسبق الدرهم درهمين أو عدة دراهم .. الحساب الأخروي عند الله والمهم هو صلاح النية وأن نؤدي واجبنا ..

تغيير الواقع ..

■ **يعيش كثير من المسلمين في انحاء العالم اليوم واقعاً بئيساً من المحن والنكبات والمخاطر .. ماهو في رأيكم الدور المفروض أن تقوم به الهيئة لتغيير هذا الواقع ؟ وما هي الآفاق التي يمكن أن تحقق فيها نتائج إيجابية ؟**

ــ هناك أحداث مرت بالمسلمين في العصر الحاضر ، بحثنا فيها عن أولي الايمان والنجدة ، كي يحفظوا دينهم ويصونوا الأجيال التي نكبت لأمر ما في هذه الأيام ، فوجدنا غيرنا سبقنا ، ولأضرب أمثلة .. **هناك مئات الألوف من القتلى بعد الثورة الشيوعية التي أقامها سوكارنو .. ووجد في أندونيسيا ألوف مؤلفة من اليتامى ، هل فكر أهل الخير من المسلمين في مستقبل هؤلاء ؟!**

إن تبلدنا الفكري في هذه الناحية كان سبباً في أن هيئات التنصير أسرعت إلى التقاط هؤلاء الألوف من اليتامى وعملت على تنشئتهم على النصرانية ..

وما وقع هناك وقع في لبنان .. فإن ألوف القتلى في هذه المجزرة التي ظلت عدة سنين ـ يتساقطون ، ويتركون أسرهم وأولادهم .. أين الأجهزة الحساسة المراقبة في ميداننا الإسلامي ، تذهب على عجل ، منطلقة ببواعث الايمان لإغاثة اللهفان ، لكي ترعى اليتامى ـ بنين وبنات ـ والاسر ـ والنساء اللاتي يتعرض للانحدار أو يصيبهن شر .. وهناك جفاف مر بمناطق إسلامية .. وحلت بها نكبات هائلة ، إن كان في الكاميرون في غربي افريقيا ـ أو كان في أرض الإسلام في تنزانيا ، وفي الحبشة ... **لقد كان الحكام الاحباش يسرقون الاغاثات التي تجيء للجماهير الجائعة الضائعة ، ويوجهونها للجيش الحبشي ، ويتركون المسلمين يموتون ضياعاً .. فأين العمل الإسلامي هنا ؟؟**

اعتقادي ، لو أن الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية تكون طويلة الذراع في هذه الأماكن ، فإنها ستسد على التنصير منافذه التي ينطلق منها في العالم الإسلامي .. وأظن أن معظمنا سمع عن حكايات التنصير في هذا المجال ، وليست آخرها قصة الرجل الذي تبنى ٣٠ ألف طفل في الصومال ـ وبداهة سيشبون على الكثلكة ..

وأنا أعتقد أن السكوت على هذا خيانة عظمى أو ارتداد والمفروض في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية أن تسرع إلى ملء هذا الفراغ ..

وقف الأموال

■ ماهو تصوركم حول أوجه استثمار وتوظيف أموال الهيئة ، بالنظر إلى تعدد الأوعية الاستثمارية والمتغيرات التي طرأت على بعض النظم الاقتصادية ، بحيث تُراعى الضوابط الشرعية ؟

ــ من رأيي أنه من الخير توظيف الأموال في البنوك الإسلامية واعتبارها « وقفاً » ..

صحيح أن وقف الأموال لم يقل به كثير من علماء الفقه الإسلامي ولكن جدت الآن ظروف ، خصوصاً في اقطار يسودها حكم يرفض الوقف ، ويحل أنظمته ويصادر أعيانه .. نحن في هذه الحال لانقف جامدين ، بل ينبغي أن نرى المعاملات التي تسود عصرنا وتنتظمه الآن ، وهي المعاملات التي تشرف عليها البنوك ، فنجعل من ضمن أنشطتنا هذا الوقف المالي الذي يدر من الخير ماتصلح به أحوال الأمة الإسلامية .. فالاحكام تتجدد مع تجدد الظروف واختلاف الأحوال .

ولاحرج شرعاً في هذا .. والمرونة الفقهية لابد منها ولا يقف أمر ليمنع قافلة الخير وهي تسير ..

توجد مجالس استشارية دينية في البنوك ، وهي تراقب أنواع المعاملات وتصفي بطريقة شرعية مايمكن أن يقبله الشارع أو يرفضه الشارع ..

إنما ابتداء أرى أنه إذا أوقف بعض الناس مليون دولار أقبل الوقف منه لأنه إذا كنت في بلد ما يرفض الوقف ، للأرض الزراعية أو الأملاك ، فهل أقول لا أوقف شيئاً لأن الوقف ممنوع ؟ أوقف مالي ، ولا حرج في هذا ..

■ **ويضيف فضيلة الشيخ محمد الغزالي في ختام الحوار** :

ــ هناك معنى أردده دائماً ، وأود أن أضيفه : إن الجهاد اتسعت ميادينه ، كان الجهاد قديماً عسكرياً وأصبح الآن جهاداً اقتصادياً ، ثم اصبح جهاداً اجتماعياً ، ثم أصبح جهاداً علمياً وثقافياً .. فأرى أن من **يقتل وهو يبحث في علوم كيميائية أو فيزيائية لمصلحة المسلمين فهو شهيد ، وأرى أنه من يقتله الإعياء وهو يجاهد في سبيل إنشاء جماعات تلاحق الضعاف والمعرضين لسرقة العقائد فهو شهيد ..**

ليس الشهيد شهيد المعركة وحده .. الآن تنتصر الأديان أو تنهزم في معارك الحروب الباردة اكثر مما تنتصر أو تنهزم في معارك الحروب الساخنة .. **قد تكون الحروب الساخنة لابد منها ، لكن أخيراً ، اما قبل ذلك فإن معارك الحروب الباردة هي التي تمهد ـ وقد تقرر ـ المصير أمام الحروب الساخنة ..**

الإسلام
في ظل المستعمرات الفرنسيّة
في غربي أفريقيا

■■ الدراسات عن الإسلام التي اهتدينا إليها في غربي أفريقيا لا تشفي الغليل ،
لأنها دراسات عابرة لم تتناول بدقة وتعمق حقيقة حال المسلمين هناك ،
كما أنها لا تعبر عن جوهر الحركة الدينية الإسلامية وعلاقتها بسياسة فرنسا المتسلطة على تلك البلاد ، ولم تعن بتفاصيل النهضة والانتفاضات الجهادية التي تسجل من هنا وهناك ، والتي هي في نظر فرنسا ، امتداد حقيقي للحركة الإسلامية في المغرب العربي وحركة مقاومة الغزو الفكري الأوروبي في المشرق العربي .
وإهمال هذا الجانب في سياسة المحتل ،
وعدم التركيز على طبيعة دور الإسلام في خضم هذه السياسة ، في أواخر وأوائل القرنين التاسع عشر والعشرين ،
يعود ، بدون شك ، إلى سياسة الاستعمار السائدة والمسيطرة على الظروف الدولية في هذه الفترة ، واشتغال الناس أكثر فأكثر بمحاربتها بعدما أدركوا أنها تمثل قوة غريبة تستعبدهم وتستغل ثرواتهم ،
زيادة على أن جل الكتاب في الموضوع بالذات وفي هذه الفترة التاريخية لا يعنيهم ، سياسياً ودينياً ، الأحداث التي تقرأ في كثير من الحالات على مسامعهم فينقلونها حرفاً بحرف أو مستعينين بوثائق تركتها إدارة فرنسا للأجيال ■■

وقد أثبت التاريخ قديمه وحديثه بأن الوثائق هذه قد شوهت وجه الدين في هذا القطر ، وحاولت أن تلوث الإسلام وتسيء سمعة علمائه ، فحصلت في النهاية ، تراجعات وانتكاسات سببت في الأفارقة نوعاً من التدهور كان له أثره في تشتيت قواهم وعزائمهم ، وأفرزت تناقضات هيأت أجواء صالحة لمدارس الفكر الأوروبية كي تكتب عن دين لا تؤمن به ، وعن حركة دعاة تناهضها على طول الخط .

وفي كل ذلك تأخذ بالنظريات الطائفية أو القبلية أساساً لاستنتاجاتها . غير أن الظروف التي حفَّت بمنطقة غربي أفريقيا في أواخر وأوائل القرنين المذكورين سلفاً ، والقيود والضغوط التي فرضتها السلطة على دين الأغلبية ، أبرزت سبلاً جديدة وأساليب وطرقاً متنوعة للتحدي

بقلم : الشيخ التيجاني أنـدوي

الافـريقي إسـلامياً ضـد سيـاسـة المستعمر .

والرسالة التي وجهها الحاكم العام إلى الأقاليم ، تدل دلالة واضحة على حجم تخوفات وقلق السلطة السياسية من نشاط الدعاة وتنقلات الشيوخ عبر البلاد للتوعية الإسلامية ، ومدى عمق انتشار الثقافة العربية واستعمال الناس لها في شتى بلدان ومدن المنطقة . وأكثر من قرينة تثبت أن الاستعمار كان قد هاجم الإسلام ديناً والعربية لغة في هذه الديار ، والمنشور الذي صدر من الحاكم العام في مقره الرسمي بجزيرة (غـوره) وهي جزيرة على بعد بضعة أميال جنوبي **داكار** عاصمة **السنغال** يبين الخطة التي يلزم أن تتبع تنفيذاً للسياسة الإسلامية الفرنسية في كل من السنغال ، والسنغال العالي ، ونيجيريا ، وغينيا ، وسـاحل العاج ، وداهومي ...

الإسلام والعلماء في نظر المستعمر ومكانة العربية في الدوائر الرسمية وحظر صحف وإنتاجات ثقافية تصـدر من المشرق والمغرب العربيين من أهم النقاط التي يدور حولها هذا البحث .

وبالنسبة للنقطة الأولى كتب المشرف العام على سياسة المستعمرات يطلب توضيحات عن الاضطرابات المتكررة التي تحدث من حين لآخر في أماكن متفرقة لا يسيطر عليها تماماً ، ويخبر الدوائر المعنية بأن الأمر يشغل باله ويأخذ منه التفكير فيه والاهتمام به أوقاتاً ؛ وألح على ضرورة القضاء عليها في مهدها ، إذ الغاية منها هي القضاء على الوجود الفرنسي والحضارة الأوروبية . والرسالة صريحة في قولها :

« وهذه الفوضى التي تندلع في الأحياء العامرة بالمسلمين تظهر غالباً بعد مرور دعاة أو علماء يدّعون أنهم حملة رسالة الإسلام ، ويقطعون بها الفيافي التي تفصل بين القرى مع وعرة المسالك ، ويدعون إلى الثورة ، التي تفني الكفار والزنادقة ، وتكون حتماً نهاية السيطرة والاستعمار والغزو الأوروبي ، ليحل مكانها جند مسلمون يأتون من شمالي أفريقيا ؛ وواجب كل حاكم مقيم إذن ، أن يشرح للسكان تحت إشرافه الإداري مـع احترام معتقداتهم بأن مهمته حمايتهم ضد الصعاليك الذين يفتكون بهم باسم الثقافة العربية والدين الإسلامي كما يغزّونهم في أغراض الدين » .

وهكذا ، أصدر الحاكم العام أمراً يقضي .

● **أولاً** : بالقبض على أي داعية أو عالم أجنبي في إقليم يقوم فيه بدون سابق إذن بالوعظ والحديث الديني .

● **ثانياً** : وجوب حبسه بعد القبض عليه حتى نتبين أنه ليس من الزعماء الدينيين الذين يثيرون الفتن ويعكرون الصفو والأمن العام .

● **ثالثاً** : رفع تقرير الى الحاكم بعد كل ذلك للنظر ما إذا كان ممكناً أن يفرج عنه ليستمر في رحلته أو يوقف نهائياً ، ومهما يكن من أمر ، فإن العالم ثائراً أو هادئاً في حله وترحاله ملزم أن يصحب أوراقه المدنية ، كبطاقـة الشخصية ، وبطاقة التعريف ، وشهادة الميـلاد ، وكثيراً ما تكون معرفة الطريقة والمذهب والعائلة التي ينتمي إليها مهمة عند الكشف والتفتيش .

وقد تلا الرسالة التي ذكرناها منشور هام تضمن أوصافاً عامة عن الإسلام في أفريقيا ـ حرر سنة ١٩١١م .

■ اعتمدت فرنسا سياسة الـدمج الثقـافي وغـزو المسلم الإفـريقي حتى يصبح إدراكه لـلأشياء فرنسياً ويقيس الأمـور أوروبياً .

ويعتبر هذا المنشور بمثابة رد لها ، ولكن وردت فيه أكثر العبارات طعناً وعداء على الدين وعلى عقل الإنسان الافـريقي ولهجات قبـائلهـا ، وليس لأفريقيا كما يدعي المستعمـر إسلام خاص بها ، ومن تحصيل الحاصل ..

القول بأن الإسلام في المشرق والمغرب وأوروبا وأمريكا هو نفسـه في القارة الأفـريقية ، وهـو فيها ليس مـرادفاً للعادات والتقاليـد والوثنيـة والسحر والخرافات . ومن المؤسف أن ينظر عديد من المسلمين إلى الدين من منظار الغرب الأوروبي الذي لم يتصرف قادته على حقيقة أفريقيا أو ينفذوا إلى أسرارها طيلة قرون .

محاربة العلماء بالشائعات . . .

ولكن السلطة التي صرحت أنهـا لا تؤيد أو تحارب الإسلام رأت من واجبها منع من وصفتهم بالخونة من الأئمة من استخدام الـدين لإشباع الأطماع الشخصية على حساب القبائل التي تتمسك به ولا تعرف عنه الكثير ، وتعتقد رجالـه رسلاً يملكـون أسرار ما وراء الطبيعة ، ويعومون في الأجواء متحكمين بالأرواح الخيرة والشريرة .

وتبع هذا الوصف الكاريكاتوري لأهل الدين اكتشاف طريقة تحول دون ازدهار الإسلام ، وتتمثل في فرض كل أنواع الرقابة التي هي إحدى ركائز سياسـة فـرنسا في البـلاد الإسـلاميـة ، وفي استغلال الاختلاف والتمايز الذي يوجد بين القبائل المسلمة من ناحية اللهجات فرصة لإحداث فجوة في صفها ، وخلق حالات تلهيها عن التفكير في ضرورة التضامن والتآزر للدفاع عن عقيدة واحدة ودين واحد ؛ ولكن الخطأ كله في الاعتقـاد بأن الاختـلاف في الألسن والعادات بين الشعوب كان في يوم من الأيام سبباً في اختلاف جوهري لأهل دين

الإسلام
في ظل المستعمرات الفرنسيّة
في غربي أفريقيا

واحد . والقول الذي أذاعه المستعمر الذي هو بقدر ما تتعدد الخلافات بين القبائل الأفريقية بقدر ما تختلف نظرتها إلى دينها لا يستند إلى منطق سليم ، لأن ذلك إثبات بأن القرآن الكريم والصلاة وصوم رمضان وحج البيت .. ليست هي هي في سائر أقطار العالم الإسلامي .

وأكثر من ذلك أعطت السلطة لكل قبيلة طريقة هي دينها ، فقبيلة (**البولار**) تتمسك بالطريقة التجانية ، وهذه الطريقة كان عليها الشيخ **عمر الفوتي** أول من حاول أن يسد الطريق في وجه المحتل ؛ وسكان **فوتاجالون** من الفولانيين كانوا أيضاً في هذه الطريقة التي تراها فرنسا ديناً . وقبائل **وولوف** تلتف حول النظرية الصوفية للشيخ **أحمد بامبا** مؤسس الطريقة الموربدية .

وقد طاردت الإدارة الفرنسية الأئمة حين استاؤوا واستنكروا تدخلها في شؤون دينهم ، واعتبرتهم عملاء يروجون الأخبار الخاطئة ويوهمون الناس أن على عاتقهم مسؤولية تبليغ رسالة الإسلام التي جاءت من المشرق ..

والتقرير العام عن سياسة فرنسا في أفريقيا الإسلامية صنف الجماعات الإسلامية بين من تعادي الاحتلال الأوروبي وتثور ضده في كل مكان وبأي وسيلة ، وتجاهد من أجل أن تعيش حياتها الإسلامية في حرية ، وإلى من تتعاطف معه في تحقيق أغراضه التوسعية ؛ ويبدو أن بعض الأئمة الذين كانت لهم مناطق النفوذ والتأثير السياسي والديني ترك القيادة السياسية للنفوذ الفرنسي ، ومن هؤلاء **الشيخ سيدي الموريتاني** ، **والشيخ سعدا ببه** ، وإذا كان لهذه الأسر الدينية الفضل في نشر الإسلام في ربوع **موريتانيا** ، فإنها كانت أيضاً عمدة ومناصرة توسع فرنسا في الصحراء شمالي **تشاد** .

ولا غرابة بعد ذلك أن تلاحظ الإدارة الفرنسية بأن « **الوقت ليس للتطاحن وإشعال نار الفتنة بيننا وبين زعماء الإسلام .. بالعكس يتطلب الوقت إعداد إجراءات تفرض علينا احترام الشخصيات الدينية وتفادي مصالحها واحترام عقيدة الشعوب ، وبذلك نستطيع أن نحوِّل السلطة الدينية إلى سلطة أخلاقية مطيعة تخدم أفكارنا ومثلنا** » .

الدمج الثقافي . . .

والجدير بالذكر ، أن هذه السلطة الأخلاقية بدأت تتبلور وتتنسق مع التعليم العمومي الذي دخل في مرحلته الأولى في مجموعات إسلامية .. والاستعمار منع عقب ذلك أي عمل جماعي تقوم به الطوائف الدينية ضد المؤسسات الأوروبية ... ولم يكتف الحاكم بهذا العمل المنهجي الحافل بالنتائج بل أرسى سياسة جديدة أبقى أثراً في الإنسان والمحيط ، وهي **سياسة الدمج الثقافي وغزو المسلم الإفريقي حتى يصبح يدرك الأشياء فرنسياً ، ويتحسس ويقيس الأمور أوروبياً** ، وهذا غاية المرام ، لأن المستعمر يعتبر نفسه حاملاً رسالة الحضارة الغربية في هذه الديار ، وعليه يجب أن يلين ويتلطف حتى يقيم علاقات وثيقة مع الأهالي ، ويدخل فيهم بوسائل تمتعهم بالعقلية الفرنسية ، والمدرسة وحدها هي الطريقة المثلى الكفيلة بتلقين ونقل الحضارة إليهم وترسيخ الأفكار والمبادىء .

ومن هذا المنطلق ، نشأت فكرة إقامة مدارس وتنظيم تعليم الأهالي حيث سجل سنة ١٩٠٩م في المدارس الجديدة عشرة آلاف طفل ، وهذه المدارس التي عرفت زيادة ونمواً وتنظيماً عبر السنين من حسن إلى أحسن هي النواة الأولى للمدارس التي نعرفها اليوم ، ويتخرج منها كبار رجال الدولة في أفريقيا قبل وبعد الاستقلال ، غير أن المحتل معجب بإنجازه ولغته وثقافته حين جعل المتعلم أو المثقف الأفريقي بالثقافة الأوروبية سعيداً ومميزاً بين أترابه ، ويحتل مكانة رفيعة في الأسرة والمجتمع ... وبدون حياء كتب التقرير المذكور سلفاً :

« يجب السود أن يتثقفوا أو يفهموا أموراً كثيرة ، وهم يريدون أن يتذوقوا الثقافة الفرنسية ، وتبدو لغتنا عندهم ميزة من ميزات العزة والتقرب بنا ، وعلامة من علامات التفوق ، إذ لا يتعلم الافريقي في مدارسنا إلا أموراً مفيدة ومعلومات تخدمه في حياته اليومية .

فالتاجر مثلاً ، يحتاج لزيادة أرباحه وتنمية موارده ، إلى مزيد من معلومات .. فيتعلم القراءة والكتابة والحساب والتاريخ ، والإقبال الكبير لمدارسنا يفقر الإسلام ويسلخ منه الطابع العدائي العنيف الذي يتصف به إسلام عديد من السكان » ..

وإلى جانب المدارس العمومية ، اقترح الحاكم العام إنشاء مدارس في الأقاليم ذات الجماعات الإسلامية الكثيفة لإيجاد علاقات التفاهم ، وضمان سرعة سيولة الأفكار الجديدة في الأوساط الشعبية التي تئن تحت وطأة وبطش حكام يعملون كل شيء لإعاقة حرية الممارسة الدينية وتؤيدهم في ذلك فئة من علماء الدين الذين لا يعرفون من الدين أكثر من قشوره وظواهره ، ولكنها لا تريد أن تجاهد الاستعمار وتواجه بطش المستبد بالحديد والنار ، علماً منها أن الدين الإسلامي دعوة إلى التحرر من ربقة العبودية ، وقد بلغت هذه العبودية ذروتها حينما تخدم المستعمر الدخيل الذي يذل الإنسان وينهب الخيرات والقيم . وكان معلمون أكفاء من الجزائر ومن أفريقيا يدرسون في هذه المدارس التي ليست أكثر من مدارس شعبية - علوم القرآن والحديث ، وكتب العبادات - وكان الطابع الليبرالي طاغياً على برامجها التي تتضمن الفرنسية أيضاً ، ولكن سرعان ما انتقدت الإدارة الفرنسية النتائج التي توصلت إليها هذه المؤسسات من الناحية البيداغوجية ولم تنجح في جعل شعوب المستعمرات ، تفهم الإسلام في إطار الفكر الغربي ، ويقف موقف المتقبل لاتجاهات هذه المدارس الأساسية ، وأدى كل ذلك إلى إدخال تعديلات في قانونها الداخلي وفي مواد ومنهج التعليم .

ومهما قيل ، فإن التوسع المتزايد للثقافة الفرنسية في أفريقيا تحت وطأة الهيمنة الفرنسية كان على حساب الثقافة العربية الشديدة الانتشار والازدهار في المدارس القرآنية الكثيرة وفي المساجد ؛ وكان الحاكم يشن حملات شعواء عنيفة ليس فقط ضد اللغة العربية .. ولكنه أيضاً ضد اللهجات الافريقية ، ووصف السكان بالسفاهة والخمول وفقدان الذاكرة ؛ وأخطأ في مقارنته بين اللغات الغربية وفي طليعتها الفرنسية واللغات الشرقية وعلى رأسها العربية . حين قال : « ... **ليقرأ الافريقي نصاً من القرآن الكريم قراءة صحيحة يلزمه على الأقل عشرون سنة من العمل المستمر ، وثلاثون سنة من الجهد والدراسة لفهم النصوص وتحليلها تحليلاً سليماً ، ثم إن التعليم الذي يقوم به زعماء الدين والدعاة ليس له أي فائدة عملية في حياة الطالب لأنه يتوجه رأساً إلى العقول ، بخلاف الفرنسية التي تعطي الافريقي إمكانات واسعة للمحادثة والنقد والنطق بها إذ يكفي ستة أشهر ليكون الفرد قادراً على التعبير وتفهم مقاصده** » .

■ **ما تزال المدارس التي أقامتها فرنسا تخرج كبار رجال الدولة في أفريقيا قبل الاستقلال وبعده .**

■ **إن إحلال الفرنسية مكان العربية في الوقت الراهن ضرورة أكيدة لأن المؤسسات القضائية الإسلامية يلزم أن تستفيد بالمكاسب والتجارب حتى يتسنى لها مواجهة المهام الجديدة .**

[الحاكم الفرنسي]

ولهذا منع الاستعمار الأهالي أن يتعلموا لغة أجنبية « **اللغة العربية** » ليست لها فائدة حياتية ، لا سيما وأنه يجهلها تماماً ولا يعرف مضامينها ، وتشكل خطراً كبيراً ، وعائقاً دون تحقيق سياسة الغزو الثقافي الذي يعتبر من المحركات الأساسية للاحتلال والاستعمار ، بينما وضع الشعب ستاراً بينه وبين الرسالة التي رأى المحتل أن أداءها واجب مقدس ، وهي بث أفكار ونظريات تضيق خناق الإسلام وتجعله منعزلاً عن التيارات الأساسية الإسلامية . وهكذا كان المستعمر جاداً في محاربته العربية بمحاربته الإسلام ، وكان يعلم علم اليقين أنهما متلازمان تلازماً يكاد يكون عضوياً ، ولهما وجود عملي في المحاكم الإسلامية والإدارة العامة ، ويكفي لإثبات أن الإدارة الفرنسية في المستعمرات الافريقية كانت شديدة المعاملة مع المسلمين ، وعنيفة اللهجة مع الرعية بصورة لا يمكن أن يوجد لها سبب ظاهر في مستوى المستعمرات إذ في نظر المستعمر .. يحمل الشيوخ أفكاراً ثورية وإصلاحية ليست افريقية بقدر ما هي شرقية إسلامية ، جاءت إليهم عن طريق الصحراء من المغرب الأقصى والمشرق ، وكلمة الرابطة الإسلامية التي وصلت إلى القارة عن طريق المستعمر تدل على أنه كان يحلل ويفسر رفض الأهالي الأخذ بثقافته ولغته ودينه وخدماته بما كان يقوم به أشقاؤهم في العالم الإسلامي الذي بسطت فرنسا إليه نفوذها ، وربط نشاط الجماعات الإسلامية الرافضة كل الخيرات التي يقدمها إليها بالنشاطات التي كانت تقوم بها جمعيات تأسست في العالم العربي مشرقه ومغربه ، مثل جمعية تونس التي أسسها الثعالبي سنة ١٩٠٧م ، والجمعية القحطانية ١٩٠٩م ، والمنتدى الأدبي ١٩٠٩م ، والجمعية العربية الفتاة التي قامت في المشرق سنة ١٩١١م .

ومن جهة أخرى فالرسالة التي وجهها الحاكم العام **وليام بوتي** في ١٨ سبتمبر (أيلول) ١٩١١م إلى الحاكم في السنغال والسنغالي العالي ، ونيجر ، وإلى الوكيل العام ورئيس مصلحة القضاء في المستعمرات في شأن توقيف استعمال اللغة العربية في تحرير الأحكام القضائية في المحاكم الشرعية تصور ما كان في

الإسلام
في ظل المستعمرات الفرنسيّة
في غربي أفريقيا

نفوس الدخلاء من أنفة ونفور وبغض ، ولم يتصور الاستعمار يوماً ما أن تعيش هذه اللغة التي وجدها عند الأفارقة إلى جانب لغة هاجرت معهم من الغرب الأوروبي جديدة تبحث عن زبائن فيما سمي فيما بعد بالعالم الثالث أو بلاد ما وراء البحار ؛ وفي بيان بتاريخ الرابع من شهر مايو (أيار) للسنة نفسها ، كتب **وليام بونتي** بخصوص اللغة العربية في المحاكم :

« يجب حظر استعمال اللغة العربية ليس فقط في تحرير الأحكام القضائية ، ولكن يلزم أيضاً الوقوف عن العمل بها في سائر النشاطات الإدارية التي تنفع الأهالي » ، ودوَّن البيان عيوب العربية ونقائصها وعجزها عن مواكبة التقدم الذي يحرزه القضاء يومياً . وكان القضاء الإسلامي في المدن الكبيرة : **في سان لويس ، وروفيسك ،**

وغاي مستقلاً استقلالاً ذاتياً ولغته الرسمية هي العربية ، وكان المنع يستهدف أساساً محاكم المدن الثلاث السابقة الذكر . ولكن **بونتي** الذي يخشى من مغبة الإدارة الفرنسية في المحاكم الشرعية ، إذ العربية حافظت باستقلالها ، قال مرة أخرى في البيان نفسه بأن **العربية الإسلامية ، على الرغم من اختصاصيتها ، يجب ان تبقى داخل المجموعة وخاضعة للتطور العام الذي تخضع له المستعمرات بجميع مؤسساتها ، وينبغي ان تكون في مستوى القضاء الفرنسي نفسه في افريقيا ، وعلى درجة من التنسيق يلبي الحاجات الجديدة ؛**

والبيان واضح في قوله :

إن إحلال الفرنسية مكان العربية في الوقت الراهن ضرورة اكيدة لأن المؤسسات القضائية الإسلامية يلزم أن تستفيد بالمكاسب والتجارب حتى يتسنى لها مواجهة المهام الجديدة .

والحاكم العام **وليام بونتي** نفسه يفرض رقابة دقيقة وشديدة على الصحافة الإسلامية في رسالته رقم ١٠٥ في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١١م إلى الحكام في المستعمرات الفرنسية الافريقية وإلى المفوض السامي للحاكم العام في موريتانيا ؛ وفي ذلك سجل بونتي :

بانه لاحظ ان السوريين والمغاربة بدؤوا منذ مدة غير يسيرة يدخلون كميات ضخمة من مطبوعات بصورة لا شرعية في المستعمرات . وهذه المطبوعات هي كتب وصحف ومجلات من جميع التيارات حُررت بالعربية وتنتقد بصورة معلنة المبادىء والأعمال التي تم تحقيقها في المنطقة ، وتظهر فيها صور ورسوم تشخص الحياة الدينية والإسلامية فيها . وهذه المطبوعات تقدم إلى الزعماء والتلاميذ والمعلمين في المدارس القرآنية يقرؤونها أو لا يعرفون قراءتها بينما يبيعون الصور والرسوم للسوريين والمغاربة .

وأمام هذه الحالة التي لا تبشر بالخير بالنسبة للاستعمار ، أصدر هذا الأخير أمر مطاردة وملاحقة هؤلاء في كل مكان واستغلال كل الفرص للحد من نفوذ الشيوخ الذين لا يتقبلون سياسة فرنسا الإسلامية ولا سيما النخبة المستنيرة

التي تتغذى فكرياً وثقافياً بتلك المطبوعات . وهذه الدوريات من الصحف والمجلات والكتيبات الدينية المتنوعة هي في الغالب أخلاقية بعيدة عن العنف والثورة والتحدي ، إذ توجد غالباً عند التفتيش أنها تمجد دين **محمد** ﷺ وتدعو إلى نموه وازدهاره بين الناس ، ولكن سرعان ما يرى المحتل بأنها مليئة بدعايات سياسية مخربة تقوم بها باسم الدين لتتمكن من تزوير الخدمات الحضارية التي تتم في أفريقيا ، ومن ثم أصدر الحاكم تعليماته إلى رؤساء مصالح البريد والجمارك في المستعمرات يطلب منهم أن يشددوا الرقابة على كل المطبوعات المكتوبة بالعربية سواء أكانت قد أرسلت بالبريد أو بغيره ، ثم تتلف أو تحرق كل مطبوعة ، جريدة أو مجلة أو كتاب يعادي النظام القائم أو تؤيد حركة الشيوخ ، أو تروي عن حركات الإصلاح او المقاومة في المشرق والمغرب العربيين ، والموظف المشرف على منع دخول المطبوعات يكفي له لتعليل عمله بأن القانون الجاري به العمل يحرم تماماً تداول الصحف الدورية والصور والرسوم ، وفي أي قطر في أفريقيا الفرنسية ما عدا القرآن الكريم ، وكتب الشروح والتفاسير ، وكذلك كتب العبادات ، على الأقل يدرك **وليام بونتي** أن ليس من الحكمة وحسن السياسة أن تمنع سلطة المستعمرات تداول هذه الكتب بعد ما أكدت أنها تحترم عادات الناس ومعتقداتهم الدينية :

« نحن ملزمون رسمياً ، باحترام آراء وافكار الرعية إذا كانت على طبيعتها الدينية » .

تصريحات وأقوال

● الشيخ سعد الدين العلمي ●

■■ [حرق اليهود المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩م من ثلاث جهات ، من الثغر الغربي والثغر الشرقي ومن منبر صلاح الدين في الوسط .. وبكل أسف لم يعمر المسجد حتى الآن لعدم وجود مال لتعميره .. (!!)] ■■

(الشيخ سعد الدين العلمي ـ رئيس الهيئة الإسلامية العليا بالقدس)

■■ [أعتقد أن من الأفضل احتلال لبنان ، فليس جنوبيه ـ فقط ـ حقاً دينياً لنا ، إنما لبنان برمّته] ■

(إسحاق رابين ـ رئيس الحكومة الإسرائيلية الأسبق)

● أبو الحسن الندوي ●

■ [إن الأولوية للرئيس الأمريكي المقبل ـ سواء أكان ريجان أو مونديل ـ ستكون الحوار مع السوفييت .. وإن « قضية الشرق الأوسط » ستكون على الرف حتى نهاية سنة ١٩٨٥م (!!)] ■

(جوزيف سيسكو ـ وزير الخارجية الأمريكي السابق)

■■ [أهم إنجاز قدّمْتُهُ لإسرائيل وأنا فخور به هو السياسة الاستيطانية في « الأراضي المحتلة » .. هذه المستوطنات أقوى من كل قصاصات الورق وما أنجز منها يجب أن يتدعم أكثر ... إن إسرائيل ستحتفظ إلى الأبد بشؤون يهودا والسامرة الداخلية والخارجية ..] ■■

(«شارون» من حديث لصحيفة لوبوان الفرنسية)

● شـــارون ●

■■ [إن ارتفاع نسبة قُرَّاء الكلمة المطبوعة هو الأساس الحضاري لتصنيف البلدان في العالم إلى دول متخلفة أو نامية أو متقدمة] ■■

(أرنولـــد توينبي)

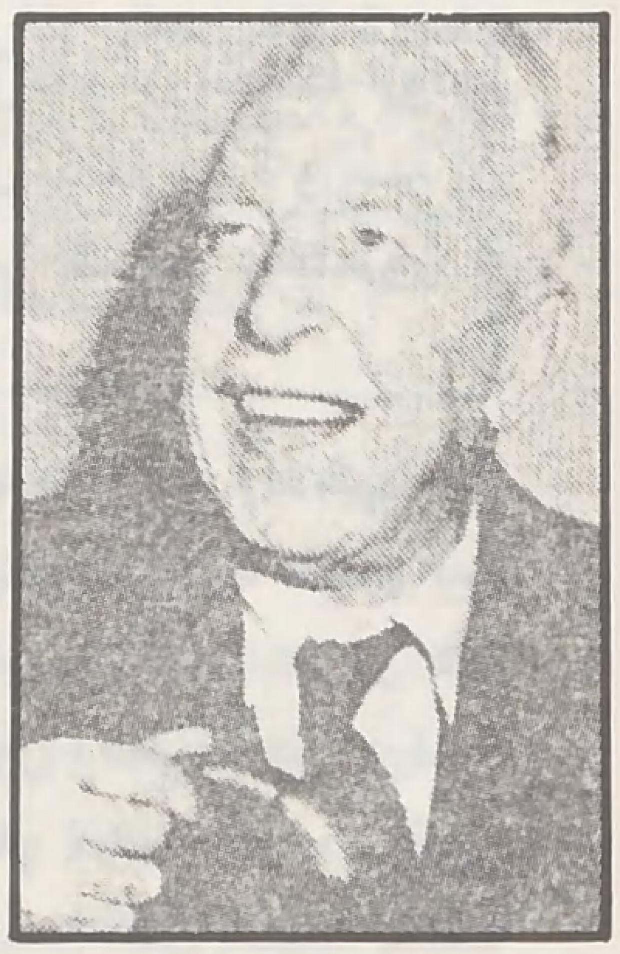

● أرنولد توينبي ●

■■ [إن المسؤولية عن تلك الهزيمة ـ هزيمة عام ١٩٦٧م ـ تقع إلى درجة كبيرة على عاتق أولئك المشككين من مفكرينا الذين زعزعوا الأسس الأخلاقية والفكرية للشباب ، وألقوا بالقيم الإسلامية في رحاب الفوضى] ■■

(أبو الحســن النــدوي)

التحديات التي تواجه الأسرة المسلمة

■■ ليس في إمكاننا في بحث موجز كهذا أن نأتي على التحديات التي تواجه الأسرة المسلمة .

وحسبنا في هذه المحاولة أن نشير إلى أهم التحديات بدون أن نزعم لأنفسنا الإحاطة بها ، أو تقديم الحلول لها ، ولكنها محاولة تندرج ضمن عديد المحاولات السابقة واللاحقة .

والواقع أن التحديات التي تواجه الأسرة المسلمة هي تحديات تواجه الفرد المسلم ، والمجتمع المسلم والأمة الإسلامية . تحديات ناتجة في رأينا عن تخلي المسلمين عن القيام بدورهم القيادي .. حمل الرسالة الخالدة وأتباع النبي الخاتم ، ولا نغالي إذا قلنا إن هذا التخلي موغل في القدم سبق دخول الاستعمار إلى البلاد الإسلامية بقرون .. إنه بدأ يوم أن فقد الإسلام لدى المسلمين مفهومه الشامل وإحاطته الكاملة بكل شؤون الحياة ، ونتج عن هذا ما هو معلوم من قرون الجمود والتحجر والانغلاق ■■

كلمة

تحديات في وجه الأسرة المسلمة

□□ لعل من الخطأ الفادح الظن بأن ركن الأسرة المسلمة ، مختص بالمرأة فقط دون الرجل ، وأن الكتابة إليه يجب أن تكون محكومة بقضايا الزواج والطلاق والتعدد والحجاب وغلاء المهور وما إلى ذلك ... حتى أصبحت إثارة ذلك أشبه بالمسلّمات التي ما نزال نبدىء فيها ونعيد ، وكأننا نعتقد أننا لم ننتصر بعد في هذه الميادين ، وكأن عقدة الهزيمة تلازمنا !! وإلا فما معنى أن تستمر هذه المشكلات في الاستحواذ على نشاطاتنا الذهنية في إطار المرأة وقد كثرت الكتابات في هذه القضايا وأنضجت حتى كادت تحترق ، ونشأت في المجتمع مشكلات وقضايا تبعاً لتطور شبكة العلاقات الاجتماعية لا بد من معالجتها من خلال منظور إسلامي ، ليكون الرجل والمرأة على حد سواء على معرفة بالعصر ومشكلاته ، وبصيرة نافذة بأصول وأساليب التربية الصحيحة التي تحضر الأطفال للمجتمع الذي سوف يعيشون فيه ، وتقيم من مجتمع الأسرة نواة حقيقية للمجتمع الإسلامي المنشود .

من هنا كانت الحاجة ماسة إلى طرح قضايا حيوية ، ومعالجة مشكلات سلوكية وتحديات تواجه الأسرة المسلمة على مستوى الرجال والنساء والأطفال ... إن قوامة الرجل التي هي مسؤولية إشراف وليست درجة تشريف ، قد تكون خطيرة في إطار الأسرة المسلمة ، ودور المرأة والأبعاد التي يجب أن ترتادها ليست من السهولة بالصورة التي يراها بعضنا ... فليست المرأة عاملة تنظيفات وطاهية طعام ، وانتهى دورها في مجتمع المسلمين ، إنه ارتكاس بالمرأة عن المنزلة التي شرعها لها الإسلام والوظيفة التي مارستها في أفضل العصور .

إن هذه الأمور لا تخرج عن كونها وسائل لا بد من تحقيقها لتأمين غايات كبار في البناء التربوي الأسري ، والواقع الذي نعاني منه في بعض بيوتنا المسلمة لا يشكل الصورة القدوة ، وليس دليلاً على ما يتطلبه الإسلام .. □□

والأسرة خلية حرص الإسلام على رعايتها ونموها ، دعّم أسسها وأركانها وأرادها قوية متينة ؛ لأن في قوتها وسلامتها قوة للمجتمع وسلامة له ، لأجل ذلك حرصت تشريعات الإسلام وأحكامه على تركيز لبناتها ؛ وسمت بالعلاقة التي تربط بين أفرادها فجعلتها فوق الغايات والمصالح المادية ؛ وإن كانت هذه الغايات وتلك المصالح تتحقق لكل أفراد الأسرة من باب الحاصل غير المقصود .

ولئن كان مقالي لا يتعلق بموضوع الأسرة في الإسلام ، ولا بجانب تشريع معين من تشريعات الإسلام في مجال الأحوال الشخصية ؛ إلا أنني أجد نفسي مضطراً إلى الإشارة العابرة إلى روح التوجيهات الإسلامية في هذا المجال ؛ لأنطلق منها إلى موضوع مقالي الذي هو بعض التحديات التي تواجه الخلية الأساسية في المجتمع الإسلامي . إذ لعل هذه التوجيهات الإسلامية النيرة تساعد الأسرة المسلمة ـ إن هي عادت إليها ـ على تخطي كثير من المشاكل ، ومواجهة عديد من التحديات وتجاوزها بسلام .

العلاقة بين الزوجين

إن القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة يزخران بالنصوص المذكرة بالحقائق الأولية من مثل قوله تعالى :

﴿ يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات : ١٣)

أو مثل قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم ٢١) .

إن لاجتماع الزوجين : الذكر والأنثى غاية تتعدى تلبية الحاجات الغريزية الشهوانية إلى الإنجاب الذي به يتواصل عمران هذا الكون ؛ وهؤلاء البنون والحفدة هم ثمرة ودّ ومحبة وصفاء ووئام جعله الله بين قلبي الزوجين ؛ حتى أصبح كل منهما سكناً

بقلم : محمد صلاح الدين المستاوي

للآخر ، أو كما عبَّر القرآن الكريم في موضع آخر :

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ (البقرة : ١٨٧) وهل هناك شيء اقرب للإنسان من لباسه ؟

ولم يجانب الصواب من فسر قوله تعالى الحسنة التي في الدنيا في قوله تعالى :

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ بانها الزوجة الصالحة .

والزوجة الصالحة في منظار الإسلام هي التي اشار إليها الرسول ﷺ : « تنكح المراة لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

والزوج الصالح هو ذلك الذي عناه الرسول ﷺ : « إذا جاءكم من ترضون دينه وامانته فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة وفساد كبير » .

ويبين الرسول ﷺ للمسلمين صفات الزوجة الصالحة فيقول : « إنها تلك التي إذا غاب عنها زوجها حفظته في نفسها وماله ، وإذا امرها اطاعته ، وإذا نظر إليها سرته » ، ويجعل الرسول ﷺ من اسباب سعادة المراة ، وإحرازها على رضوان الله تبارك وتعالى طاعتها لزوجها فيقول في حديث شريف : « إن المراة إذا صلَّت خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها واطاعت زوجها دخلت الجنة » .

وسوف لن استرسل في ذكر توجيهات الإسلام في هذا المجال مذكراً فقط بان الإسلام اكَّد على دور الزوج وامره بالتزام آداب الإسلام وتوجيهاته ؛ فلقد وقف الرسول ﷺ يوم عرفات يخطب الناس فقال : « استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان بين ايديكم » .

ولئن أعطى الإسلام القوامة للرجل فهي قوامة مسؤولية ، وإشراف على الخصوص اساسها التقدير للمسؤولية والقيام بها احسن قيام ، وليس التسلط والتجبر والاستغلال الفاحش لضعف المراة ، وجعلها متعة وشهوة تؤتى حتى إذا ما ذبلت لفظت لفظ النواة واستبدلت باخرى .

تربيـــة الأولاد

وثمرة كل زوج الأبناء : اعتنى الإسلام بهم عناية عظمى ؛ وهي عناية تسبق يوم ولادتهم ، إلى اختيار الام ؛ حيث نجد الرسول ﷺ يقول : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس » ، وإذا ما نزل الوليد إلى هذا العالم فإن من حقه على والديه ان يحسنا اختيار اسمه ، ويشرفا على شؤونه احسن إشراف ، ويربيانه تربية أصيلة ، خصوصاً وهو على صفحة بيضاء « كل مولود يولد على الفطرة وابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » .

وجعل الإسلام الأولاد ثمرة زواج شرعي ينسبون به إلى أصولهم المعروفة المعلومة ، مع ما في ذلك من حفاظ على كرامتهم وعزَّتهم ، وعدم إلحاق اي ضرر معنوي بهم . إذ لا يخفى ما يعانيه الأطفال غير الشرعيين من عقد ومشاكل تظل مسيطرة عليهم طيلة حياتهم ، ومهما تطورت المجتمعات البشرية وتحررت عن القيم السماوية ؛ فإنها لا تزال حريصة على إثبات الأصول والمحافظة على الإنسان .

ومنهج الإسلام في هذا المجال واضح لا غبار عليه يسد كل منافذ الانحراف والأبواب المؤدية إليه ، ويدعو إلى وقاية المجتمع من كل الآفات والأمراض ، ويتشدد حتى فيما يراه بعضهم بعيداً كل البعد عن الانحراف ، كالاختلاط والخلوة والتبرج وغير ذلك من مظاهر المدنية الزائفة .

بـــر الوالديـن ..

ولن نواصل الحديث عن توجيهات الإسلام واوامره في هذا المجال فإنها اكثر من ان تحصى او تحصر . وقبل ان انتقل إلى بيان المشكلات التي جدَّت والتحديات التي تواجه الأسرة المسلمة ، لا بد من بيان جانب آخر من جوانب عناية الإسلام بالأسرة الا وهو تنظيم العلاقة بين الكبار والصغار .. بين الآباء والأبناء . والقرآن الكريم لا نجده يامر الآباء والأمهات بإحسان معاملة ابنائهم ذكوراً او إناثاً وسبب ذلك في راينا يعود إلى ان هذه المعاملة تلقائياً من الآباء والأمهات ، والتنكر يكون من الأبناء نحو الآباء ، ولأجل ذلك يزخر القرآن بالدعوة إلى بر الوالدين ، بل إنه ياتي مباشرة بعد طاعة الله في اكثر من آية . مثل قوله تعالى :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ (الإسراء : ٢٤) .

الأسرة عند الماركسيين

فالأسرة في الإسلام خلية حية سليمة على خلاف الماركسية التي تعتبرها كياناً رجعياً من مخلفات عهود الانحطاط والإقطاع ؛ لأجل ذلك سعى الماركسيون جاهدين إلى تمزيقها وتشتيتها . ففي مقال نشرته صحيفة weubmpas الشيوعية الصينية التي تصدر في شنجهاي إبان الثورة الثقافية في مقال لها في كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٦٧م عنوانه : (مواجهة نقد الأسرة عمل ممتاز) ، ذلك النقد الذي يوجه هجوماً غير مباشر على ذلك الموقف المليء بالاحترام تجاه حياة الأسرة الذي لم يزل يقفه كثير من افراد الشعب الصيني . تقول الصحيفة [إن تبادل الوالدين والأطفال وتبادل الأزواج والزوجات ستكون له نتائج مثمرة رغم انه في بعض الأحيان مبكراً] .

ولناخذ على سبيل المثال حياً من احياء شنجاي . فعاصفة الثورة العمالية الثقافية العظيمة نفذت إلى كل الدروب والأقسام كوحدة تنظيمية اجتماعية اساسية ؛ بحيث إن الأسرة كسحت بعيداً عنها المثل القديمة والعادات والتقاليد التي خيمت آلاف السنوات على الحياة ؛ ولأول مرة منذ إنشاء المجموعات الشعبية في الصين تقدم الصيني القديم في تحطيم المثل والتقاليد والعادات وإعادة صياغة الوحدة الأسرية على اسس جديدة .

إن كل القيم الأخلاقية والدينية في نظر الاشتراكيين يجب القضاء عليها واستئصالها ، وبناء الفرد والأسرة المتحررة من كل القيود ، والتي يجوز فيها كل شيء ؛ لأجل ذلك لم يعد يعرف في المجتمع الاشتراكي الزوج والوالد والولد ، إنها الشيوعية الأولى تعود في شكل جديد او قل : الجاهلية الجديدة .

وإذا ما قدمنا الحديث عن الأسرة في المجتمع الاشتراكي ؛ فلأنه يناصبها العداء ، ويعلن الحرب عليها صراحة ، ويهدف إلى استئصالها من جذورها ، وقد سعى في هذا المجال خطوات عادت عليه ولا شك بالوبال . يتجلى ذلك في التقارير والتحقيقات المؤلمة التي ترد من تلك الديار المتحدثة عن الإباحية المطلقة ، والتسيب الذي لا حدّ له الذي عم كل الميادين : النقل والرياضة والعمل والتعليم وكل اماكن الاختلاط .

الأسرة من المجتمع الغربي

وفي المجتمعات الغربية تحاول السلطات الدينية ممثلة في الكنيسة إنقاذ الموقف المتردي ، والحفاظ على كيان الأسرة ، ولكن

التحديات التي تواجه الأسرة المسلمة

التيار تخطاها ، إذ أن المجتمع الغربي الرأسمالي تسوده الأنانية والانتهازية ، وتطغى عليه المادية والروح المصلحية الميكيافيلية .

إن القيم الخلقية والمبادىء السماوية والمذاهب الاجتماعية الاصلاحية فقدت تأثيرها على الناس ، وانتشرت مع ذلك كل صنوف الترف والمجون والإباحية واللامبالاة : الزوجة تصادق من تشاء ، وتتصل بمن تشاء .. تغازل من تشاء ، تراقص من تشاء على مرأى ومسمع من الزوج الذي عليه أن يصنع الصنيع نفسه ، فيتخذ العدد الذي يريد من الخليلات بائعات الهوى . انتشرت العلب الليلية وحوانيت الجنس والمجلات العارية والأفلام الخليعة .

اما الأطفال المواليد في ظل هذا المجتمع فهم مجهولو الهوية والأصل ، لا غرابة أن لا تربطهم بأبويهم الشكليين أية علاقة ودية ، لا سلطان للأبوين على الأبناء والبنات : فللبنت أن تسهر إلى ساعة متأخرة وتُدخل إلى غرفتها من شاءت من الأصدقاء ، ويمكنها أن تحمل قبل الزواج ، ولها أيضاً أن تجهض إن شاءت ، ولا تسأل عن مصدر ذلك الجنس ، ولا غرابة إذا كانت الفتيات تمارس كل وسائل التوقي من الحمل ومنعه .

ولا سبيل إلى وجود تلك العلاقة من البر بين الآباء والأبناء إذا ما بلغ الآباء سن الشيخوخة ؛ أنهم يؤخذون إلى مأوى العجزة ، وهناك ينسون أن التعامل معهم تعامل مادي ، فهم إذاً غير مرغوب فيهم ، وكثيراً ما يموت الأب والأم ولا يعلم الأبناء بالوفاة إلا عندما تخرج رائحة الجثة من نوافذ وأبواب الشقة التي يقطنانها ، أو عندما تعلم إدارة الملجأ الأبناء برقم قبر الأب أو الأم .

إن الأسرة في الغرب تفككت أواصرها وتهدمت دعائمها وتفكك تبعاً لذلك المجتمع وصدق عليه قول الله تعالى : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ ﴿ أَفْئِدَتهم هَوَاء ﴾ ﴿ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ﴾ لأجل ذلك فإن الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم تواجههما تحديات عديدة ، ولا عاصم لهما إلا تلك القيم والمبادىء السامية التي اشرنا إليها في مقدمة هذا البحث .

وما من أحد ينكر تأثير الفكر الغربي والحضارة الغربية على حياة المجتمعات المتخلفة ، أو السائرة في طريق النمو ، إن الغرب لا يصدر لنا العلم والتقنية والصناعة فقط ، إنه يصدر لنا مع كل ذلك نمط عيشه ، وأسلوب حياته ، وطريقة لباسه ، ونوعية أكله ، ومختلف معاملاته وتصرفاته ، إنه يفرضها علينا فرضاً بواسطة الكتب والمجلات والصحف والإذاعات والأفواج التي لا حصر لها ولا عد من أبنائه الذين يزورون بلداننا زيارات عمل أو سياحة .

ومهما حاول المجتمع المسلم أو الأسرة المسلمة التحصن والتوقي فإنه لن يظفر بسهولة بما يريد ويرغب ، ولن يقبل أحد اليوم ، وإن كان ذلك يستحيل ، الانغلاق والانطواء على النفس والانكماش ؛ إذ مهما انكمشنا فإن تيار الأفكار الغربية والأخلاق الغربية والأذواق الغربية يدخل علينا بيوتنا صباح مساء ؛ إنه يشاركنا إن لم نقل إنه انتزع منا مهمة تربية أبنائنا وتوجيههم ، وكيف تستطيع المواعظ والدروس الأخلاقية أن تصمد أمام تيار العراة والمجون والإباحية والنهود العارية والنظرات المثيرة ؟

عمل المـــرأة وخروجها من بيتها

وإذا ما تجاوزنا هذا المجال من مجالات التحدي إلى مجال آخر ، وهو خروج المرأة إلى الشارع وقيامها بالعمل إلى جانب الرجل في الإدارات والشركات والمصانع .. ولسنا ننكر على المرأة أن تعمل ؛ ولكننا فقط نحاسب المرأة على ما تكسبه من العمل خارج البيت وما تخسره .

ولا نناقش الحالات الخاصة الضرورية كاليتم والترمل والفاقة الماسة ؛ إذ تلك ضرورات يباح فيها للمرأة الخروج للعمل .

إن النداءات التي صدرت في المدة الأخيرة في الداخل والخارج عن منظمات نسائية وهيئات تشريعية ورجالات دولة وفكر في مختلف الاختصاصات تدعو المرأة إلى العودة إلى المنزل ؛ لأن الأسرة فقدت بخروجها عنصراً لا يُعوض وركناً لا يقوم بدونه بنيان العائلة .

إن الأطفال الذين تركوا للخادمة أو الحضانة أو الروضة نشؤوا ممزقين غير طبيعيين ؛ لا تربطهم بوالديهم روابط الحنان والوئام ، بل على العكس من ذلك ساد علاقاتهم مع والديهم تشنج وحرج شديد .. وعندما تعود الأم العاملة المسكينة إلى بيتها بعد يوم طويل لا يقل عن عشر ساعات من العمل تعود منهكة منهارة الأعصاب لا تقوى على شيء ولا يستقيم لها تصرف .. ومن هنا تنشأ الخلافات الزوجية ، ولا غرابة إذا رأينا عدد حالات الطلاق منذ الاستقلال – في تونس – من ١٩٥٦م إلى ١٩٨١م يتضاعف (١٨) مرة إذ يقفز من (٥٠٠) إلى (٩٠٠٠) قضية طلاق .

إن المطالبة بنصف الوقت ونصف الأجر بالنسبة للمرأة العاملة هو شعور حاد بهذه المشكلة ، لأجل ذلك يجدر بأهل الذكر في هذا الميدان أن يعالجوا هذه القضية بالجدية والواقعية المطلوبتين ؛ حتى نجنب الأسرة المسلمة الهزات والتحديات . ولعل تخصص المرأة في بعض مجالات العمل كالتعليم والطب والتمريض والإرشاد من شأنه أن يخفف من حدة الأزمة .

قضية تحديد النسل

ومن القضايا الأخرى التي تواجه فيها الأسرة تحدياً لا ينكر .. حجم الأسرة الذي أخذ يزداد بسرعة طبقاً للنمو العام للسكان في المجتمعات الفتية .

وإذا ما نظرنا إلى هذه القضية في إطار عام وقارنا بين الازدياد الطبيعي لدى الشعوب النامية ، والتناقص المهول الذي تشهده

المجتمعات الغربية المتحضرة ؛ حيث انخفضت نسبة النمو هناك إلى اقل من واحد في المائة . وهذا يتسبب في شعور بالجزع والهلع لدى الدول الكبرى ، فإن القضية قضية حجم الأسرة وكثرة عدد افرادها وضعف دخل الأسرة تمثل مشكلة حادة نواجه كل رب أسرة محدود الإمكانات خصوصاً مع ازدياد طلبات الأبناء ، وارتفاع تكاليف الحياة ؛ ولا يكفي ان تنجب الأسرة ابناء ، ثم تهملهم او تعجز عن القيام بشؤونهم ؛ إنما الواجب هو تربيتهم تربية اصيلة متينة وتكوينهم تكويناً صحيحاً .

وإذا ما نظرنا إلى المشكلة في إطار الأمة الإسلامية ذات الإمكانات الهائلة والامتداد الجغرافي الشاسع ؛ فإن المشكلة تنعدم تماماً ، ويصبح عامل النمو سلاحاً بيد الأمة الإسلامية . اما والأمة الإسلامية لا تزال ممزقة الأوصال متعددة الكيانات لم تتوصل بعد حتى إلى صيغة من صيغ التعاون والترابط الاقتصادي ؛ فإن مشكلة النمو السكاني ستظل مشكلة شائكة تواجه كل رب اسرة محدود الإمكانات والطاقات ؛ إذ يجد نفسه إزاء واقع صعب ونصوص صريحة لا تقبل التأويل تمنع عليه كل قتل للنفس البشرية .

مشكلة الزواج بالأجنبيات

ومن المشكلات الجديدة التي تواجه الأسرة المسلمة مشكلة الزواج بالأجنبيات أو ما يسمونه بالزواج المختلط Marriage Mixte حيث يقدم مسلم على الزواج من أوروبية نصرانية او يهودية ودوافع هذا الزواج غالباً دوافع عاطفية بحتة . وباعتراف اصحابه الذين اقدموا عليه يعيش الزوج المسلم ممزقاً بين ثقافته وحضارته التي تبقى رواسبها مهما انحرف وثقافة وحضارة ونمط عيش زوجته ؛ فلا أسرته واهله يقبلون عليه بتلقائية ولا أسرة زوجته والمجتمع الذي تنحدر منه ، بل إن المجتمع الغربي لا يزال ينظر نظرة عنصرية إلى غيره من الشعوب نظرة اساسها الاحتقار والكبرياء والتعالي ؛ إذ تكاد تقاطع المتزوجة من الأجنبي رغم ما تضمنه ظاهراً القوانين للزوجة وحتى زوجها . وتزداد المشكلة تشعباً عندما ينجب الزوجان اطفالاً .

إن الأب قليلاً ما يكون متمسكاً مطبقاً لشعائر دينه ، وهناك ينشأ الخلاف بين الزوجين ، وكثيراً ما تتغلب الزوجة وتربي ابناءها كما تشاء ، بل يصل بها الحال إلى تسميتهم باسماء نصرانية ، وهكذا يساهم المتزوجون بالأجنبيات في تنصير ابنائهم عوضاً عن تبليغ أمانة الدين لهم .

إن الإقدام على الزواج بالأجنبيات (الكتابيات) وإن كان جائزاً إلّا ان ما يترتب عليه من نتائج يوصله إلى درجة الحرمة ، وهذا ما دعا أحد الشعراء إلى مداعبة صديق له تزوج فرنسية انجبت له ابناً فلم يستطع ان يكون مسلماً ولا ان يكون فرنسياً قال :

حيوا الحكيم ولا تنسوا قرينته
فهو سليمان والمدام بلقيس
له غـــلام أطال الله مدّته
تنـازع العرب فيه والفرنسيس
لا تعذلوه إذا ما خـان امته
فنصفه صالح والنصف موريس

إن هذه الأبيات جدّ معبرة إنها تصور حالة عشرات بل مئات وآلاف الشباب المسلم الذي يفقد الرعاية والتوجيه ، فيسقط في أحضان الإغراء والسراب ، حتى إذا ما عاش الواقع تجرع وتجرعت معه الأمة الآلام والأحزان .

والمحزن المؤلم ان هذه الظاهرة تجاوزت ابناءنا الذكور إلى بناتنا حيث شهدت السنوات الأخيرة تعدد عمليات الزواج من طرف المسلمات لغير المسلمين ، وهو ما يحرمه الله ورسوله وتاباه تشريعات الإسلام ؛ إن هذا الأمر يستدعي وقفة حازمة لا تتساهل في ما حرم الله .

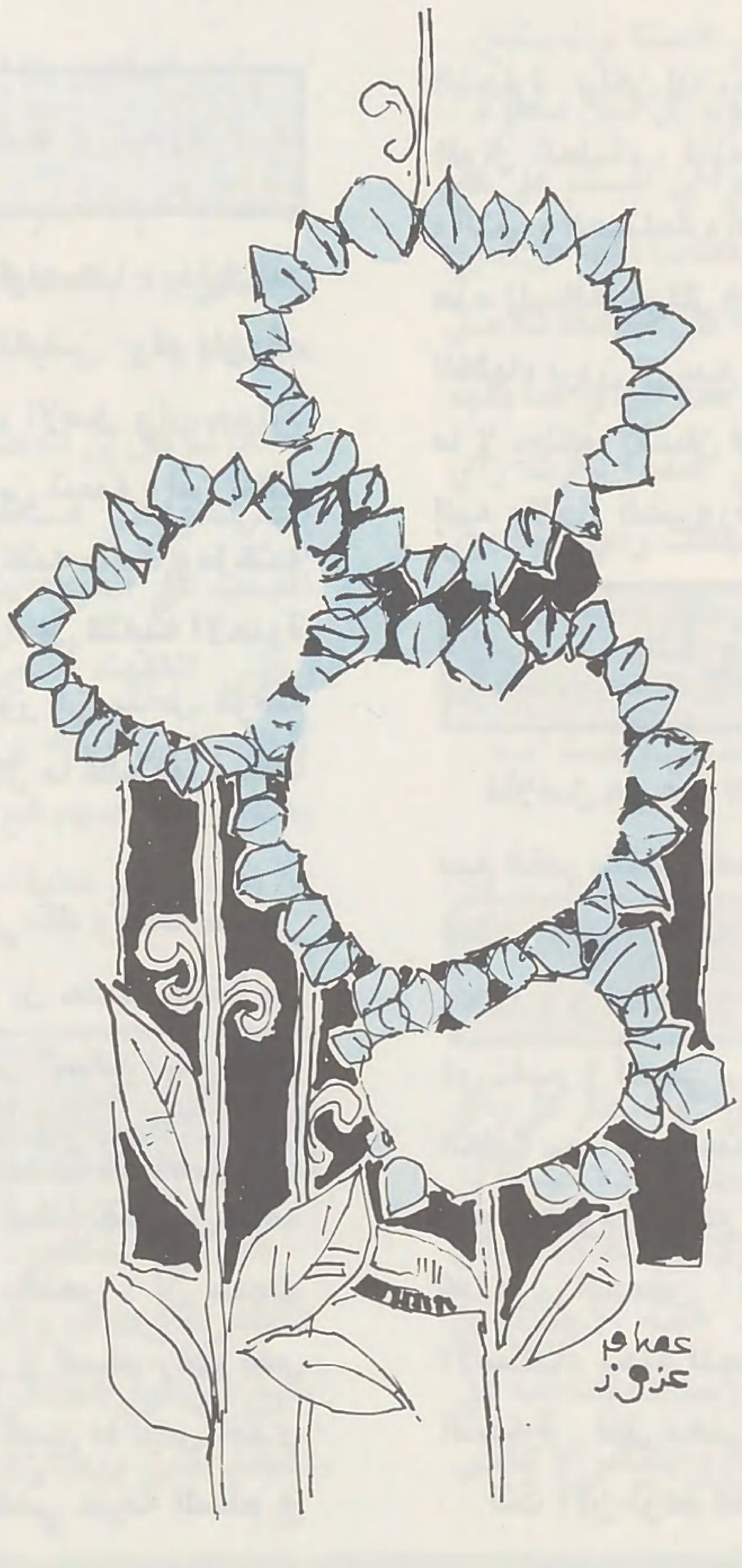

اما المشكلة الأخيرة التي أود ان انهي بها فهي مشكلة الهجرة وهي ذات مظهرين .

مشكلة هجرة العمال إلى بـــلاد الغرب

١ ــ هجرة العامل من بلده إلى بلدة تختلف تمام الاختلاف في اللغة والدين والحياة الاجتماعية ويصعب على العامل المهاجر المحافظة على ذاتيته وشخصيته وكثيراً ما يقع فريسة عادات وتقاليد ذلك المجتمع الذي قصده مرغماً ملزماً وإذا ما كان مرفوقاً في هذه الهجرة باسرته : زوجة وابناء فإن هذه الأسرة تتعرض إلى مزيد من التحدي والهجمات التغريبية وحتى التنصيرية الشرسة وهنا نلاحظ تقصيراً في مجال العناية الدينية بالمهاجرين وأسرهم فلقد وفرنا الملحقين الاجتماعيين وحتى المعلمين ولم نفكر بعد في إرسال بعثات دينية ترعى شؤون المهاجرين .

٢ ــ اما إذا ترك العامل أسرته فإن الأسرة زوجة وابناء يتعرضون لشتى صنوف الحرمان اقلها : الحرمان من العطف والرعاية الأبوية ، وكثيراً ما يتشرد ابناء المهاجرين وينقطعون عن الدراسة ، ويأتون في غياب السلطة الأبوية كل صنوف الانحراف ، والزوجة الغائب عنها زوجها تتعرض إلى تمزق نفسي ، وهي لئن اظهرت مزيداً من التجلد والصبر والتحمل ، ولكنها تعاني في نفسها الم الغربة والشوق والحرمان .

وهذه الحالة هي عين ما عرض لعمر بن الخطاب في ليلة من الليالي عندما سمع امراة تردد شعراً فيه تشوق إلى زوجها . وسالها عمر عنه فقالت : أرسله امير المؤمنين في الجيش الفاتح . وفي الغد سأل عمر ابنته وعجوزاً عن أقصى المدة التي يمكن للمراة أن تصبر فيها على فراق زوجها فاتفقتا على ان اقصى المدة اربعة اشهر فأرسل عمر إلى قادة الجيش أن إذا بلغ الجند أربعة أشهر فسرحوهم . وبذلك يضرب الإسلام أروع الأمثلة في تحقيق مطالب الإنسان الظاهرة والخفية كلها .

هذه بعض التحديات والمشكلات التي تواجه الأسرة المسلمة في هذا الثلث الأخير من القرن العشرين تحديات ومشكلات حادة لا عاصم منها إلا مبادىء الإسلام الخالدة .

ملاحظات على تعقيب

■■ اطلعت على تعقيب الأخ الدكتور عبد الله العبادي على ردي عليه مع الدكتور رفيق المصري [العدد ٤٧ من مجلة الأمة ذي القعدة ١٤٠٤هـ] . ولقد استغربت من الدكتور هذا الأسلوب الجاف . وأعتقد أن الذي حمله على هذا : اعتقاده أني سكت عمداً عن الرد على الدكتور رفيق حتى قام هو بالردّ عليه . فهو يقول : إن تعليقي قد جاء متأخراً وكان المفروض أن أعلق قبل أن يردّ هو . وأحب أن أؤكد هنا أني لم أطلع على رد الدكتور رفيق المصري إلا بعد أن رأيت ردّ الدكتور العبادي عليه ، فرجعت إليه وعلقت على المقالين معاً ، وكنت أريد أن أكتفي برد الدكتور العبادي على الدكتور رفيق لولا أني وجدت أن الدكتور العبادي قد وافق الدكتور رفيق في أصل المسألة وقاعدتها وإن اختلف معه في النتيجة واتبع طريق أكثر الفقهاء ؛ وقد سمّىٰ ملاحظاتي عليه مغالطات ، سامحه الله وغفر لنا وله . يقول الدكتور : (المعلق لم يأت بجديد في تعليقه هذا حيث إن تعليقه لم يحتو على أي فكرة أو مضمون يستحقان به الجدل والحوار النافع) . ■■

فكـــرة جديـــــدة

إني متأكد انه استفاد من ردي عليه بالرغم من قوله هذا ، بدليل انه لا يرجح الآن رأي الجمهور ويرىٰ أن السَّلَمَ مطابق للقياس ؛ وقد كان ردّه على الدكتور رفيق يقول : إن السلم جاء على خلاف الأصل وإن جوازه مستثنى ، كما يقول أكثر الفقهاء ، ولم يذكر رأي ابن تيمية وابن القيم إطلاقاً ، ولعله إذا رجع إلى نفسه وأعاد النظر فيما كتبه سابقاً وما كتبه الآن وقارن بين الكتابتين سيشعر بالتطور الذي طرأ على كتابته الأخيرة من حيث تبني فكرة جديدة . وإني أدعو الدكتور أن يتأمل موقفه وينصفني فيما قلت وسيجد أنه قد تجنى عليَّ في كل ما قاله مما سمَّاها مغالطات .

● ذكر انني نسبت إليه ما لم يقله .. كيف يمكنني ذلك ومقاله منشور في « الأمـة » قبل عدد واحد فقط . ألم يقل فيه : (إن حديث حكيم بن حزام نص في تحريم السلم في التجارة ، ولكنه امكن الجمع بينه وبين الأحاديث الأخرى التي تبيحه) فهل قلت انا شيئاً غير ذلك ؟

وإذا كنت قد ذكرت هذا وهو ما يعنيه كل كلامه . فماذا نقص من كلامه مما اخل بالمعنى ؟ وعبارته من أولها إلى آخرها بالنص (إن حديث حكيم بن حزام في الظاهر معارض لحديث ابن عباس في السلم ، فهو نص في تحريم السلم في التجارة حيث قال فيسالني عن البيع ما ليس عندي ما ابيعه منه ، ثم ابتاعه من السوق . فمفهومه يقضي حرمة السلم في التجارة . ولكن إذا رجعنا إلى كتب الفقه المختلفة وكتب الأحاديث وتبينا اقوال العلماء ، فإنه يتبين بجلاء انهم لم يفرقوا في السلم بين الزرع والثمر والصناعة والتجارة ويتضح ذلك من سياقهم الأمثلة المتعددة في هذه المسألة) وقال في بداية مقاله بالحرف : « يجب ان اوضح أن جمهور الفقهاء يرون أن بيع السلم مستثنى من الأصل وهو بيع المعدوم أو بيع ما لا يملكه الإنسان او بيع ما لم يخلق ولكن جوَّزه الشارع لحاجة الناس إليه ولأجل الضرورة » .

الفرق بين السلم وبيع العرايا

فالأصل هو عدم الجواز كما جوَّز الشارع بيع العرايا وهو مستثنى من بيع التمر بالتمر الممنوع شرعاً » . أليس هذه نصوص مقالك يا دكتور ؟ فماذا حذفته منها مما يغير المعنى الذي قصدته او يسند إليك ما لم تقله ؟ وكلمة (في الظاهر) لا تقدم ولا تؤخر بعد ان لخصت كلامك كله من غير اي تغيير في المعنى ، فانا لم اذكر كلامك كله من اوله إلى آخره وحذفت هذه الكلمة بعينها . فعندما تقول : إن بيع السلم مستثنى من الأصل ، وهو بيع المعدوم ، وبيع المعدوم هو الذي جاء حديث حكيم بن حزام بمنعه كما يرى الجمهور ؛ وعندما تقول : إن السلم مثله مثل بيع العرايا جاء الاستثناء بحله للحاجة ، وعندما تقول : هو نص في تحريم السلم في التجارة . فهل معنى ذلك اني اسندت إليك ما لم تقله ؟ انت الآن تزعم انك قلت في مقالك السابق (إن الحديث يبدو في ظاهره

بقلم : عبد القادر بن محمد العماري

انه يمنع السلم في التجارة عند من لم يتمعن في الأحاديث ويدرسها دراسة وافية وإنما يكتفي بالدراسة الهامشية . فالحديث في حقيقته لا يمنع السلم في التحارة لمن يتمعن في الأحاديث) بالله عليك يا دكتور ، هل قلت هذه العبارات في مقالك السابق ؟ إنني أطلب منك ان ترجع إلى العدد [٤٢] من « الأمة » الذي فيه مقالك لتتاكد ان هذه العبارات ليس لها وجود في مقالك وانها قد تكون جرت على قلمك في جو من المغالطات التي اكثرت من ذكرها في تعقيبك الأخير . عد يا اخي إلى مقالك من فضلك وتمعن فيه .. وإذا كان الحديث في حقيقته لا يمنع السلم في التجارة فلماذا تكون محاولة الجمع بين الأحاديث وكما ذكرت ان الفقهاء حاولوا الجمع بوجهين . الأول : أن تحمل الأحاديث الواردة في السلم على البيع المؤجل وحديث ابن حزام على البيع الحال . والوجه الثاني : أن يفرق بين البيع والسلم . فحديث حكيم بن حزام وارد في البيع واحاديث السلم واردة في السلم . ثم ماذا يعني قولك قبل اسطر فقط ان الحديث نص في منع السلم في التجارة .. الا ترى يا اخي ان في كلامك هذا تناقضاً ؟

واحب ان انبهك يا اخي ان السلم ليس كبيع العرايا . فإن بيع العرايا ربا فضل وهو حرام . فابيح منه ما تدعو الحاجة إليه وهو بيع الرطب في رؤوس النخل خرصاً بمثله من التمر كيلاً فيما دون خمسة اوسق لمن به حاجة إلى اكل الرطب ولا ثمن معه .

فقد رخّص الرسول ﷺ في قدر خمسة اوسق او دونها على الخلاف . اما السلم فقد كان موجوداً في الجاهلية . فاقره الإسلام وبشرط فقط تحديد القدر والأجل حتى لا يكون هنك تنازع كما جاء في حديث ابن عباس . « قدم الرسول ﷺ المدينة وهم يسلفون في الثمار السنة والسنتين . فقال : « من اسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى اجل معلوم » فالأصل فيه الجواز بخلاف بيع العرايا . والذين قالوا إن السلم على غير القياس قالوا إنه بيع معدوم ولا حجة معهم كما اوضحنا ذلك عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم . فالسلم إذاً كان مطابقاً للأصل والقياس وقد عاد اخونا الدكتور العبادي إلى ترجيح هذا الراي كما يفهم من قوله الآن في تعقيبه الأخير عندما قال : (إني عندما ذكرت راي الجمهور من انه مخالف للقياس ليس معناه اني رجحت راي الجمهور على راي ابن تيمية وابن القيم . وقد ذكرت الرايين في مقال سابق ارسلته لمجلة « الأمة » . وبينت ان الخلاف بين الطرفين لفظي فحسب . ذلك ان كلا منهما يرى ويقدر ان عقد السلم شرع لحاجة الناس الماسة إليه .. إذن هو مطابق للقياس) .

الخـــــلاف جوهـــري

ومع انه لم يذكر هذا الراي في ردّه على الدكتور رفيق . واقتصر على راي الجمهور وتبناه . ولم نطلع على ما كتبه في هذا الصدد إلّا انه يسرنا ان يقول مثل ذلك الآن .. غير اني احب ان انبهه ايضاً إلى ان الخلاف ليس لفظياً كما ذكر . فالخلاف اصولي وجوهري يتوقف عليه الاجتهاد في رحاب الشريعة الإسلامية التي جاءت رحمة للعالمين لاننا إذا قلنا إنه على خلاف الأصل والقياس ، فإن ما جاء على خلاف الأصل والقياس لا يقاس عليه وبذلك يكون هناك حجر وتضييق على معاملات الناس . وذلك هو ما دعاني إلى نقد منهج الدكتور في البحث لأن هذا المنهج يستدعي التشدد . ولذلك قلت في المقدمة قبل ان ادخل في مناقشة تفاصيل المقالين :

(ارى اني في حاجة إلى التاكيد على انه ينبغي إعادة النظر في كثير من المسلمات عند بعض الفقهاء لأنها قد اصبحت اغلالاً منعت تحرك الفقه الإسلامي . وعزلته عن حياة المسلمين وان الأمر يتطلب من علمائنا المزيد من البحث بنظرة ثاقبة .. فلا يزال تراثنا الفقهي ينبض بالحياة وهو بحاجة إلى جهود الباحثين لينفضوا عنه غبار الزمن ليتحرك ويحرك حتى يتمكن المسلمون من السير على نهج الشريعة الإسلامية في معاملاتهم كلها . وليس هناك فائدة من ابحاث وتقرير احكام لا تقبل التطبيق العملي والتشدد والتعسف ليسا من الشريعة في شيء لأن الشريعة قد جاءت بالرحمة ، والتشدد والتعسف ينافيانها ... إلخ .

وادعاء الدكتور اني قد اشركته مع الدكتور رفيق المصري في التشدد والتعسف ووصفته بالتشدد والتعسف لا محل له وان كلامي يعني ان المنهج الذي سلكاه يقود إلى التضييق والحجر فيؤدي ذلك إلى التشدد والتعسف .. واحب أن اوضح للدكتور العبادي ان الدكتور رفيق جزاه الله خيراً قد طلب ان يستمر بيننا الحوار بالمراسلة وقابل نقدي له بصدر رحب يليق باخلاق العلماء الذين يسعون إلى الحقيقة . فشكراً للدكتور رفيق ، واعتذر له إذا كان في ردّي عليه نوع من الشدة والحدة ما كنت اقصدها والتي اعتقد الدكتور العبادي انها شملته .. ولا ادري لماذا اعتقد ذلك مما جعل ردّه يتسم بالانفعالية والعنف . فالحوار يا اخي غير الشجار .

يقول الدكتور : (إنه لم ياخذ براي ابن حزم واهل الظاهر ومن وافقهم على ان الأصل في المعاملات الحرمة وانه لم يتعرض لها ولم يرجح آراء الظاهرية فيما شذوا به لعلمه دائماً انهم متمسكون بالظاهر ولا عبرة لهم بالمعاني ولا بالحكمة الشرعية التي يريدها الشارع من وراء تشريعه للأحكام) .

انا لم اقل إن الدكتور اخذ براي ابن حزم في قاعدة ان الأصل في العقود الحرمة ولكني استطردت إليها لكونها تتعلق بموضوعنا لأن الاتجاه في البحث على النهج الذي سلكه الدكتور يجعله يقرب من هذه القاعدة .. وحتى الفقهاء الذين يرون ان الأصل في العقود المنع والحرمة لا يصرحون بذلك وإنما يتبين ذلك من اتجاهاتهم وتفريعاتهم . ولم يصرح بذلك منهم غير ابن حزم ، وإلا فإنه كما يقول ابن تيمية : إن كثيراً من اصول ابي حنيفة والشافعي وطائفة من اصحاب مالك تنبىء عن هذا الراي .

الفرق بين نظرة ابن عباس ونظرة ابن حزم

اما قول الدكتور : (إن السلم دين وليس بيعاً وإن هذا ليس قول الظاهرية وحدهم وإنما هو قول ابن عباس ايضاً) فيلاحظ ان الدكتور لم يفرق بين قول الظاهرية وقول ابن عباس .. والواقع ان ابن حزم يرى ان السلم ليس بيعاً وانه لا يجوز أن يقال له بيع ، فهو توقيفي حتى في

ملاحظات على تعقيب

التسمية .. ولو رجع الدكتور إلى كتاب المحلّى الذي نقل منه هذا الكلام سيجد في اول باب السلم قول ابن حزم بالحرف : « السلم ليس بيعاً لأن التسمية ليست إلا لله عز وجل على لسان رسوله وإنما سماه الرسول ﷺ السلف او التسليف او السلم » .

وابن عباس لا يقول بما يقوله ابن حزم وإنما اراد ان يرد على اولئك الذين يرون عدم جواز السلم . فيقول لهم : اشهد انه في كتاب الله ، مستشهداً بقوله تعالى : ﴿ ... إذا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ والدين سواء اكان عن بيع او سلم او غيره فهو يرى ان السلم اصل ، وانه قد كان في الجاهلية ، وقد اباحه الإسلام بعد ان ابعد عنه الجهالة في القدر والأجل دفعاً للتنازع . فقد روى ابن عباس نفسه ان النبي ﷺ قدم المدينة وهم يسلفون في الثمار السنة والسنتين . فقال : من اسلف فليسلف في كيل معلوم إلى اجل معلوم . فهو عندما يقول : اشهد ان السلف في كتاب الله يخالف اولئك الذين يقولون إن السلف او السلم غير جائز محتجين بحديث « لا تبع ما ليس عندك » . وابن عباس وابن حزم على طرفي نقيض . فبينما ابن حزم يتمسك بظواهر النصوص فابن عباس على راس اولئك الذين يتعمقون في فهم حكم النصوص . ولذلك استشهد بقوله ابن تيمية وابن القيم في معارضة اولئك الذين يقولون إن السلم جاء على خلاف الأصل والقياس ، فابن عباس وابن تيمية وابن القيم يقولون : إن السلم دين من الديون كالابتياع بثمن مؤجل ، فاي فرق بين كون احد العوضين مؤجلاً في الذمة وبين الآخر ؟

وقد قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ اما قول الدكتور : (إن السلم دين وليس بيعاً هو قول جمهور المالكين والحنفيين ايضاً) فإن الحنفيين والمالكين عرفوا السلم في كتبهم . قال الحنفية : إنه بيع اجل او بيع شيء موصوف في الذمة ، وعرفه المالكية بانه بيع يتقدم فيه راس المال ويتاخر الثمن (انظر المبسوط وفتح القدير ورد المحتار والبدائع من كتب الاحناف وانظر الشرح الكبير من كتب المالكية) ولكن فرقوا بين البيع والسلم في الشروط . فمن شروط السلم ان يكون الثمن حالاً . ولم يقل ابن حزم إن جمهور الحنفيين والمالكين يقولون إن السلم دين وليس بيعاً وإنما قال إنهم يفرقون بين البيع والسلم . وهذا شيء طبيعي فقد نص الفقهاء ان السلم نوع من البيع يتاخر فيه المبيع ويسمى المسلم فيه . والذي قاله ابن حزم هو أن أحد كبار الحنفية وهو القمي ، قال : إن السلم دين وليس بيعاً ، فهذا الذي وافقه من الحنفية فقط في رايه . انظر المحلّى جزء ٦ صفحة ١٠٦ .

السلم نوع من أنواع البيع

فالحنفية والمالكية إنما يقولون إن السلم نوع من انواع البيع . ولذلك قالوا إن ركن السلم هو الإيجاب والقبول ، والإيجاب هو لفظ السلم او السلف او البيع . فإذا قال المسلم إليه : بعت منك كذا ، وذكر شروط السلم صح . فقولك يا دكتور : إن السلم ليس بيعاً مناقض ما قررته انت بنفسك عند ردك على الدكتور رفيق . فقد قررت هناك ان السلم مستثنى من (بيع ما ليس عندك) فانت لا تستطيع ان تقول منطقياً إن السلم ليس بيعاً وهو مستثنى من بيع ما ليس عندك . فالمقدمة ليست مطابقة للنتيجة هنا . وابن حزم عندما قرر المقدمة التي نقلتها عنه رتب عليها نتيجة أخرى غير التي رتبتها انت . ولذلك نراه يقول في المحلّى في الموضع نفسه (فإن قيل أن السلم بيع استثني من جملة بيع ما ليس عندك ، قلنا هذا باطل ، لأنه دعوى بلا دليل وليس كل ما عوض فيه بآخر بيعاً ، فهذا القرض مال بمال وليس بيعاً) (١٠٧ جزء ٦ من المحلّى) قال الدكتور :

إن المعلق يدعو العلماء والباحثين للتجديد وألّا يتمسكوا بالمذهبية او بآراء الفقهاء السابقين يحذون حذوهم في كل شيء وإنما عليهم ان يبحثوا في المسائل المستجدة ويدرسوها ويعطوا رأيهم فيها . وهذا منطق سليم ونحن نقول به .. لذلك نرى الأخ الدكتور رفيق المصري حسب اعتقاده وهو يسأل هل هذا الرأي صواب ؟ أو ليس بصـواب ؟ يريد في كلا الحالين الجواب المقنع .. ثم إني بدوري قمت بالتعليق حسبما بدا لي من النصوص موضحاً رأيي في المسألة ومستنداً بذلك على الأحاديث الواردة في هذا الباب ومستعيناً بآراء الفقهاء التي لا غنى لنا عنها) . نقول للدكتور العبادي : إنك لم تجب على سؤال الدكتور رفيق المصري لأن وجهة نظر الدكتور رفيق أن مفهوم الحديث يقضي بحرمة السلم في التجارة وإذا كان الأمر كذلك . فلماذا نترك الحديث ونذهب إلى ما قاله الفقهاء الذين لم يفرقوا بين سلم التجارة وغيره ؟ فماذا كان ردّك عليه يا دكتور ؟

قلت في ردك هذه العبارات بالحرف : (اما بالنسبة لحديث ابن حزام فإنه في الظاهر معارض لحديث ابن عباس في السلم ، فهو نص في تحريم السلم في التجارة حيث قال : يسالني عن البيع ما ليس عندي ما أبيعه منه . ثم ابتاع من السوق فمفهومه يقضي حرمة السلم في التجارة ، ولكن إذا رجعنا إلى كتب الفقه المختلفة وكتب الحديث لشرح هذا الحديث وتتبعنا اقوال الفقهاء فإنه يتبين بجلاء انهم لم يفرقوا في السلم بين الزروع والثمر والصناعة والتجارة وإن لم يصرحوا بلفظ التجارة يفهم ذلك من سياقهم ، الأمثلة المتعددة) فنلاحظ هنا انك توافق الدكتور رفيق ان مفهوم الحديث يقضي بحرمة السلم في التجارة غير انك تقول له : ارجع إلى كتب الفقه والحديث وتتبع اقوال الفقهاء وستجد انهم لا يفرقون في السلم بين الزروع والثمر والصناعة والتجارة وإن لم يصرحوا بلفظ التجارة . فهل هذا هو الردّ المطلوب على السؤال ؟

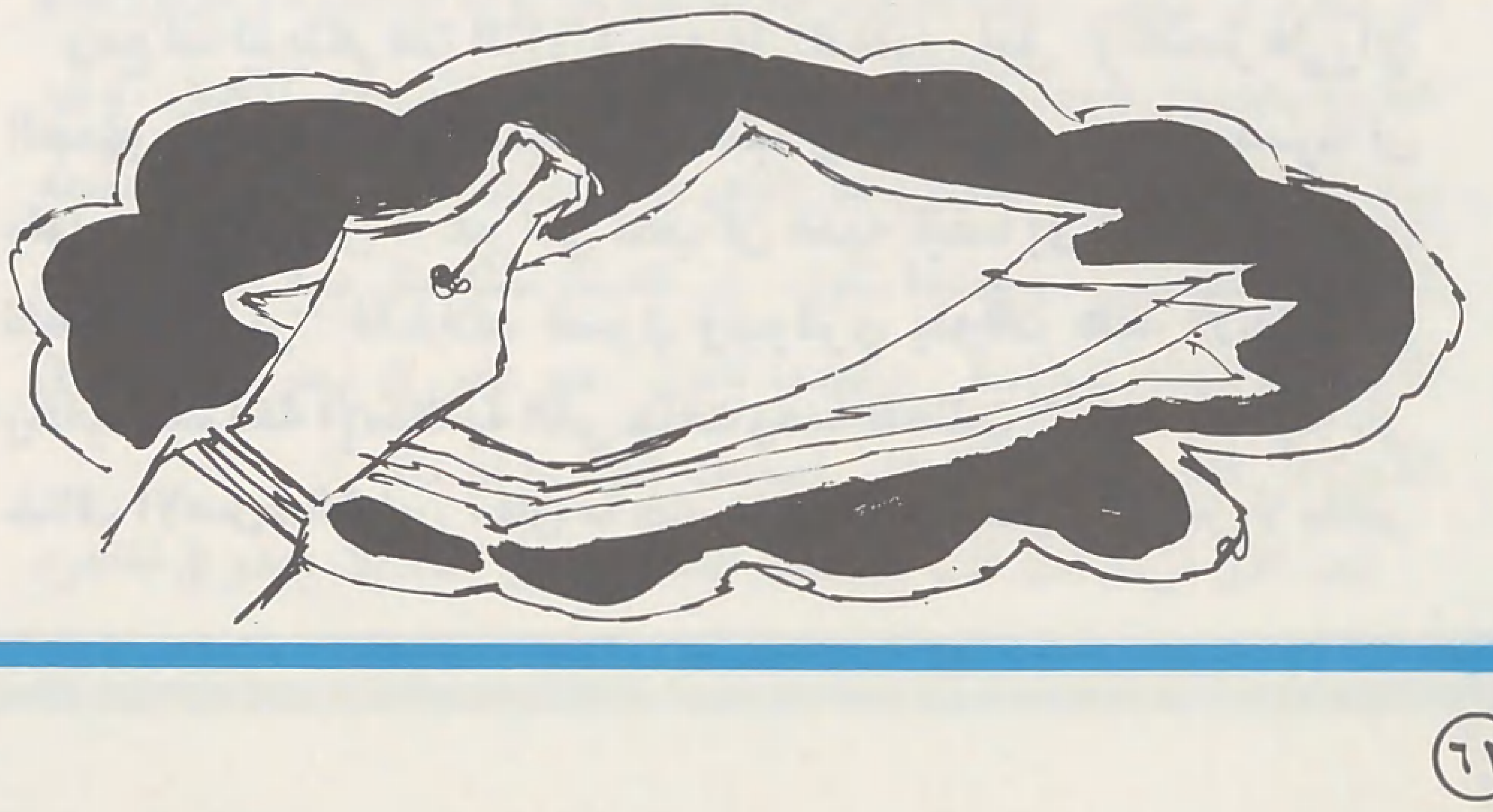

فتح بـــاب الحـــوار
من أجل رفع المستوى الثقافي والاجتماعي

ادّعى الدكتور اني اريد ان اسد باب الحوار وقال : التعبير بان المسالة جزئية ثانوية ، فيه غموض . واقــول : إن المسالة التي عالجها الدكتوران ثانوية جزئية لأنها تتعلق بباب من ابواب الفقه الإسلامي وليست مسالة عامة . وليس في هذا التعبير غموض بدليل ان الدكتور قد فهم اني هولت الأمر . والخطورة التي لاحظتها في اتجاه الكاتبين في البحث لما في ذلك من إعاقة انطلاق الأبحاث الفقهية ، ولست اريد ان اسد ابواب الحوار كما زعم الدكتور ، بل بالعكس أريد أن افتح باب الحوار الواسع في رحاب الشريعة الإسلامية بالبحث المتاني المفيد ، والأمة الإسلامية الآن في حاجة إلى ابحاث واعمال تدفعها إلى الأمام لا تشدها إلى الوراء . وفي آخر تعقيبه تعرض الدكتور العبادي لما يخص الدكتور رفيق المصري وتبرع بالردّ عنه ونسي ما قاله في اول كلامه بانه سيعلق على الجانب الذي يخصه . اما ما يخص الدكتور رفيق المصري ، فذاك وشانه على حد تعبيره .

واقــول للدكتور : لماذا لم تكمل العبارة التي قلتها ؟ فانت أقمت الدنيا واقعدتها من اجل كلمة في (الظاهر) وزعمت اني حذفتها من كلامك مع انها لا تقدم ولا تؤخر ، فما بالك تجرات الآن وبترت جملة كاملة . فذكرت السؤال ولم تذكر الجواب الذي بعده مباشرة . فالجملة بتمامها في مقالي هكذا : (فاي سلع لا تكون من الزراعة والتجارة والصناعة ؟ والذين ياتون إلى المدينة من الشام بالسلع هم في الغالب من التجار الذين يشترون من الزراع والصناع في بلادهم ويبيعونها في المدينة وما كان الصحابة يسالونهم : هل انتم زرعتموها او صنعتموها لانفسكم ؟ والفلاح .. هل يترك ارضه لياتي لبيع إنتاجه . وقد تمتد رحلته إلى عدة اشهر . فلماذا يا دكتور عبد الله فعلت في كلامك كالذي قرا : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ ﴾ وترك ﴿ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ ﴾ او قرا : ﴿ وَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ وسكت ! اليست هذه المغالطات بعينها ؟ اليس ، عندما اقول : إن الذين ياتون من الشام في الغالب من التجار الذين يشترون من الزراع والصناع في بلادهم ، عندما اقول : والفلاح هل يترك ارضه ويأتي لبيع إنتاجه او عندما اذكر ما في الحديث وما كانوا يسالونهم : هل انتم زرعتموه او صنعتموه بانفسكم ؟

الأعظم من التسرع

اليس معنى ذلك اني فهمت قصد الدكتور انها إذا كانت من إنتاج المسلم إليه ؟ هل بعد ذلك كله أكون لم افهم كلام الدكتور ؟ يا اخي إذا كنت انا قد تسرعت ولم أتروّ .. فلماذا تاتي انت بما هو اعظم من التسرع وعدم التروي ؟ وفي آخر تعقيبه علق الدكتور على نصيحتي للباحثين التي ملخصها انه في حالة أن يكون لدى اي من الباحثين اي رأي جديد عليه أن يدرسه أولاً مع بعض العلماء والباحثين قبل نشره خشية تعميم الأخطاء وبلبلة الأفكار والجراة على الفتيا ، علق الدكتور بقوله : (هذا كلام جميل وكم بودنا لو حصل ذلك ، هل سيوافق آراء الآخرين المتربصين دائماً للانتقاد ليخطئوا غيرهم وإن كانوا على صواب ؟) ثم تساءل هل انا أعمل بهذه النصيحة واعرض ما اكتبه على زملائي وانه مجرد كلام بلا تطبيق ؟

ثم يقول : (فيما يبدو لي انه لو عرض ما كتبه على زملائه لما وقع فعلاً في مثل هذه المغالطات والمتناقضات والتعليق الحاد) ثم يقول (الا يكفي ان تكون مجلة الامة وبين صفحاتها مقراً لهذه الندوة يقراها ويعلق عليها الباحثون والعلماء في مشارق الارض ومغاربها) .

مناقشـــة العلمـــاء والاستفادة منهم

اقول للدكتور : أؤكد لك اني عرضت ما كتبته على بعض العلماء وناقشتهم فيه وهذه هي عادتي فيما اكتب خاصة فيما ارى انه يحتاج إلى تبادل وجهات النظر وما يمكن ان يثير نقاشاً فانا لا اكتب من برج عاجي بل احضر مجالس العلماء واتناقش مع طلبة العلم واحضر الدروس والمحاضرات حتى استفيد من كل الناس سواء من هو اعلم مني او اقل مني علماً لان الحكمة ضالة المؤمن

قال موفق الدين البغدادي رحمه الله : اوصيك ان لا تاخذ العلم من كتب وإن وثقت بنفسك من قوة الفهم ينبغي ان تكثر من اتهام نفسك ولا تحسن الظن بها واعرض خواطرك على العلماء وتثبت ولا تتعجل فمع العجب العثار ومع الاستبداد الزلل .

واما ما ذكره الدكتور من الاكتفاء بما نشر في المجلات والصحف فانا اعتقد ان النقاش من الباحثين قبل النشر مفيد جداً لانه إذا نشرت ابحاث غير ناضجة ومتعجلة سيكون ضررها اكثر من نفعها لانه يقراها كثير من المبتدئين الذين يتاثرون بما يقرؤون ولان كثيراً من الكتاب إذا نشر بحثه في مجلة او صحيفة او كتاب ونوقش فيما كتب يعز عليه ان يتراجع عما كتب حتى ولو كان خطا ، فتاخذه العزة بالإثم . ولهذه المحاذير وتلافياً للأضرار ارى انه لا بد من المناقشات والمحاورات بين طلبة العلم في جلسات وندوات تسبق أبحاث المجلات والصحف والكتب .. وادعو الأخ الدكتور العبادي ان لا يسيء الظن بأن هناك متربصين دائماً لتخطئة غيرهم او يتصيدون الأخطاء عليهم ، إن الوجهة إن شاء الله واحدة فلنوحد الصفوف ضد المتربصين بشريعة الإسلام .

●● في اعتقادنا أن ما نشر حول هذه القضية من تعليقات وتعقيبات أصبح فيه الكفاية حيث أغنى الموضوع وكشف أهم جوانبه الرئيسة ، وإن كان ثمة جزئيات فيمكن معالجتها بالمكاتبات الخاصة بين المعلقين أنفسهم ، لذلك فالمجلة تعتذر عن المتابعة .. ●●

بقلم : محمد لغريسي الأسيفي

نحو أدب إسلامي للأطفال

■■ نشرت مجلة (الأمة) الغراء [عدد ٣٩] (ربيع الأول ١٤٠٤هـ) مقالاً للأستاذ عيسى أمين صبري بالعنوان أعلاه .

وجاء في مقدمة المقال : (إن الاهتمام بتوثيق الروابط ، وتعميق الصلات بين أجيال الأمة ، مبدأ إسلامي أصيل ، ومطلب ضروري ألح عليه الإسلام ، في سبيل وحدة الجسد الإسلامي وقوته حتى يكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً .

والأطفال بين أجيال الأمة ، هم الأساس الذي قدر له حمل هذا البنيان ، وإذا كان الباني يعد أساس بنائه إعداداً سليماً متيناً ، فيجتهد في تقويته وشده لهذا العبء الثقيل الذي ينتظره ، فإن أهمية إعداد الطفل وتعهده بالتربية السليمة والتنشئة القويمة الصالحة ، أمر لا يقل في أهميته وخطورته عن هذا البناء ...) ■■

وإني إذ انوه بمجلة « الأمة » الغراء ، وبالمجهودات المبذولة من طرف المشرفين على إخراجها ، والذين ما فتئوا - منذ ظهور أول عدد منها ، الذي اقول عن صدق : إنه كان فتحاً جديداً في عالم الصحافة العربية المسلمة الملتزمة - وهم يعملون جادين في البحث عن الجروح المترعة في جسم هذه الأمة ، وعن الثغرات الفاغرة أفواهها فيه ، والسعي الحثيث في العثور على أسبابها ، والبلسم الذي يساعد على تضميد جراحها ، في انتظار العلاج الناجع الذي يتوقف على جمع كلماتها ، وتوحيد صفوفها .

ومن جملة تلك الجهود المبذولة ، المقال المذكور الذي دفعني إلى كتابة هذا التعليق .

إنه من دواعي الأسف ألا تكون لأمتنا ، وهي تعيش في القرن العشرين ، وسائل إعلام ووسائل توزيع تتصف بالحزم والجدية ، وألا تكون لها برامج تعليمية موحدة تصل ما بين جناحيها لتخرج لها أجيالاً موحدة العقيدة ، موحدة التفكير ، موحدة الراي ، جادة في الأفعال قبل الأقوال ، لتحل محل هذه الأجيال الممزقة المستكينة ، في هذا الزمن العصيب الذي تتكالب عليها فيه الصليبية بشقيها ، شرقية وغربية ، شيوعية وراسمالية ، مع الصهيونية بجميع أجهزتها الاستخبارية المنبثة في كل مكان ، ونحن في أشد الغفلة وفي أقصى درجات العجز المادي والمعنوي ، مشلولو الإرادة مشلولو الحركة مشدوهو الفكر ، وكان أحد سحرة فرعون استيقظ ليفعل بنا ما فعل ثم عاد إلى قبره .

إنه لو توفر ذلك الإعلام الحازم ، وتم توحيد برامج التعليم لكان في ذلك الخير كل الخير لهذه الأمة . اقول هذا وانا أتمثل سلسلة (دواوين الأطفال) التي أصدرها الشاعر علي الصقلي بالمغرب منذ سنة ١٩٨١م في الموضوع نفسه الذي أثارته مجلة « الأمة » الغراء . وقد وضعت هذه السلسلة بين أيدي الأطفال المغاربة منذ التاريخ المذكور . ولو كان مثل هذا العمل قد صدر في دولة غربية كفرنسا مثلاً ، لكانت وسائل الإعلام والتوزيع قد وضعته بين أيدي أطفال البلدان « الناطقة بالفرنسية » قبل أن تضعه بين ايدي أطفال فرنسا نفسها . ولكانت مدارس بعثاتها وما أكثرها قد فعلت مثل ذلك .

بما أن مجلة « الأمة » الغراء في تعليقها ترجو أن يكون واضع أدب الأطفال هو : (الاديب الواعي المسلم الذي يعرف ميول الاطفال وقدراتهم وأعمارهم العقلية فيكتب لهم ما يجعلهم ينجذبون نحوه) وكاتب المقال يأمل أيضاً أن يكون : (الأدب المخصص للأطفال ، هو ذلك الذي يبرز القيم الإسلامية الرشيدة ، ويعكس خفايا الأنفس المتعطشة إلى حب الخير والمعاني المشرقة ... ويوقظ فيهم حس المسؤولية كلبنات تنتظر دورها في مجالات الحياة المختلفة .. وهو في الوقت نفسه لا يستعصي على أفهامهم ، ولا يعلو على اقدارهم وخبراتهم حتى لا يتحرك في فراغ ، ويفقد قيمته وتوهجه ... بلغة فصيحة سليمة تواكب عمر الطفل وبأسلوب رائق مشرق يشوّق الطفل ويجذبه نحو القراءة ...) [الأمة] . فإنهما معاً « الأمة » والكاتب سيجدان كل ما يرجوان في السلسلة المذكورة لادب الطفل . فقد استطاع مؤلفها الشاعر الصقلي أن يجعلها ، رغم تعدد موضوعاتها ، وتنوع أفكارها ، (خالية من اية صورة مشوهة أو أي مسخ للغة الأعمال الأدبية الكبرى ، غير مضحية بالقوانين والقواعد أو ببعضها ، التي تحميها وتميزها عن اللغة العامية) [الأمة] .

دواوين شعر الأطفال

وتتكون السلسلة المذكورة من خمسة أجزاء تأخذ بالتدريج مع الطفل من سن الخامسة إلى سن الخامسة عشرة تقريباً مرتبة هكذا :

١ - « أ . ب » لاقسام ما قبل الابتدائي والسنة الأولى منه لأبناء ما بين ٥ و ٧ سنوات . (٤٠) مقطوعة .

٢ - « من أغاني البراعم » لأقسام الثانية والثالثة ابتدائي لأبناء ما بين ٨ و ٩ سنوات . (٤٠) مقطوعة .

٣ - « أنغام طائرة » لأقسام الرابعة والخامسة ابتدائي لأبناء ما بين ١٠ و ١٢ سنة (٤٠) مقطوعة .

٤ - « ريحان وألحان » لأقسام الأولى والثانية ثانوي لأبناء ما بين ١٣ و ١٤ سنة (٤٠) مقطوعة .

٥ - « مسامير ومزامير » لأقسام الثالثة والرابعة ثانوي لأبناء ما بين ١٤ و ١٥ سنة (٤٠) مقطوعة .

وحتى نتمكن من معرفة قيمة هذه السلسلة ، نلقي نظرة على بعض التقاريظ التي وردت فيها على لسان بعض الأدباء والكتاب .

■ إن من دواعي الأسف ألَّا تكون لأمتنا وهي تعيش في القرن العشرين وسائل إعلام ووسائل توزيع تتصف بالحزم والجدية وألَّا تكون لها برامج تعليمية موحدة ..

يقول الاديب الكبير عبد المجيد بن جلون رحمه الله : (ثلاث مجموعات من الشعر قصد بها أن يرددها الأطفال في مختلف مراحل حياتهم ... كل ذلك في اسلوب شيق ، وألفاظ قريبة إلى معجم الأطفال في نعومتها وسلاستها ، مفعم بمعاني سامية وناصعة يرجو كل غيور أن نستقبل بها أبناء مغرب الغد وهم على أعتاب الحياة) .

ويضيف قائلاً : (نحن نستشف من وراء هذه الأغاني الشاعر صديقاً حميماً للأطفال ، يتحدث على لسانهم ، ويتحدث إليهم كما يتحدثون إليه ، ويشاركهم في تفكيرهم ، وفي عواطفهم ، وفي العابهم ، وفي تخيلاتهم ، كما يتحدث إليهم هادياً ومرشداً ...

وليس من المستغرب أن يكون صديق الأطفال الأبرياء صديقاً للحيوانات الأليفة التي توجد في منازلنا في المغرب ، ولا يسعني هنا إلا أن انوه بالقطعة التي تحمل عنوان « الأرنب » وأستطيع أن أجزم بعدم وجود قصيدة أخرى تضارعها عن « الأرنب » في اللغة العربية) .

ويقول الأديب القصصي الأستاذ مبارك ربيع : (... موضوعات هذه المجموعات تتميز بالتنوع ، ومسايرة المحيطات التي يغشاها الطفل أو يتصل بها ، بالإضافة إلى قِصَر المقطوعات مما يحببها وييسر تعامل الأطفال معها ... باعتبارها تنزل إلى مستواهم ، وهذه ميزة هامة ، تعتبر من أصعب المهام لكتابة الأطفال) .

ويقول الأديب الشاعر الأستاذ أحمد عبد السلام البقالي : (... تطرق الشاعر في كل مجموعة إلى كل ما يمكن أن يهم ويثقف ويسلي ، ويربي فئة السن الموجهة لها ، بأسلوب سهل رقيق ، وإيقاع خفيف على السمع ، مروض للحاسة الموسيقية والجمالية) .

ويقول الأستاذ احمد آكزناي (... إن الواجب يحتم علي أن أقول : إن هذه المجموعات الثلاث جاءت لتملأ فراغاً كانت مدارسنا على اختلاف مراحلها ، تشكو منه) .

وجاء في جريدة « العلم » الصادرة بتاريخ ١٢ ديسمبر [كانون الأول] ١٩٨٣م في مقال للأستاذ العربي بنجلون : (... تتلون كتابات الشاعر الصقلي في الشعر الطفولي تلوناً قوياً ، منه المسرحية ، والنشيد والقصص الشعري ، ومن العسير حقاً تحديد : القيم التربوية التي تطفح بها هذه الإبداعات ، لأنها كما يقال ـ بحر لا ساحل له ـ) .

وقد طبعت سلسلة الدواوين كلها ـ بعضها على نفقة وزارة التعليم ، وبعضها على نفقة الشاعر نفسه ـ طباعة أنيقة في ورق صقيل ، مزينة كل قطعة منها برسم ملون متقن ليوضح قصدها ، ويجذب نظر الطفل إليها ، وتهفو نفسه إلى التطلع لما جاء فيها ، ليقلد منه ما يمكن تقليده ، ويزيد من تقوية حاسته الفنية وتنمية مداركه الطفولية . كل ذلك بأثمان زهيدة لا تزيد على قيمة كأس شاي أو فنجان قهوة لكل جزء .

وتختلف الدواوين وهي تتدرج بالطفل مسايرة لمراحل سني عمره ، وتطور فكره في الشكل والمضمون والمادة والغرض ، وأسلوب العرض ، آخذة تارة شكل نشيد وتارة شكل مسرحية وأخرى شكل قصة . وتتبلور فكرة الشاعر في الطريقة التي أرادها لتربية الطفل : أن يكون عربياً مؤمناً متمسكاً بمبادىء دينه الإسلام ، وأن يكون أيضاً يعيش لعصره متفهماً للمشاكل التي يعيش فيها ، عالماً مطلعاً على ما يجري حوله ، يقظاً لكل ما يحاك لأمته ، عاملاً على اتقائه ودرئه عنها . وأن يكون في الوقت نفسه مطلعاً على تراثه وما قام به أجداده أيام مجدهم وعزهم ليختار منهم البطل الذي ينير له الطريق .

كل ذلك نتحسسه واضحاً جلياً فيما تطرق إليه الشاعر :

نماذج من شعر الأطفال

١ ـ المبادىء الدينية التي تناولتها مقطوعات مثل : (دعاء) ، (أنا مؤمن) ، (حبي لك) ، (أنت الله) (المؤذن) ، وسترد علينا نماذج في آخر البحث .

٢ ـ الأسرة التي تناولتها مقطوعات مثل (أمي) ، (أحبك) ، (ولدي) ، (أبي) ، (جدي) ، (جدتي) ... إلخ . وقد اخترت كأنموذج منها مقطوعة (أمي) :

أُمِّي ، أُمِّي .. أهْوىٰ أُمِّي
أُمِّي دَوْماً ، تَهْتِفُ بِاسْمي
وَتُقَبِّلُني ... وَتُراقِصُني
بَيْنَ يَدَيْها ... وَتُداعِبُني
أَبْكِي فتَهُبّ لِتُسْعِفَني
وَأَجُوعُ فَتَأْخُذُ تُطْعِمُني

وقطعة (ولدي) :

وَلَدي يا وَلَدي يا أَمَلي في غَدي
مَنْ سِواكَ آخِذُ - إنْ عَثَرْتُ - بِيَدي
مَنْ سِواكَ إنْ أَشِبْ جَدَّ فيهِ مَوْلِدي
كُنْ طَريقي لِلْعُلا كُنْ ضَمانَ سُؤدَدي
واحْمِ ، في غَدٍ ، حِمىٰ حَقَّ هٰذا البَلَدِ
انَّكَ ابْنُهُ ، وَما كَابْنِهِ مِنْ مُسْعِدِ
لِيَعِشْ علىٰ المَدىٰ بِكَ خَيْرَ سَيِّدِ
وَلْتَقَرَّ عَيْنُهُ بِفَتاهُ الأمْجَدِ

وقد خصص الشاعر في موضوع الأسرة قسطاً مهماً جداً لما يسمى عند العرب (الترقيص) ولكن بكيفية أوسع ، حيث ينتقل أحياناً من ترقيص الأم لابنتها أو ولدها إلى حوار بين الأم والأب وطفلهما ، أو نشيد يمتدح به الطفل نفسه وحبه وتعلقه بأسرته مثلاً وحبها وتعلقها وافتخارها به . ويبتدىء هذا النوع من الترقيص ، والطفل لا يزال في المهد إلى أن يخطو الخطوات الأولى ، إلى اليوم الأول له بالمدرسة إلى دفتره الأول ، إلى أن تسقط سنّه الأولى ، ومن ذلك قطعة (سنّي) ، وهي قطعة على شكل محاورة بين بنت وأمها :

البنت : أُمِّي سِنِّي سَقَطَتْ مِنِّي
أأَعِيشُ أنا مِنْ دون سِنٍّ ؟
الأم : أَهْدي سِنَّـ.........ـكِ عَيْنَ الشَّمْسِ
تَطْلُعُ لَكِ أَحْـ.........ـسَنَ مِنْ أَمْسِ
البنت : كَيْفَ لَها أَنَا أَهْدِيها ؟
وَهيَ تَرىٰ في أَعاليها ؟
الأم : لِلشَّمْسِ يَدٌ هِيَ تُخْفيها
تَأْخُذُ مِنَّا ما نُعْطِيها

يشير الشاعر في هذه القطعة إلى خرافة شعبية ترى أن الطفل إذا أراد أن تنبت له سن جميلة مكان التي سقطت منه ، عليه أن يقول وهو يرمي السن الساقطة في وجه الشمس (خذي سن الحمار ، واعطني سن الغزال) .

٣ ـ التربية المدرسية التي تتناول مقطوعاتها أول خطوة إلى المدرسة ثم الأدوات الأولى التي يحملها الطفل وذلك في مقطوعة : (أول دفتر) ، والحروف الأولى في مقطوعة : (اقرأ) ، ومقطوعة (السبورة) ومقطوعة (الكتاب) ، ومن ذلك مقطوعة (في المدرسة)

يا بَنِينُ .. يا بَناتْ   نَجْوى زِينَةُ الحلْواتْ
جاءت إلى المَدْرَسَة
كُلُّكُمْ لَها قِفوا   وَاهْتِفُوا بِها اهْتِفوا
هِيَ ذي في المَدْرَسَة
ادْخُلي عُشَّ الحَمامْ   ادْخُليه بِسَلامْ
وَانْعَمي بالمَدْرَسَة

ثم قطعة (اول دفتر) :

حَمَلَتْ نَجْوى أوَّلَ دفْتَرْ
وَكِتاباً ، كالدَّفْتَرِ أخْضَرْ
وَلَها قَلَمٌ .. وَلَها حِبْرٌ   وَمَناشِفُها شَتّى كُثُرْ
حُمْرٌ .. خُضْرٌ .. زُرْقٌ .. صُفْرْ
فَسَلُوا نَجْوى تُعْرِبْ بِفَمٍ   كَمْ مِنْ حَرْفٍ كَمْ مِنْ كَلِمْ
كَتَبَتْ في الدَّفْتَرِ بالقَلَمْ

ثم قطعة (السبورة) بعنوان (انا سوداء) :

أنا سَوْداءُ ، لكِنْ كَمْ   عَلى وَجْهي بَدا نُورْ
أضيءُ عُقولَكُمْ ، ما ضا   ءَ في وَجْهي الطَّباشيرْ
أكَلِّمُكُمْ بِلا لَفْظٍ   أنا لَفْظٌ وَتَعْبيرْ
وَأُفْهِمُكُمْ بِلا عَقْلٍ   أنا عَقْلٌ وَتَفْكيرْ
سَلُوا عَنّي مُعَلِّمَكُمْ   سَلُوا ، فَلَدَيْهِ تَفْسيرْ

٤ - الألعاب : وبما أن الالعاب وعلى الأخص منها الشعبية ، ضرورة اساسية من ضرورات الطفولة ، تصاحب الطفل من بداية القدرات على الحركة عنده ، وهي التي تعمل على تكوين الشخصية الناضجة ، وتتيح الفرصة للطفل لتنمية استعداداته ، وقدراته ، ومتابعة احتياجاته الأساسية ، بدنية ونفسية واجتماعية . فقد خصص لها الشاعر حيزاً مهماً جداً ملاحظاً فيها :

(أ) أن تكون مناسبة لسن الطفل حتى لا تعيق جسمه وفكره .
(ب) أن تكون مأخوذة من بيئته حتى لا تحدث له بعض الارتباك وتثقل من حركاته .
(ج) أن تكون جماعية في الأغلب ليكتسب معارف واصدقاء وينغمر في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه ، تارة في المدرسة وتارة في الحديقة مع اترابه .
(د) وقد تكون مع الأشياء التي جعلها الشاعر تتحدث وتعي فتسمع وتجيب وتتغنى وترقص ، لأن عقل الطفل ما يزال لا يفرق بين الاحياء والأشياء ، ومنها على سبيل المثال اللعبة الشعبية العالمية لعبة الكرة ، ففي مقطوعة (انا كرة) يقول :

أنا كُرَةٌ .. أنا مُسْتَديرة   طاف ، طاف ، طاف
أقْفِزُ إلى السما .. قَفْزَةً كَبيرة   طاف ، طاف ، طاف
تَقْذِفُني هكذا رِجْلُكَ الصَّغيرة   طاف ، طاف ، طاف

وبالنسبة للبنت اللعبة المفضلة لديها وهي الدمية في قطعة (علية) ومنها :

دُمْيَتي أجْمَلُ دُمْيَة   حُلْوَةٌ تُدْعى عَلِيَّة
اشْتَرَتْها ، لِيَ أمّي   إذْ اتى العيدُ هَدِيَّة
خَدُّها ، الوَرْدُ وَعَيْنا   ها السَّماواتُ الصَّفِيَّة
وَلَها شَعْرٌ يُحاكي   سُنْبُلاتٍ ذَهَبِيَّة
... ... إلخ

(هـ) وقد يكون اللعب مع حيوان ، يلعب معه ويرقصه في مثل مقطوعة (قطتي) وقد يجعلها تلعب وتمرح امامه مثل مقطوعة (اصدقائي الأربعة) ومن ذلك قطعة (يا صغاري) :

دِيكٌ على جِدارٍ   وَمَعَهُ دَجاجَة
قد صاح : يا صِغاري   إيتوا ... هُنا كَمْ حاجَة

(و) وقد يكون ذلك مع الحشرات التي تكون عادة مقطوعاتها للعبرة والذكرى ولإفادة مبدأ شريف او للتملي من حسن منظرها كمقطوعة (الفراشة) ، و (الخنفساء) ومقطوعة (الحلزون) التي يقول فيها :

دَبَّ الحَلَزون .. فَوْقَ حِجارة   مِنْ أيْنَ أتى .. يَحْمِلُ داره ؟
في قُبَّتِها   تَخِذَ قَراره

ومنها قطعة (الخنفساء) التي توصي ابناءها بالمحافظة على غارها وهي تحتضر للحض على حب الأوطان :

قيلَ يَوْماً لِلْخُنْفُساءِ   وَهْيَ في سَكْرَةِ احتضارْ :
بِمَ تُوصينَ ، أنْتِ ، يا   أُمُّ قالَتْ : وباخْتِصارْ
لَيْسَ لي مِنْ وَصِيَّةٍ   لِقَريبٍ وَلا لِجارْ
بِسِوى غاري الَّذي   لا يُدانيهِ أيُّ غارْ
فيهِ مُتِّعْتُ بالحَيا   ةِ ، وَأضْحى لِيَ اعْتِبارْ

٥ - الطبيعة : وقد اتى الشاعر منها بثروة ضخمة تتعلق بالمناظر الطبيعية التي تناولتها قطعة (الفصول الاربعة) وما يعتري الطبيعة فيها من تغيرات جمالية يأخذ بعضها باذيال بعض مثل مقطوعة (الشمس وشعاعها) ومقطوعة (القمر وضياؤه) ، و (تعاقب الليل والنهار) ، و (الماء وجريانه) ، و (الثلج ونصاعته) ، و (الغاب واشجارها) ، و (الحقول وازهارها) و (المطر وما يتخلله من عواصف ورياح) . ومن امثلة ذلك مقطوعة (الشمس) :

يا شَمْسُ مَنْ سَمّاكِ   أهْدى الوَرى سَناكِ
في الأفْقِ .. في عُلاكِ   لِلَّهِ ما أحْلاكِ
في عَيْنِ مَنْ يَراكِ

ومقطوعة (يوم مطير) :

الرِّيحُ زَغْرَعَتْ   أشْجارَ حَيِّنا
كَذاكَ زَلْزَلَتْ   زُجاجَ بَيْتِنا
□□□□
لا طائِرٌ يَطيرُ   ما أعْصَفَ الرِّياحْ
في يَوْمِنا المَطيرِ   بَكى الغَمامُ ... ناحْ
□□□□
والماءُ كَمْ تَرَكْ   في الأرْضِ مِنْ بِرَكْ
وَهكَذا المَطَرْ   في حَيِّنا قَطَرْ

٦ - الأوطان : وتناول فيها الشاعر الوطن الصغير : (المغرب) والوطن الكبير : العالم العربي ومنها قطعة (احب قريتي) :

أُحِبُّ قَرْيَتي
لِلَّهِ كَمْ طابَتْ هَواً وَماء   يُحَبِّبانِ الأرْضَ والسَّماء
أنْشُدُ في أكْنافِها الرواء   وَأتَمَلّى البِشْرَ والضِّياء
□□□□
أُحِبُّ قَرْيَتي
أهْوى بها دخانَها إذْ يَرْتَعِشْ   واللَّيْلُ مُزْمِعُ الوَداعِ أغْبَشْ
وَذلِكَ القَطيعُ وَهْوَ عَطِشْ   خَفَّ إلى غَديرِها يَنْتَعِشْ
□□□□
أُحِبُّ قَرْيَتي
وَقَدْ عَلا الذُّرا اللَّقْلاقْ   وَالنَّهْرُ سَيْلُ حَوْلَها رَقْراقْ
وَمِلْؤُها خَيْرُ صَدىً يُشْتاقْ   حَتّى جَناحُ بَطِّها خَفّاقْ

٧ ـ الثقافــة العامــة : ومنها هذه القطعة (صديقي في حديث بين طفل والبرتقال وهو يتناول عصيره) :

صَـديـقـيَ البُرتُقالُ ضَحِـكَ لـي وَقـالْ :
حُلْـوٌ أنـا ، عَسَـلْ
ذُقْـني وَلا تَسَـلْ
نـاهيـكَ إذْ أصيـرْ أنـا لَـكَ عَصيـرْ

والانتباه لمخاطر الطريق في قطعة (الاضواء الثلاثة) :

ماذا يَقُولُ الأحْمَرُ ؟ يقـولُ : هـا هُنا قِفـوا
ماذا يقولُ الأخْضَرُ ؟ : يـا واقفيـنَ ، اسْتَأنِفـوا
ماذا يقـولُ الأصْفَرُ ؟ : يـا مُسْرِعيـنَ ، خَفِّفـوا

والأشغال المنزلية في قطعة (جدتي) ، والصناعات التقليدية في قطعة (ابي) ، والحكم والحكام في قطعة (الحب الصادق) .. وهذه بعض النماذج المتعلقة بالشعر الديني :

نمـــاذج من الشعــر الديني

اول مقطوعة يجدها ابن خمس سنوات في هذه الدواوين هي مقطوعة (مؤمن) :

أنَـا بـاللّـهِ أبَـداً مُـؤْمِـنٌ وَبِـإسْـلامـي دَوْمـاً مُـوقِـنٌ
هُـوَ مـا أُخْفـي هُـوَ مـا أُعْلِـنُ

ومعها صورة طفل انيق في بيت انيق وهو مستقبل القبْلة على سجادة مزخرفة يؤدي إحدى الصلوات ثم مقطوعة (دعــاء) :

يـا رَبِّ إلَيْـكَ تَـوَجَّهْنـا يـا رَبِّ عَلَيْـكَ تَـوَكَّلْنـا
أنْتَ الـهـادي ، يـارَبِّ ، لَنـا السّـالِكُ سُبُلَ الخَيْـرِ بِنـا

وهي مزينة بصورة لطفل رافعاً يده في صحراء ممتدة ، إلى السماء وقت الغروب . ثم مقطوعة (لك حبي) :

لَـكَ حُبِّـي يـا مُحَمَّـدْ بِـكَ ـ بَـعْـدَ اللّـهِ ـ أشْـهَـدْ
وَبِحُبِّـي لَـكَ أحْيـا وَبِـهِ أهْنـا وَأسْـعَـدْ

وهي مزينة بصورة للمسجد النبوي الشريف وبداخله طفل بجلباب ابيض يقرا النشيد . ثم مقطوعة (المؤذن) :

مِـنْ فَـوْقِ أعْلا المِئْذَنَـةْ وَالنَّـاسُ طُـرّاً فـي سِنَـةْ
وَالصُّبْـحُ يَمْحـو اللَّيْـلا بِنُـورِهِ فَيَبْلـى
شَـقَّ الـدُّجـى دُعـاءٌ رَدَّدَهُ الفَضـاءُ
حَـيَّ عَلـى الفَـلاحِ وَالـرّازِقِ الفَتّـاحِ
فَلَفَّنـي خُشـوعٌ وَفاضَـتِ الـدُّمـوعُ
وَقُمْـتُ لِلصَّـلاةِ مُسْتَنْكِـراً سُـبـاتـي
أسْـألُ رَبّـاً أوْحَـدا هِـدايَـةً وَرَشَـدا

وقد زينت المقطوعة بصورة لمؤذن يرفع صوته بالاذان من مئذنة مسجد .

ثم مقطوعة (سبحان الخالق) :

انْشُـرْ أنْـوارَكَ يـا صُبْـحُ واجْـلُ الظُّلْمَـةَ عَنّـا وامْـحُ
وَدَعِ الكَـوْنَ الهـاجِـعَ يَصْحُـو سُبْحـانَ الخـالِـقِ يـا صُبْـحُ

□□□□

يـا شَمْسُ تَـعـالَـيْ يـا شَمْسُ دُنْيـانـا مِـنْ دُونِـكِ رَمْسُ
صُـمٌّ نَحْـنُ فيـهـا خُـرْسُ سُبْحـانَ الخـالِـقِ يـا شَمْسُ

□□□□

يـا بَـدْرُ سَئِمْنـا الدَّيْجـورا لَسْنـا عُمْيـاً لَسْنـا عُـورا
فَلْتَمْـلا أعْيُنَنـا نـورا سُبْحـانَ الخـالِـقِ يـا بَـدْرُ

يـا نَجْـمُ تَبـارَكْـتَ أنيسـاً تَـرْعـى سُمّـاراً وَجَليسـا
بِئْسَ اللَّيْـلُ بِـدُونِـكَ بيسـا سُبْحـانَ الخـالِـقِ يـا نَجْـمُ

□□□□

ثم قطعــة (لك نُسُكي) وهذه بعض ابيات منها :

رَبِّ إيّـاكَ عَبَـدْنـا وَسَـمِـعْـنـا وَأطَـعْـنـا
وَبِنَجْــواكَ هَتَفْنـا وَاسْتَـعَـذْنـا واسْتَـعَـنّـا
وَلَـكَ الحُــبُّ مَحَضْنــا

ومن ذلك مقطوعة (انت الله) ، و (مــن ؟) و (ادع بما تؤمر) ، وكم تمنيت ان لو كان الوقت مناسباً فاعطيت نماذج اكثر واضفت إلى كل انموذج وصفاً للصورة التي تكون إلى جانبه لتكمل الرؤيا ويتم الوصف .

وتجدر الإشارة إلى ان مؤلف هذه السلسلة هو ناظم ملحمة (المعركة الكبرى) التي تفوق عدد ابياتها الالفين والحائزة على جائزة المغرب العربي للآداب لسنة ١٩٨١م . ومن جميل الاقدار ان في عدد « الأمة » المذكور نفسه مقالاً للأستاذ انور عبد العزيز المحمودي حول المعركة المذكورة بعنوان : « صفحات مطوية من تاريخ الحروب الصليبية » (معركة القصر الكبير) . والمظنون ان الكاتب لم يطلع على هذا المؤلف لانه لم يشر إليه ، مما يدل دلالة اخرى على شلل الإعلام العربي ؟

هــذا ، وبما اني قد اقتصرت على المقطوعات الخاصة بالأطفال الصغار ، في جل النماذج التي اتيت بها ـ فإني رايت ـ إتماماً للفائدة ، ان اختتم ما بقي من الفراغ في هذه الصفحة الأخيرة بمقطوعة من النوع المخصص للأطفال الكبار مثل : (انت ... انت الله) :

إذا مـا حـاقَ بي مَكْـرٌ شَـديـدٌ فَـزِعْـتُ لِـهَـوْلِـهِ القَلْـبُ الجَـهـيـدُ
أقـولُ : العَـوْنَ يـارَبِّي أُريـدُ فَـلا كَـرْبٌ لَـهُ قَلْبـي يَميـدُ

□□□□

ألَسْتَ اللّـهَ بـاري الكَـوْنِ أنتـا لَـكَ انْتَهَتِ العُلى ذاتـاً ونَعْتـا
فَمَنْ فيـكَ افْتَرى عِـوَجاً وَأمْتـا فَـأنْـتَ اللّـهُ أنْـتَ اللّـهُ أنتـا

□□□□

هَبـاءً كُنْتُ ، بَـلْ وَغَـداً هَبـاءْ أعُـودُ كَمـا قَضـاؤُكَ فـيَّ شـاءْ
إلَيْـكَ انـا نُـزولاً وارْتِقـاءْ وَمِنْـكَ أنـا ابْتِـداءً وارْتِقـاءْ

□□□□

أرانـي فيـكَ وِجْـدانـاً وَعَقْـلا اذوبُ هَـوىً ، وَكاسْمِكَ لَيْسَ أحْلى
وَلَـوْلا وَمْضُ عَطْفٍ مِنْـكَ لَـوْلا لَنُـؤْتَ بِمـا عَلـى كَتِفَـيَّ حِمْـلا

□□□□

إلى آخر المقطوعــة ، وهذه ابيات من مقطوعة (مـن و ... ؟) :

مَنْ رَصَّعَ الفَضـاءَ بـالبُـدورِ ؟ مَنْ جَعَلَ الشَّمْسَ مَعينَ النُّورِ ؟
مَنْ قـالَ لِـلأرْضِ عَلَيْهـا دوري ؟ ألَيْسَ صُنْـعَ مُبْـدِعِ الأمـورِ ؟

□□□□

مَنْ رَفَـعَ السَّمـا بِغَيْـرِ عَمَـدِ ؟ مَنْ بَثَّ فيهـا النَّجْمَ دُونَ عَـدَدِ ؟
مَنْ سَحَّ مِنها الرِّزْقَ دون مَدَدِ ؟ ألَيْسَ ذا صُنْـعَ الوَحيـدِ الأحَدِ ؟

□□□□

مَنْ عَلَّمَ النَّحْلَـةَ صُنْعَ العَسَـلِ ؟ مَنْ ألْهَمَ النَّمْلَـةَ حُبَّ العَمَـلِ ؟
مَنْ زانَ بـالصَّبْرِ طِبـاعَ الجَمَلِ ؟ ألَيْسَ ذا صُنْـعَ القَديـرِ الأكْمَلِ ؟

□□□□

مَنْ كَـوَّرَ اللَّيْـلَ علـى النَّهـارِ ؟ مَنْ فَجَّـرَ المِيـاهَ في الأنْهـارِ ؟
مَنْ أوْدَعَ العُطُـورَ في الأزْهـارِ ؟ ألَيْسَ ذا صُنْـعَ الإلـهِ البـاري ؟

إلى آخــر المقطوعــة .

استطلاع

من كتاتيب «ابن باديس»

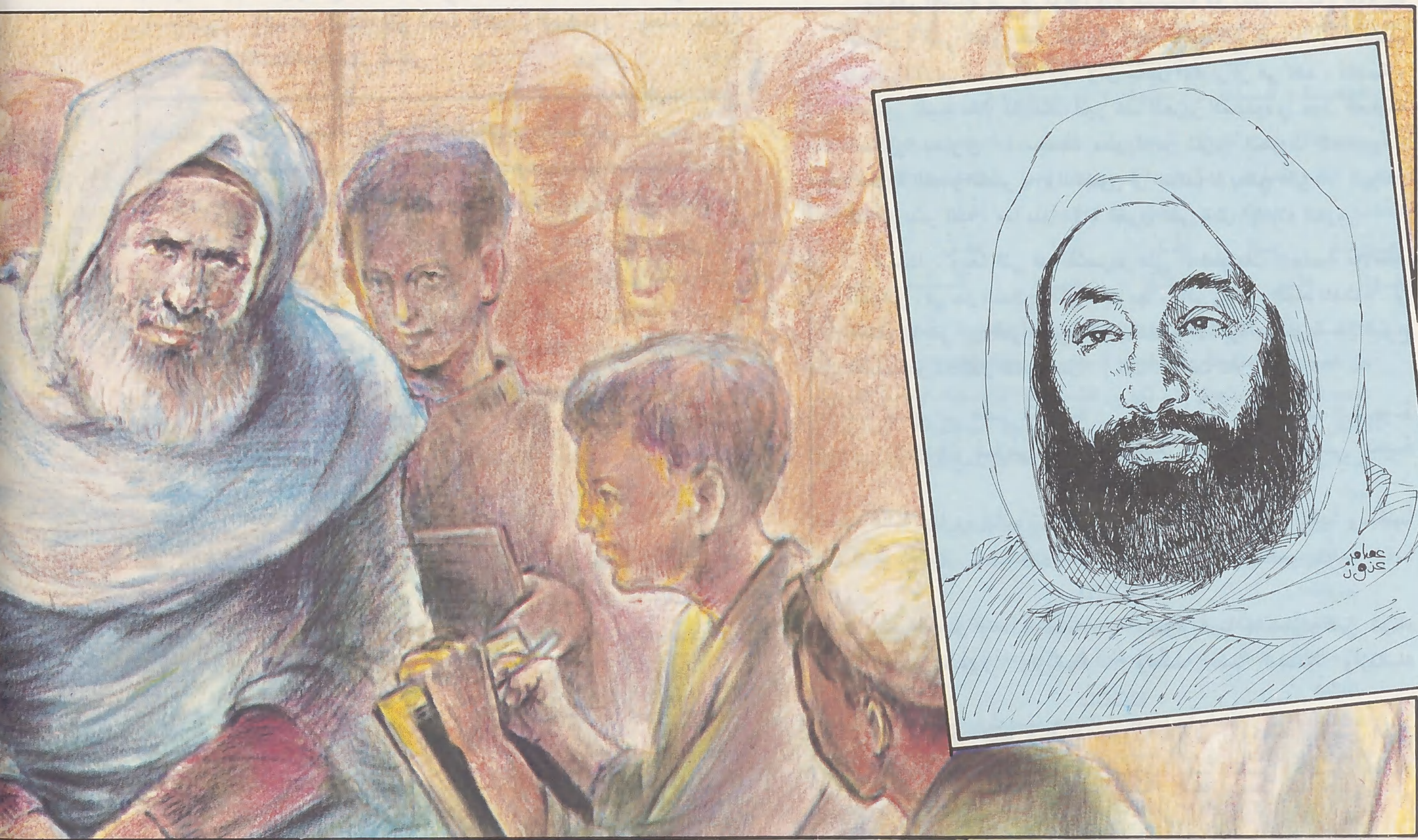

■■ عندما كانت قوات الاحتلال الفرنسي تهم في سنة ١٨٣٠م باحتلال الجزائر ، كانت الصور الذهنية التي تتحكم في هذا الاحتلال أن الجزائر أرض فرنسية وجزء من العالم الغربي اقتطعه العرب عنوة في فترة الفتوحات الإسلامية ، وأنها الركيزة التي يمكن أن تعتمد عليها الامبراطورية الفرنسية في استمرار هيمنتها على شعوب المنطقة ..

ولم تكن قوات الاحتلال التي كانت تعمل منذ يومها الأول على الاستيطان والإقامة الدائمة بأرض الجزائر ، تضع في حسبانها أنها ستواجه بمقاومة عنيفة ورفض مطلق وشعب يمتاز عن غيره من شعوب البلاد المستعمرة بشخصية قوية صلدة تستمد مقوماتها من العقيدة الإسلامية والحضارة العربية ومن عادات وتقاليد نابعة من روح هذه العقيدة وتلك الحضارة ■■

■ كان الاحتلال الفرنسي بالنسبة للشعب الجزائري يمثل حلقة جديدة في حلقات الصليبية .

الى جامعة «الأمير عبد القادر» الإسلامية

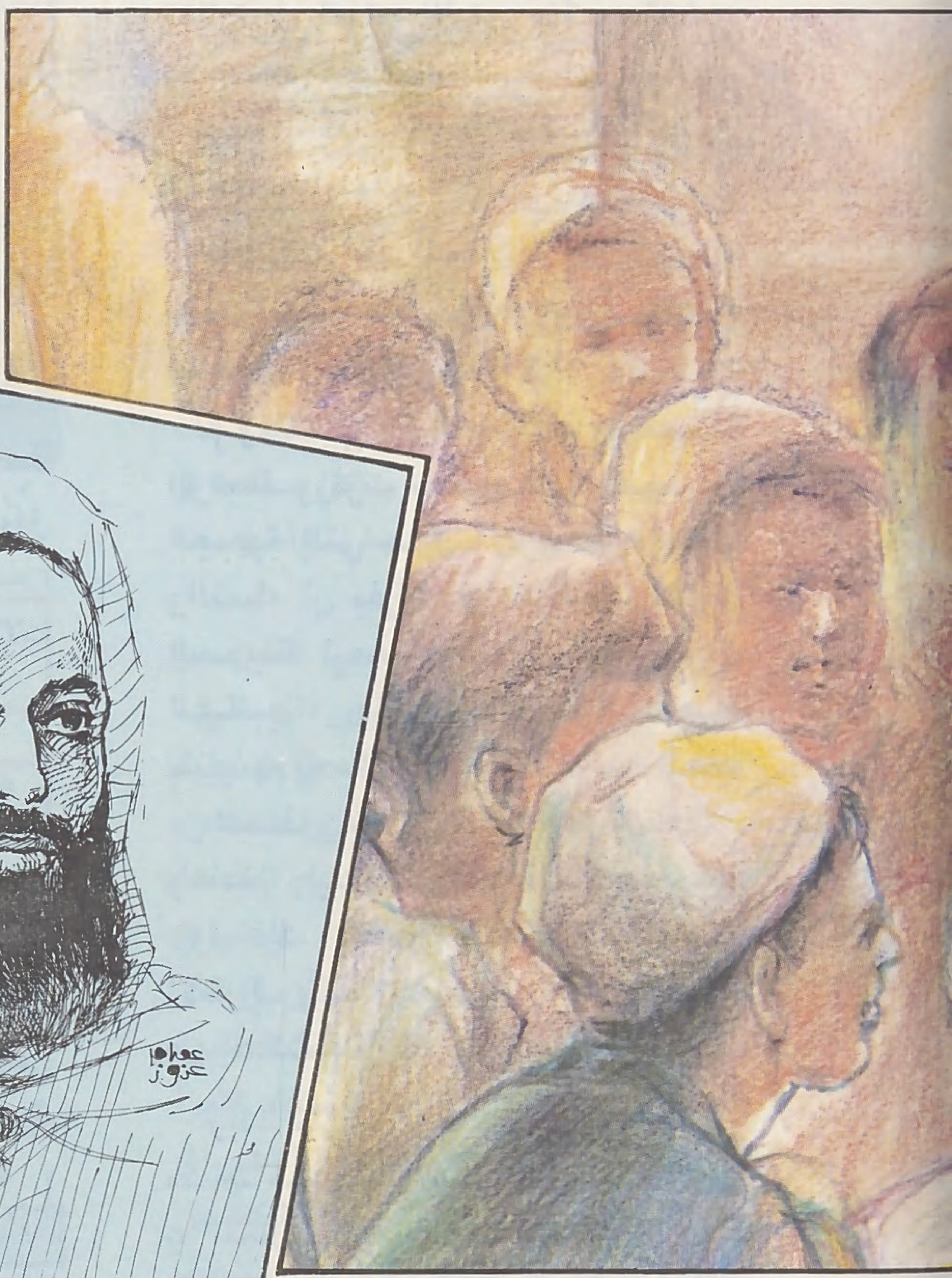

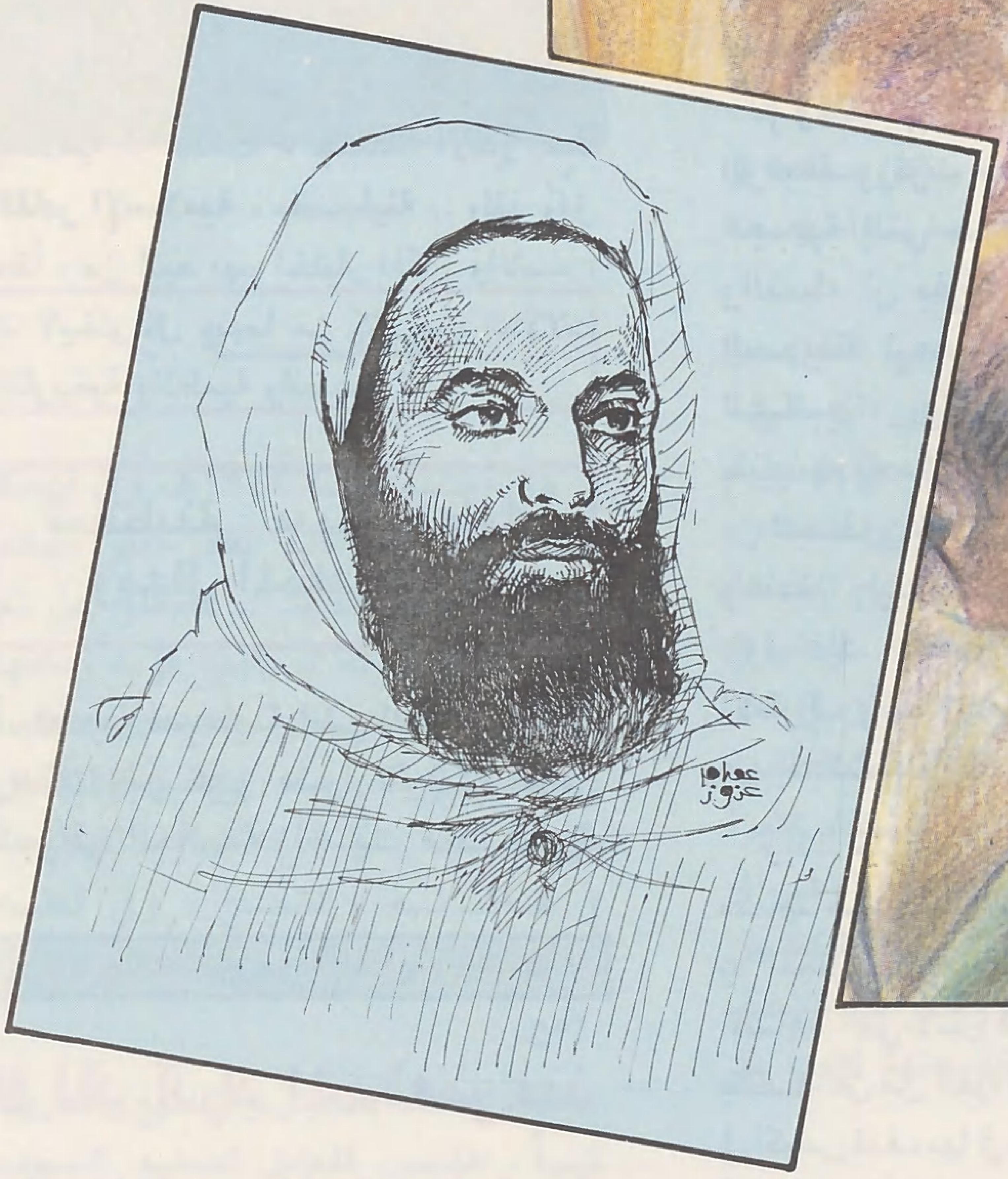

حرب صليبية ..

ولعل في الرائحة الصليبية التي كانت تنبعث من قوات الاحتلال عندما وطئت أقدامها أرض الجزائر ، يكمن السبب الجوهري في انتظام شعب الجزائر المسلم كله في حركة مقاومة لم يعرف لها التاريخ المعاصر مثيلاً ..

لقد كان الاحتلال الفرنسي بالنسبة للشعب الجزائري يمثل حلقة جديدة من حلقات الحروب الصليبية .. ولم تكن المواجهة بالنسبة إليه مواجهة بين عربي وفرنسي وإنما هي مواجهة بين المعتقدات الإسلامية من جهة والمعتقدات الصليبية من جهة أخرى .. ولذلك فإن « الأمير عبد القادر » رحمه الله لم يكن - كما .. قال عنه عنهم أحد المحتلين - يريد أن يترك

الضمائر والمعتقدات الإسلامية تحت تصرف سلطة صليبية ..

لقد أكدت تصريحات كثير من القادة العسكريين حقيقة النوايا الصليبية للاحتلال .. فقد كتب الماريشال المعروف « بيجو » سكرتير القائد العسكري لجيش الاحتلال ، يقول :

[إنّ أيام الإسلام في الجزائر أصبحت معدودة .. إن مدينة الجزائر لن يكون لها بعد عشرين سنة من إله إلاّ المسيح ... وإذا كان هناك من يشك بعد في بقاء هذه الأرض ضمن الملكية الفرنسية ، فمن البديهي أنّ الإسلام قد خسرها ... إنّ العرب لن يكونوا لفرنسا إلاّ عندما يصبحون نصرانيين] ...

ولذلك لم يكن أمراً مثيراً للدهشة أن يضع الكونت « دوبورمون » القائد العام لجيش الاحتلال ، الصليب في (سنة ١٨٣٠م) على جامع كتشاوة - إيذاناً بتحويله إلى كاتدرائية - في الوقت نفسه الذي رفع فيه العلم الفرنسي على دار الحكومة في الجزائر العاصمة ..

لقد أدرك المستعمر منذ اللحظات الأولى خطورة الدور الذي تؤديه المساجد والزوايا وما في حكمها في تغذية الشخصية العربية الإسلامية وتوجيه حركة المقاومة .. فلم تكن المساجد والزوايا دوراً لأداء الشعائر فحسب وإنما كانت كذلك دوراً للتعليم والتربية

من كتاتيب «ابن باديس» إلى جامعة «الأمير عبد القادر» الإسلامية

استطلاع

وإعداد الرجال المصلحين المجاهدين .. ولذلك كانت غضبته عليها ، فهدّم منها الكثير وحوّل معظم ماتبقى إلى كنائس وكاتدرائيات ..

محاصـرة الكتاتيب ..

وكان من الطبيعي أن يمتد السعار الاستعماري والحقد الصليبي إلى كتاتيب القرآن ومعاهد التعليم الإسلامي ، تلك المحاضن التي ربت القادة والعلماء والمجاهدين وساهمت بصورة أساسية في تكون وبناء الشخصية العربية الإسلامية للجزائري .. فحوصرت وضُيِّقَ عليها ، **وأخضع تعليم القرآن منذ سنة ١٨٥٢م لرقابة شديدة من قبل السلطات الاستعمارية فلم يعد مسموحاً بتعليم القرآن إلّا بعد الحصول على ترخيص بذلك من السلطات ، وهي نادراً ما كانت توافق على منح الإذن .. كما تم الاستيلاء على الأوقاف التي كان يخصص ريعها للكتاتيب وطلبة العلم ، فنضب بذلك أهم مورد مادي للمؤسسات التعليمية ..**

وبالرغم من ذلك ، لم تتوقف كتاتيب القرآن عن أداء رسالتها ، فقط غيرت مواقعها وهاجرت إلى شعب الجبال والمرتفعات حيث يصعب على المستعمر الوصول إليها والحيلولة دون عملية التواصل الحضاري والإعداد السوي لرجال الجهاد ..

المؤسسات البديلة ..

ومن خلال عمليات هدم وتدمير المؤسسات العربية الإسلامية ، كان المستعمر يعمل على إحلال مؤسسات بديلة وتنفيذ عدد من المشروعات التي ترمي جميعاً إلى إعادة صياغة الشخصية العربية الإسلامية للجزائري ، مما قد يسهل معه اخضاع هذه الشخصية وإسلاس قيادها ..

ولم تكن مشروعات الفرنسة والتجنيس بأقل خطراً من أكبر مشروع كنسي يهدف لتنصير شعب بأكمله . وإن كان نصيبها جميعاً الفشل والسقوط .. **وكثير من الفضل في ذلك يرجع إلى جمعية العلماء التي أصدرت سنة ١٩٣٨م فتوى قضت فيها بأن « المتجنس مرتد عن الإسلام » ..**

المعاهد والجامعات ..

قد يقتضي الأمر شيئاً من المعاصرة .. فإذا كانت كتائب الجهاد وقوافل الشهداء قد انطلقت بالأمس من كتاتيب القرآن والزوايا فإنها اليوم تنطلق من المعاهد والجامعات ..

ومن هنا ، جاءت فكرة إنشاء جامعة إسلامية .. فكانت « **جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية** » بقسنطينة .. ولقد وُفِّقَ حقاً ، من أنيط بهم اختيار المكان والاسم ، إذ لايخلو كل منهما من كثير من الدلالات التاريخية والعلمية والنفسية ..

قسنطينة : مدينة العلماء ومعقل المجاهدين ...

فمدينة قسنطينة التي تبعد أربعمائة وستة عشر كيلو متراً تقريباً شرقي الجزائر العاصمة ، كانت ذات شهرة علمية تعليمية تضاهي شهرة تونس والقاهرة .. وماذكرت قسنطينة إلا وذكر مؤسس جمعية العلماء الشيخ « عبد الحميد بن باديس » رحمه الله وأقرانه الذين قادوا كتائب الجهاد وتقدموا قوافل الشهداء .. ومن يزور قسنطينة ويشاهد جسورها المعلقة وجبالها الشاهقة وأخاديدها الغائرة في أعماق الأرض يذكر بالفخر مجاهدات رجالها وتضحيات نسائها وأطفالها .. كما يذكر بالألم قسوة المحتلين وما فعلوه بأهلها ..

لقد كتب أحد المحتلين ـ وهو بوجولا ـ يصف بعض مشاهداته لعملية اقتحام قسنطينة واحتلالها (سنة ١٨٣٧م) :

[وقفت بإزاء هذه الفجاج العميقة الرهيبة وركزت بصري على المنحدرات الصعبة التي حاول الألوف من الرجال والنساء أن يفروا عن طريقها ، فالهوة السحيقة أرحم عندهم من الفرنسيين الغالبين .. وقد استعانوا للنجاة بأنفسهم بحبال ربطوها بالنتوءات العليا من الصخور ، إلّا أن تلك الحبال تقطعت . وعندئذٍ رأينا كتلاً بشرية تتدحرج على طول ذلك الجدار الصخري المترامي الأطراف وتتشكل في أسفل الوادي أكواماً من الجثث] .!

وإذا كان ـ بوجولا ـ قد تحدث عن مشاهد محدودة لما أصاب أهل قسنطينة على يد المحتل ، إلا أنه لم يتحدث عن كثير من المشاهد التي لاتقل فظاعة وقسوة .. فهو لم يتحدث عن من ألقوا من الطائرات أو حشوا في أكياس قذف بها في البحر أو دفنوا أحياء في آبار غطيت بالجبس ، أو حصدوا بالمدافع والرشاشات .. وستبقى الجسور المعلقة التي كانت منصات لإلقاء المجاهدين من فوقها إلى الأودية السحيقة ، شاهد إدانة على مر الزمن على فظائع الاحتلال الفرنسي في قسنطينة .

لقد كانت قسنطينة معقل المجاهدين ومحضن العلماء والمفكرين . ولذلك فإن اختيارها موقعاً لأول جامعة إسلامية في

■ **لقد أدرك المستعمر منذ اللحظات الأولى خطورة الدور الذي تؤديه المساجد والكتاتيب في عملية التحرير .. فصب غضبه عليها .**

■ أصدرت جمعية العلماء الجزائريين فتوىٰ ... فتوىٰ تعتبر أن « المتجنس مرتد عن الإسلام » .

الجزائر يعني الكثير بالنسبة لرجال المستقبل الذين سيتخرجون فيها ..

الأمير عبد القادر معلمة لابد من معرفتها

لاشك أن من اختاروا اسم « **الأمير عبد القادر** » ليكون علماً للجامعة الإسلامية ، كانوا موفقين . ذلك أن الاسم يحكي قصة « العلم والجهاد » اللذين التقيا على أرض الجزائر وتجسدا بقدر كبير في شخصية الأمير المجاهد .

والمتتبع لتاريخنا الإسلامي يدرك أن هذا اللقاء يعتبر أصدق مظهر لجدية الجهاد .. إذ لم يعرف على مدى هذا التاريخ أن تخلف العلم يوماً عن الجهاد .. ومامن مجاهد في سبيل الله إلا وكان عالماً ، عارفاً بأمور دينه ودنياه .. وهكذا كان الأمير ..

ولد عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى بن المختار الإدريسي الحسني ، الملقب بـ « ناصر الدين » في قرية « القيطنة » الواقعة على وادي الحمام ، غربي مدينة « معسكر » في يوم الجمعة ٢٣ رجب ١٢٢٢هـ (١٨٠٧م) .. ونشأ في بيت علم ودين .. فحفظ القرآن في سن مبكرة ، ثم اتجه لدراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية .. ولقد استفاد كثيراً من رحلته مع والده سنة ١٢٤١هـ إلى الأراضي المقدسة حيث زار خلالها كلًّا من تونس ومصر ثم الشام والعراق ، فاتصل بعلمائها وفقهائها وأخذ عنهم كثيراً من العلوم والمعارف ..

كان « عبد القادر » ولوعاً بالقراءة ، حريصاً على المعرفة ، محباً للكتب .. كما كان شغوفاً بالصيد وركوب الخيل .. وكان شجاعاً فخوراً بشجاعته التي يعبر عنها في قصيدته « **بي يحتمي جيشي** » :

ومن عادة السادات بالجيش تحتمي
وبي يحتمي جيشي وتُحرسُ أبطالي
وبي تتَّقي يوم الطعان فوارس
تخالينهم في الحرب أمثال أشبال

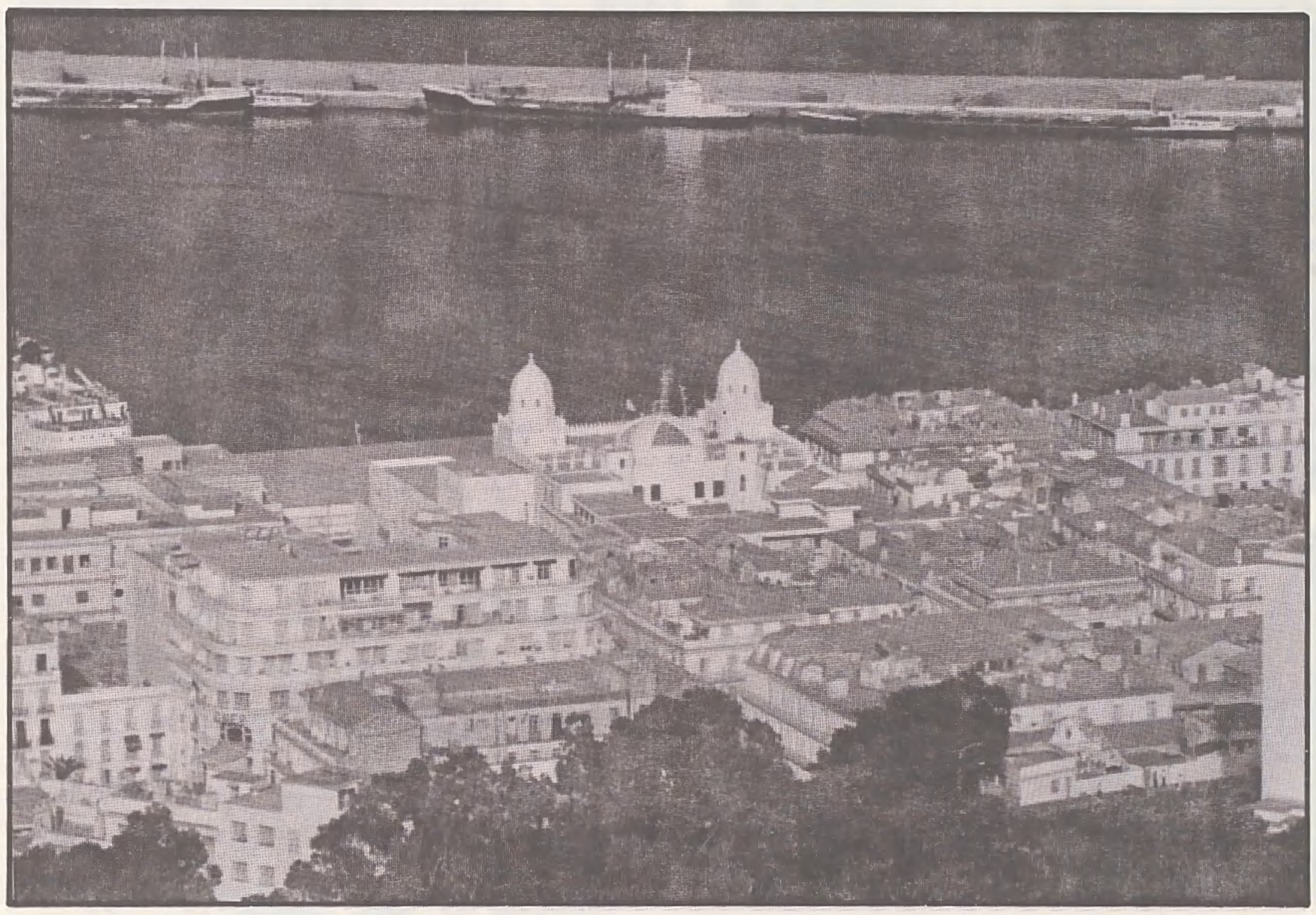

■ منظر عام ـ الجزائر العاصمة ■

البيعـــة ..

وفي رمضان سنة ١٢٤٨هـ وفي مدينة « معسكر » بويع عبد القادر أميراً للبلاد وقائداً لحركة الجهاد .. فانطلق من ثم يرسي دعائم دولة إسلامية قوية يمكنها الثبات أمام الاحتلال .. فيشكل مجلساً وزارياً وآخر شورياً .. وقسم دولته إلى ولايات وجعل لها هيكلًا إدارياً تصاعدياً في قاعدته « الشيخ » وفي قمته « الخليفة » وهو المسؤول مباشرة لدى الأمير ..

كان اهتمامه بالجيش والتسليح والتدريب كبيراً ، فأسس المعامل لصنع السيوف والبنادق والمدافع والقذائف ، واستجلب من الخارج مدربين أكفاء لتدريب جنده .. وقد استطاع بجيشه ذلك والذي لم يكن يتجاوز في ـ عز قوته ـ خمسة عشر ألفاً أن يخوض على مدى ستة عشر عاماً حرباً ضروساً وغير متكافئة من حيث العدد والعدة ، مع محتل يزيد عدد جنوده عن تسعين ألفاً مزودين بأحدث الأسلحة ومدعومين بكل امكانات وخبرات قوات أوروبا يومذاك ..

كان « الأمير عبد القادر » عبقرية عسكرية فذة ، اعترف له بذلك أعداؤه المحتلون .. إلا أن تكوينه السليم المتزن لم يكن ليقف برجل دولة مثله عند حدود الاهتمامات العسكرية .. لقد أدرك منذ وقت مبكر ضرورة التقاء « العلم والجهاد » ، وأن الأمة المجاهدة ينبغي أن تكون على قدر من العلم والمعرفة ، وهذا ما يدفعه لأن يفرض على كل « دوّار » وحي أن يكون به معلم ..

سنـــوات الأسر ..

وبعد سنوات عامرة بالجهاد . تمكنت قوات الاحتلال سنة ١٢٦٤هـ من القاء القبض عليه وارساله من ثم إلى فرنسا حيث بقي أسيراً في سجونها لخمس سنين ..

أطلق سراحه سنة ١٢٦٩هـ (١٨٥٣م) ، فاتجه إلى « استانبول » عاصمة الدولة العثمانية .. واختار مدينة دمشق داراً لإقامته إلى أن توفاه الله تعالى يوم الجمعة ١٩ رجب سنة ١٣٠٠هـ (سنة ١٨٨٣م) ، عن عمر يناهز الستة والسبعين عاماً أفناها في نيل رضى ربه ...

وفي ٤ تموز (يوليو) سنة ١٩٦٦م نقل رفاته إلى الجزائر ، رحمة الله عليه ..

معهد العلوم الإسلامية

في حوار مع الدكتور عمار الطالبي

يعتبر معهد العلوم الإسلامية ، بجامعة الجزائر ، إحدى الحلقات الأكاديمية التي تربط بين كتاتيب « **ابن باديس** » وجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية .. وقد كان ملتقى الفكر الإسلامي الثامن عشر الذي عقد بالجزائر في الفترة من ١٠ إلى ١٦ شوال ١٤٠٤هـ (١١ ـ ٧ تموز (يوليو) ١٩٨٤م) فرصة سانحة لزيارة المعهد ومحاورة مديره **الدكتور عمّار جمعي طالبي** ، حول أقسام المعهد وبرامجه وخططه الدراسية وسياسة قبول الطلاب ومشكلة توفير الأساتذة إلى غير ذلك من القضايا التي نعتقد بأنها ستساعد في التعريف بالمعهد كمؤسسة تعليمية إسلامية يُرجى منها كثيراً ..

يقول : **الدكتور عمّار في تعريفه للمعهد** :

ـ يتبع « معهد العلوم الإسلامية » الذي أنشىء منذ سنتين لجامعة الجزائر إلا أنه يعتبر كلية مستقلة كغيره من المعاهد والكليات .. وينقسم إلى قسمين : قسم أصول الدين وقسم الشريعة .. وتمتد فترة الدراسة لأربع سنوات يمنح الطالب في نهايتها شهادة « الليسانس » .. وتكون الدراسة في السنتين الأولى والثانية دراسة مشتركة بمعنى أن طلاب أصول الدين يدرسون المواد ذاتها التي يدرسها طالب الشريعة .. ومن الثالثة يتلقى طلاب كل قسم مواداً أكثر تخصصاً ..

ويبلغ عدد طلاب المعهد حالياً ٣١٨ طالباً ، ومن المقرر أن نقبل هذا العام حوالي ٢٠٠ طالب ، ويتحدد عدد الطلاب المقبولين وفقاً لامكاناتنا من حيث الأساتذة المؤهلين وقاعات الدراسة .. وطلابنا هم عادة من الحاصلين على شهادة الثانوية العامة ..

■ **ألا تعتقد بأن طالب الثانوية العامة يكون دون المستوى الذي يؤهله للانتقال مباشرة لدراسة المواد الشرعية المتخصصة ؟**

ـ بلى .. ولتلافي هذا الأمر فإننا نجري للطلاب اختباراً عند التسجيل وقبل القبول ، إذ لانكتفي فقط بالعلامات أو الدرجات التي يحصلون عليها في الثانوية العامة .

ومن ناحية أخرى ، فإن الدراسة في السنة الأولى تركز بشكل كبير جداً على المعلومات الأساسية التي لابد منها والتي يمكن ان تشكل مدخلاً لدراسة المواد الشرعية المتخصصة ..

لكن هناك خطوة هامة اتخذت في وزارة التعليم ونحن نُعَوِّل عليها كثيراً .. فقد تأسست في المدارس الثانوية شعبة متخصصة تسمى الشعبة الإسلامية حيث

■ الدكتور عمار طالبي : مدير معهد العلوم الإسلامية ■

■ المرأة المسلمة تاخذ مكانها في مؤسسات التعليم العالي في الجزائر ■

■ المدخـــل الرئيس للجامعـــة ■

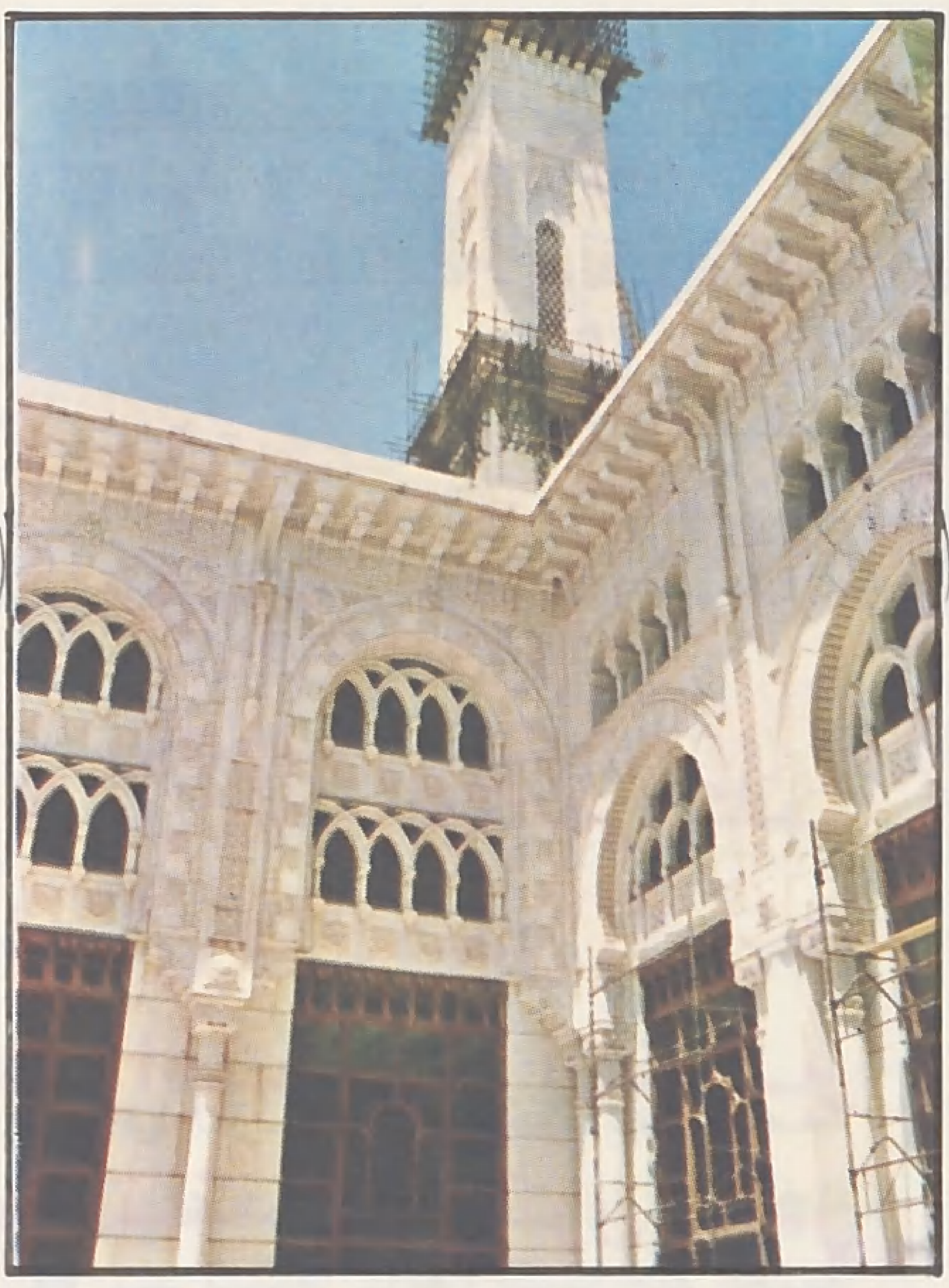

■ فــن العمـــارة الإسلاميـــة ■

■ إن اختيار اسم الأمير عبد القادر رحمه الله ليكون علماً للجامعة الإسلامية يحكي قصة العلم والجهاد .. ويحمل الكثير من الدلالات الثقافية والحضارية .

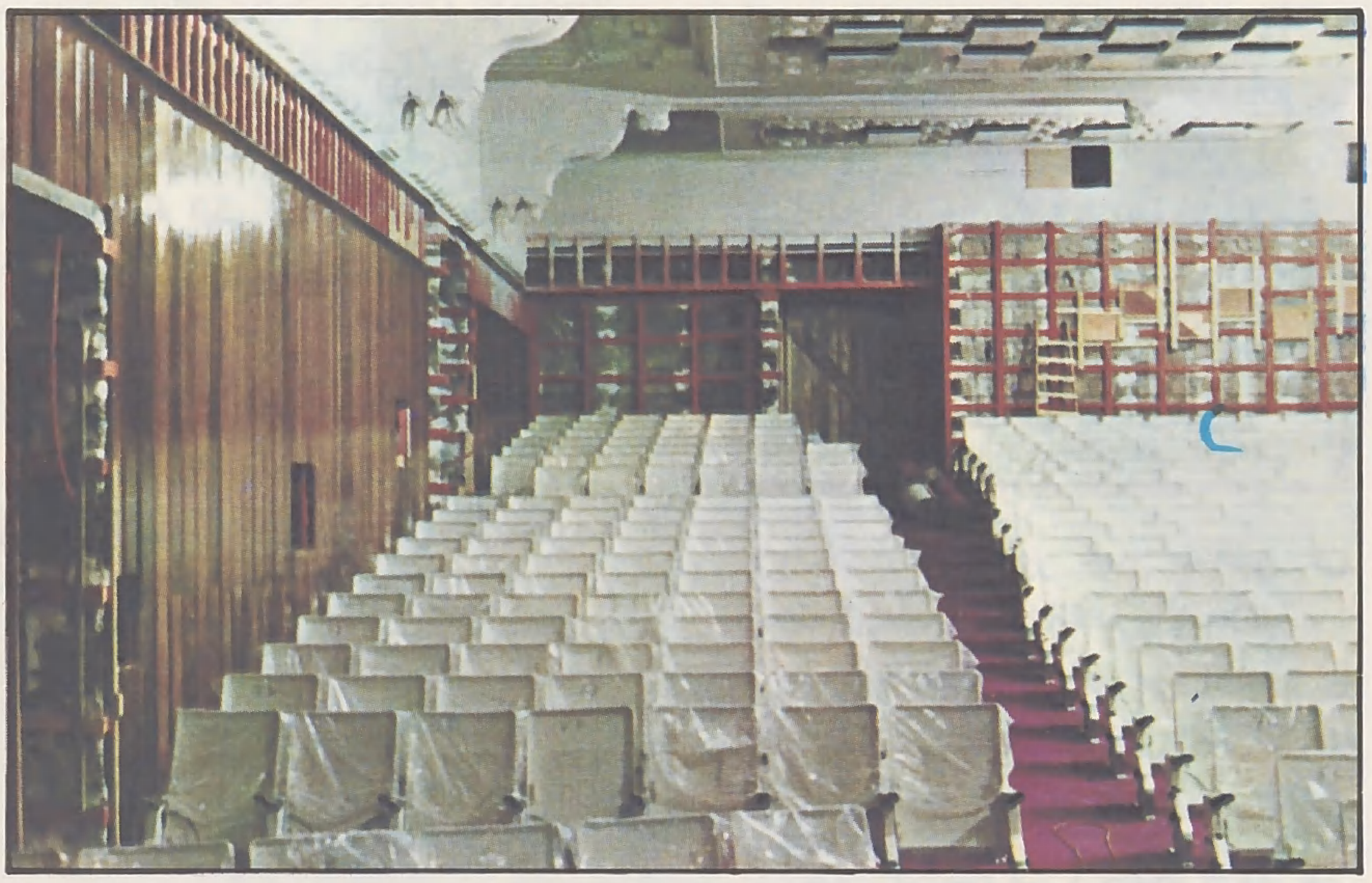

■ قاعــة المحاضــرات العــامــة (جــامعــة الأمير عبــد القــادر) ■

يدرس الطالب ، إلى جانب دراسته للمواد العلمية الأخرى التي يتلقاها زملاؤه في الصف ، مواداً إسلامية إضافية .. وتوجد هذه الشعبة ـ التي بدأ التخرج فيها العام الدراسي المنصرم ـ في ٦٢ مدرسة ثانوية وستعمم بعد أن أثبتت نجاحاً ووجدت قبولاً على بقية المدارس الثانوية في القطر كله . إن هذه الشعب ستكون دون شك الرافد والمورد الرئيس لمعاهدنا وجامعاتنا الإسلامية في المستقبل القريب ..

المنهج الدراسي ..

ويقول **الدكتور عمّار** عن المنهج الدراسي للمعهد :

ـ عندما أردنا أن نضع منهجاً دراسياً للمعهد ، درسنا المناهج المعمول بها في المعاهد والجامعات الإسلامية الأخرى .. ولقد وفقنا في وضع منهج يتفق في كثير من نواحيه مع مناهج المعاهد والجامعات الإسلامية في البلاد الشقيقة ..

فمن المواد التي اشتمل عليها المنهج : العقيدة ، علوم القرآن ، علوم الحديث ، الفقه حيث يدرس الفقه المالكي ، على اعتبار أنه المذهب الذي يجري بـه العمل في الجزائر ، في السنتين الأولى والثانية ، بينما يدرس الفقه المقارن في السنة الثالثة وحرصنا أن تكون مصادر ومراجع هذا المنهج ، من القديم والحديث ..

والعقبة الأساسية التي تواجه البرامج التي نضعها تتمثل بالنقص الذي نعانيه في جانب الأساتذة ..

■ أليس بالإمكان استدراك هذا الأمر عن طريق الاعارة والاستعانة بأساتذة من الجامعات الإسلامية الأخرى ، لاسيما وأن هناك جهات علمية كثيرة يمكن أن تعطي المعاهد الإسلامية في الجزائر قدراً أكبر من العناية لتأصيل الواقع اللغوي وتعميق التوجه الإسلامي الحالي ؟

ـ كان اعتمادنا بالدرجة الأولى على أنفسنا وعلى طاقاتنا المحلية ، إلا أن هذا لم يمنعنا من الاستعانة بإخوة لنا من خارج الجزائر .. ويشاركنا العبء الآن أساتذة من تونس وباكستان وتركيا وغيرها ..

لكن المشكلة التي تحول دون حصولنا على مزيد من الأساتذة هو أن المكافآت والمرتبات التي يمكن أن يتقاضاها الأستاذ في جامعات

من كتاتيب «ابن باديس» إلى جامعة «الأمير عبد القادر» الإسلامية

استطلاع

■ إن الجزائر التي كانت تعيش في الخندق الأول في مواجهة التنصير والاستعمار قد تكون الأقدر على فهم المخاطر التي تتهدد شعوب القارة الافريقية .. من هنا تأتي أهمية الدور الذي ينتظر جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية .

■ إحدى مكتبات جامعة الجزائر ■

البلاد العربية الغنية أكبر بكثير مما يمكن أن يتقاضاه في أي من جامعات الجزائر ..

وبالطبع فنحن لانستطيع أن نمنحه مثل ماتمنحه تلك الجامعات .

ولكن ، استدراكاً لهذا الأمر وانطلاقاً من اهتمامه الشخصي وحرصة الخاص على مسيرة العربية والإسلام في الجزائر ، أصدر السيد رئيس الجمهورية توجيهاً لوزير المالية بأن تخصص لأساتذة «جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية » مرتبات لاتقل عن تلك التي تمنح لاساتذة الجامعات في البلاد العربية الغنية الأخرى .

المرأة والمعهد

● **ماهو نصيب المرأة في المعهد ؟**

ـ للمرأة نصيب في المعهد .. وثلث الدارسين الآن هم من الطالبات وقد أثبتن من خلال الامتحانات والاختبارات تفوقاً على كثير من الطلاب ، خاصة وأنهن يتفرغن تفرغاً كاملاً للدراسة بينما هناك من الطلاب من يعمل إلى جانب الدراسة ..

■ **ماهو نصيب تدريس المواد الإسلامية واللغة العربية في المدارس الثانوية والابتدائية التي يمكن اعتبارها المصدر الأساسي للمعهد والجامعة الإسلامية ؟**

ـ نصيب اللغة العربية من الساعات الدراسية حوالي ٧ ساعات أسبوعياً .. أما المواد الإسلامية فبالنسبة للابتدائي والمتوسط هناك حصص مستقلة لمادة التربية الإسلامية .. وفي المرحلة الثانوية حيث لاتوجد حصص خاصة بمادة التربية الإسلامية ، يدرس الطلاب ، في إطار مادة اللغة العربية ، نصوصاً من القرآن الكريم والحديث الشريف ..

وقد صدر قرار هذا العام ينص على ضرورة إدخال مادة التربية الإسلامية إلى جميع مؤسسات التعليم والتكوين المهني .. وكونت لجنة في إطار المجلس الأعلى للشبيبة لإعداد البرامج الكفيلة بتنفيذ القرار .. كما تأسست لجنة في وزارة التربية والتعليم لوضع منهج مادة التربية الإسلامية في المدارس الثانوية بحيث يمكن تعميمه على الشعب المختلفة (العلوم ، الرياضيات ، الأدب) ولايقتصر على الشعبة الإسلامية ..

وفي مؤسسات التعليم العالي ، سيتم ـ ابتداءً من هذا العام الدراسي إذا توفرت الإمكانات ـ إدخال مادة الثقافة الإسلامية .

جامعة الأمير عبد القادر الأهـــداف والغايات

وتحدث **الدكتور عمّار طالبي** عن « جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية » ، أهدافها وكلياتها .. وذلك على اعتبار أن معهد العلوم الإسلامية سيكون أحد الكليات الرئيسة التابعة للجامعة .. فقال :

الهدف الرئيس من « جامعة الأمير عبد القادر » ، أن تكون جامعة لتخريج علماء مسلمين ودعاة مصلحين يعملون على سد الثغرات والشروخ التي حدثت في المجتمع الجزائري إبان فترة الاحتلال الفرنسي .

وتأتي أهمية الجامعة من أنها لن تكون حكراً على الطلبة الجزائريين وإنما ستفتح أبوابها للطلاب من البلاد الإسلامية والأفريقية كافة ..

وستفتح أبوابها في مطلع العام الدراسي

■ جسر سيدي بشر (قسنطينة) ■

الحالي وكنا قد اقترحنا أن تضم الجامعة أربعة معاهد رئيسة على أن تكون موزعة على أكثر من مدينة ولاتبقى جميعها في قسنطينة .. والمعاهد المقترحة هي :

١ ـ أصول الدين ، على أن يكون في الجزائر العاصمة .

٢ ـ الشريعة ، وهذا يمكن أن يبقى في قسنطينة .

٣ ـ اللغة العربية والحضارة الإسلامية ، على أن يكون في مدينة وهران .

٤ ـ علوم القرآن والحديث ، على أن يكون في مدينة من مدن الجنوب ، مثل « بسكرا » ..

ولم يتخذ قرار إلى الآن بشأن هذه المقترحات .. إلا أن افتتاح الجامعة (المحرم سنة ١٤٠٥هـ) سيكون بمعهد وربما بمعهدين ، حسب الإمكانات .. وفي اعتقادنا أن البداية المتأنية خير من المستعجلة التي ينقصها الكثير ..

على أرض الجامعة ..

وأثناء زيارتنا لأرض الجامعة ، رأينا المهندسين والفنيين يصلون الليل بالنهار ، وقد توفرت الامكانات المطلوبة لديهم ، لإنجاز البناء وافتتاح الجامعة رسمياً في أول العام الدراسي الحالي ..

وزودت المباني ، التي روعي في تصميمها الأخذ بفنون العمارة والزخرفة الإسلامية ، بمتطلبات الجامعة الحديثة كلها من قاعات للمحاضرات والتدريس ومكتبات ومساكن للطلاب .. وإلى جانب قاعات العلم أسس مسجد كبير يتسع لحوالي خمسة عشر ألف مصل ، وفي ذلك مايشير إلى ادراك القائمين بالأمر لأهمية ربط طالب العلم بالجماهير المسلمة التي ستكون الحقل الطبيعي لنشاطه بعد التخرج ..

■ الساقي : مدينة قسنطينة ■

الدور الأفريقي ..

إن الجزائر التي كانت تعيش لأكثر من قرن ، في الخندق الأول في مواجهة التنصير والاستعمار ، قد تكون هي الأقدر ـ أكثر من غيرها ـ على فهم مخاطر التنصير والاستعمار الذي يتهدد شعوب القارة الأفريقية منذ وقت مبكر .. ومن هنا تاتي أهمية الدور الذي ينتظر « جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية » حين تفتح أبوابها للطلبة الأفارقة بشكل خاص .. ولاشك أن أثر ذلك سيكون كبيراً على طريق التمكين للإسلام والعربية في أفريقيا ..

وبعد :

فإن كنا نرجو لـ « **جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية** » أن تكون عند حسن ظن المسلمين بها ، وفية لتضحيات شعب قدم الكثير في سبيل العقيدة الإسلامية واللغة العربية ، جادة في تقديم قيادات فكرية سليمة متوازنة قادرة على حمل أمانة السلف ومواصلة مسيرة الجهاد ، فإننا نأمل من الجامعات والمؤسسات العلمية والخيرية على امتداد العالم الإسلامي تقديم الدعم الكامل لهذه الجامعة بالكتب والمراجع والأساتذة المعارين والزائرين وكل ما من شأنه أن يساعد على تحقيق الأهداف المناطة بها .. والله ولي التوفيق ...

اللثة
كيف نحميها ونعالجها

■ إن اللثة هي القاعدة التأسيسية للأسنان ، وللمحافظة على صحة الفم والأسنان ، يجب علينا أن نحافظ على تلك الأنسجة . وقد دلت الإحصاءات والتقارير والأبحاث على أن ٩٥٪ من النساء والرجال والأطفال يعانون من أمراض اللثة بدرجات متفاوته ، كما وجد أن ٨٠٪ من الأطفال سن ٨ سنوات يعانون أيضاً من التهاب اللثة ■

يولد الأنسان طفلاً ، وفي فمه أحساس مرهف ولذة أصيلة على شكل انعكاس عصبي من عملية الرضاعة ، وفي أواخر الشهر الثالث من عمره تقريباً يستطيع التحكم في حركاته وقبضاته بحيث يمسك بالأشياء التي تكون في متناول يده ويقربها إلى فمه ، لعله بذلك يريد استيفاء فحصها بالآلات الدقيقة الحساسة :

اللسان والشفتين ، وفي غضون هذه المحاولات تصادف شفتاه أصبع الإبهام ،

أو أية أصبع أخرى ، ويحدث بينهما اللقاء الأول ، فيرتضعه كما يرتضع الثدي ويروح في غمرة اللذة الغريزية المركبة في شفتيه أصلاً ، ويصبح لذلك مدمناً متطلباً ، وبه مولعاً ، وتضعف عنده إلى حد ما الرغبة في تحسس الأشياء المحيطة به ، وعند الفطام قد يتناسى تعلقه بمص الإبهام ، وقد يزداد به شغفاً وارتباطاً فكثيراً ما نرى الفتيات والصبيان حول سن المراهقة وأصابعهم في أفواههم ، وربما يفضي الغلام من ذلك إلى تدخين السجائر ، فيجد في وضع اللفافة بين شفتيه لذة لاتعادلها لذة ، وهذه الخصلة أول ما يصيب الإنسان بالضرر ، فإن الفك العلوي في أوائل الطفولة يمتط إلى الأمام ويبرز عن موضعه الطبيعي بسبب وضع الإبهام فيه ، ويتغير وضع الأسنان الأمامية فتبرز أيضاً إلى الأمام ، وبسبب وضع الإصبع في الفم وهو بعد غض في دور النمو ، يرتفع أيضاً سقف الفم إلى أعلى فيضغط على قاع الأنف ويعيق التنفس الطبيعي ، وفي الوقت نفسه فإن الطفل يستسهل التنفس من الفم وهو في هذا الوضع .

والتنفس من الفم هو الآفة الكبرى للأسنان ، والتلف الأعظم ؛ لأن الفم يجف أثناء الليل من اللعاب ويمتلء بالميكروبات التي تدخله مع الهواء ، أما في حالة التنفس الطبيعي من الأنف ، فإن الفم يكون مقفلاً ويتجدد فيه «الريق» فيزيل ما به من الميكروبات وبقايا تخمر الطعام ، والخلاصة أن مص الأصابع يحدث ما يسمى بالعامية (الضب) ، وهو تشوه وضع الأسنان وبروز العليا الأمامية منها ، فيتراكب بعضها فوق بعض مما يسبب بها الزوايا والجيوب في اللثة وسرعة التسويس ، بخلاف التشويه الظاهر في شكل الوجه ، وعدم انطباق الأسنان العليا على السفلى انطباقاً طبيعياً تاماً .

اللثة وأمراضها

ومما قد يدهش له الكثيرون أن معظم الأشخاص لايفقدون أسنانهم بسبب النخر والتسوس ، وإنما بسبب أمراض تصيب الأنسجة العظمية المحيطة بالأسنان ، وهي ماتسمى بأمراض اللثة ، حيث يعاني المصاب ألماً وصعوبة في المضغ وسوء رائحة الفم ونزفاً لثوياً . ولهذه الأمراض تأثير ضار على بقية أجهزة الجسم نظراً لانتشار الجراثيم ، مما يؤدي إلى حدوث أمراض القلب أو أمراض الروماتيزم وغيرها .

وتبدأ أمراض اللثة بتكون غشاء لزج حول أعناق الأسنان ، تعيش فيه ملايين الجراثيم والميكروبات ، وإذا تأخر الإنسان في إزالة هذا الغشاء بواسطة الأستعمال اليومي لفرشاة الأسنان ، زاد تراكمه وتكاثف والتصق بالأسنان وزادت

● حشو الأسنان المصابة بالتسويس يحمي بقية الأسنان المجاورة ●

بقلم : الدكتور نبيل سليم

صلابته بترسب مواد كلسية ناتجة من لعاب الفم ، وشكل ما يدعى بالقلح الذي يعمل على تخديش اللثة ، وبوجود الجراثيم العديدة تنتج مواد تهيج اللثة والسن ، مما يسمح بتراكم فضلات الطعام التي تتفسخ بفعل سموم الجراثيم ، ليتكون التقيح الذي يتلف اللثة والأنسجة العظمية المحيطة بالأسنان ، وبهذه الآلية يستمر تراجع اللثة وامتصاص العظم وانكشاف الأسنان ، مما يؤدي إلى تقلقلها وانخلاعها ، ثم فقدانها ، مع أنها قد تكون خالية من أي نخر أو تسوس .

إن هذا المرض الهدام يبدأ في الظهور خلال العقدين الأول والثاني من العمر ، ومع إهمال علاجه تزداد درجة حدته ، مما يؤدي إلى تخلخل الأسنان وفقدانها ، وقد وجد أن ٧٥٪ من الأسنان التي فقدت عند معظم المرضى الذين تجاوزت أعمارهم الأربعين عاماً ، كان نتيجة أمراض اللثة التي لم تعالج في الوقت المناسب .. وعلاجها لا يؤكد على انتكاسها مرة أخرى ، بل يكون الاعتماد الكلي والجزئي على مواظبة المريض في المحافظة على نظافة الفم والأسنان بعد العلاج حسب إرشادات الطبيب .

ويمكن تقسيم أمراض اللثة إلى ثلاثة أنواع :

١ ـ التهابية وتحدث بنسبة ٩٠٪ .
٢ ـ هادمة وتحدث بنسبة ٩٪ .
٣ ـ أورام وتحدث بنسبة ١٪ .

وتنتشر أمراض اللثة ذات الطبيعة الالتهابية عن بقية الأمراض ، ويمكن علاجها والوقاية منها ، والعوامل الأساسية المسببة للالتهاب هي كما ذكرت من قبل ما أصطلح على تسميته بالطبقة البكتيرية ، وهي على هيئة تجمع أعداد هائلة وأنواع مختلفة من البكتريا في حالة مستمرة ، تتغذى على بقايا الطعام الموجودة بالفم وتختلط باللعاب الذي يحتوي أيضاً على مادة الميوسين Mucin ، وجزئيات البروتين Protein ، مكونة طبقة رقيقة في خلال ٢٤ ساعة من بدء تجمعها ، تلتصق على أسطح الأسنان لكي تبدأ نشاطها الهدام خلال ٤٨ ساعة حيث تنضج ، فتفرز إفرازاً ساماً يؤثر على النسيج الداعم المحيط بالأسنان . وأعراض ذلك هي :

١ ـ نزيف دموي من اللثة الملتهبة .
٢ ـ خلخلة بالأسنان المحيطة بنسيج الدعم نتيجة تآكل العظام الداعمة للأسنان .
٣ ـ رائحة غير مستحبة تنبعث من الفم .
٤ ـ انتفاخ اللثة وتغيير شكلها ولونها الوردي الفاتح .
٥ ـ تآكل باللثة وتكشف الجذور .
٦ ـ تغير وضع الإسنان وتحركها .
٧ ـ تغير في انطباق أسنان الفك العلوي مع أسنان الفك السفلي .

هذا وقد تؤدي العوامل المسببة للالتهاب باللثة متى بقيت بالفم وعلى أسطح الأسنان الى تكوين الترسبات الجيرية الكلسية التي يصعب إزالتها وتؤدي إلى المزيد من تدهور المرض في الفم والأسنان .

تطور علمي في حشو الأسنان

وهناك أيضاً عوامل ثانوية أخرى تؤدي إلى التهاب اللثة ، مثل علاج تسوس الأسنان بالحشو السيء ، والذي يحجز بقايا الطعام ويمنع عملية تنظيفها ، مع وجود تركيبات صناعية أخرى غير مطابقة للمواصفات العلمية من ناحية التصميم أو التنفيذ ، مثل الكباري الثابتة والمتحركة للاستعاضة بها عن الأسنان التي فقدت .

ومن ناحية أخرى ، هناك تقدم علمي الآن بالنسبة لحشو الأسنان بدون ألم ، إذ طور أحد أطباء الأسنان طريقة جديدة يمكنها تهدئة أعصاب الشخص أثناء حشو أسنانه دون أن يشعر بأي ألم لدى فقدان السن ، ودون استخدام أي وسيلة للتخدير ، حيث يضع الطبيب نظارة على عيني الشخص ، فيرى وميضاً من الضوء الأحمر يمر أمام عينيه ، وبعد أن يركز على رؤية هذا الضوء لمدة عشر ثوان تصبح هادىء الأعصاب ولايشعر بأي الم .

كيف تحمي اللثة ونعالجها ؟

إن للشخص الدور الأول في تلافي أمراض اللثة بانتقاء نوعية الغذاء والإكثار من الأطعمة الخشنة ، التي تساعد على تدليك اللثة كالخضروات والخس والفواكه والجزر والتفاح والقصب ، كما يجب الإقلال ما أمكن من تناول الأطعمة والحلويات اللزجة والسكريات التي تلتصق على الأسنان بسهولة ، وتساعد على تشكل الترسبات التقيحية ، وعلى الإنسان الإسراع بتنظيف أسنانه بالفرشاة ، والمضمضة بعد تناول مثل هذه الأطعمة مباشرة ، ولاننسى أن نؤكد أن استعمال السواك الذي كان النبي ﷺ يستعمله هو أفضل وقاية وخير تحصين ضد أمراض الأسنان واللثة .

وإذا أصيبت اللثة بالأمراض فيجب زيارة طبيب الأسنان (المختص) حتى إذا ما تم العلاج فيجب أن تكون الزيارة بشكل منتظم ودوري كل ستة أشهر ، وعدم انتظار عودة المرض أو الألم . ويا حبذا لو تمت هذه الزيارات قبل حدوث أي أعراض مرضية ، حتى نقي أنفسنا شر العذاب والألم ، وحيث يأتي هنا دور طبيب الأسنان والمتخصص في الكشف المبكر لأية إصابة في السن أو اللثة ، والعمل على إجراء المعالجة الوقائية قبل أن يستفحل المرض ، وبالتالي يتطور العلاج وتزداد تكاليفه .

ولا شك أنه يمكن القضاء نهائياً على الأمراض التي تصيب اللثة ، فالطبيب المختص يقوم باستئصال أسباب المرض وعلاجه ، وعلى المريض مسؤولية تطبيق برنامج وقائي يومي باستعمال فرشاة الأسنان ، واستخدام الخيط الطبي الخاص بالأسنان ، مع تدليك اللثة بواسطة المخروط الطبي الموجود في طرف فرشاة الأسنان يومياً .

والطريقة الصحيحة لإستعمال فرشاة الأسنان تقي الفم واللثة والأسنان من الأمراض بنسبة تتراوح بين ١٠٪ ـ ٢٠٪ فقط ، واستعمال الفرشاة والمعجون

يعطي الانتعاش في الفم ، ونوعه يخضع للمزاج الشخصي حسب رائحته .

وفرشاة الأسنان تستخدم لتنظيف أسطح الأسنان ، كذلك تنظيف الحيز الطبيعي الضيق الموجود بين اللثة والأسنان .

ويجب ان تكون هذه الفرشاة غزيرة الشعر المصنوع من النايلون مع شكل دائري لا يجرح أو يلهب اللثة ، وتنقسم حركة الفرشاة على اللثة والأسنان إلى حركتين رئيستين :

أولاً : توضع الفرشاة بزاوية حادة على محاور الأسنان قدرها ٤٥° تقريباً بحيث تصل شعيرات الفرشاة إلى الحيز الموجود بين اللثة والأسنان ، ثم يتم تحريكها حركة جانبية بالعرض لتنظيف اللثة من الداخل ثم في حركة ثانية نصف دائرية مسحوبة إلى الخارج ، تبدأ من عمق الأسنان إلى أطرافها وذلك لكي نتجنب إصابة اللثة أثناء عملية تنظيفها .

«فتلة» الأسنان .. والمخروط

إن استعمال الخيوط الطبية (فتلة الأسنان) هام للغاية ، وهي تستعمل لتنظيف الأسطح الجانبية بين الأسنان لإزالة طبقة البكتريا بنسبة ٨٠٪ - ٩٠٪ كلما تكونت وقبل نضجها ، ويكون ذلك يومياً لوقاية الاسنان من مسببات المرض ، وهذه الفتلة الطبية عبارة عن خيوط مصنعة من النايلون لكي تعطيها المتانة والسهولة في المرور بين الأسنان بطريقة لا تضر باللثة ، وهذا يحتاج لعناية فائقة ، وتوضح الصورة المرفقة طريقة التحكم واستعمال هذه الخيوط وهي متوفرة بالصيدليات . كما أن استعمال المخروط المطاط الموجود في طرف فرشاة الأسنان لتدليك اللثة هام جداً كذلك ، فالتدليك هو العلاج الطبيعي لنسيج اللثة الهرمي الموجود بين الأسنان ، فهو يساعد على تجديد وتنشيط الدورة الدموية ، كما يقوم بطرد الدم المتجمع الراكد داخلها مما يزيد من مقاومتها للالتهابات .

وإذا أصيبت اللثة بالأمراض ، فإن الطبيب المختص يستطيع علاجها ، وذلك عن طريق التشخيص الدقيق الذي يبدأ بالتصوير بالأشعة (أشعة إكس X Ray)لنسيج الدعم العظمي وللأسنان ، ويلي ذلك كشف أكلينيكي لمعرفة عملية عمق جيوب اللثة ودرجة خلخلة الأسنان ، وحالة نسيج اللثة والتسويس بالأسنان ، وكذلك الحصول على بعض البيانات الطبية عن حالة المريض الصحية بصفة عامة ، وحالة الفم والأسنان بصفة خاصة ، أما العلاج نفسه فيبدأ بتنظيف شامل للأسنان واللثة بإزالة جميع الرواسب الجيرية المتكلسة ، مع كحت الأنسجة المتقيحة باللثة من الداخل ، ثم يتم تلميع الأسنان ليسهل بعد ذلك تنظيفها ، أما إذا لم تستجب اللثة لهذا العلاج بعد تقسيم شامل لقياس عمق الجيوب ، هنا يلزم التدخل الجراحي لاستئصالها عن طريق عمليات ترقيع اللثة ، وبالعظام المدعمة للأسنان .

إننا ننصح بالمحافظة على الأسنان الطبيعية نظراً لصعوبة تعويضها حتى لو استعضنا عن المفقود باستخدام الكباري والطرابيش والأطقم أو حتى بعملية غرز الأسنان التي تجد دوياً شديداً في الأوساط العلمية الطبية ، فإن ذلك يكون دائماً على حساب الأسنان المجاورة لها وهذه حقيقة علمية لاجدال فيها .

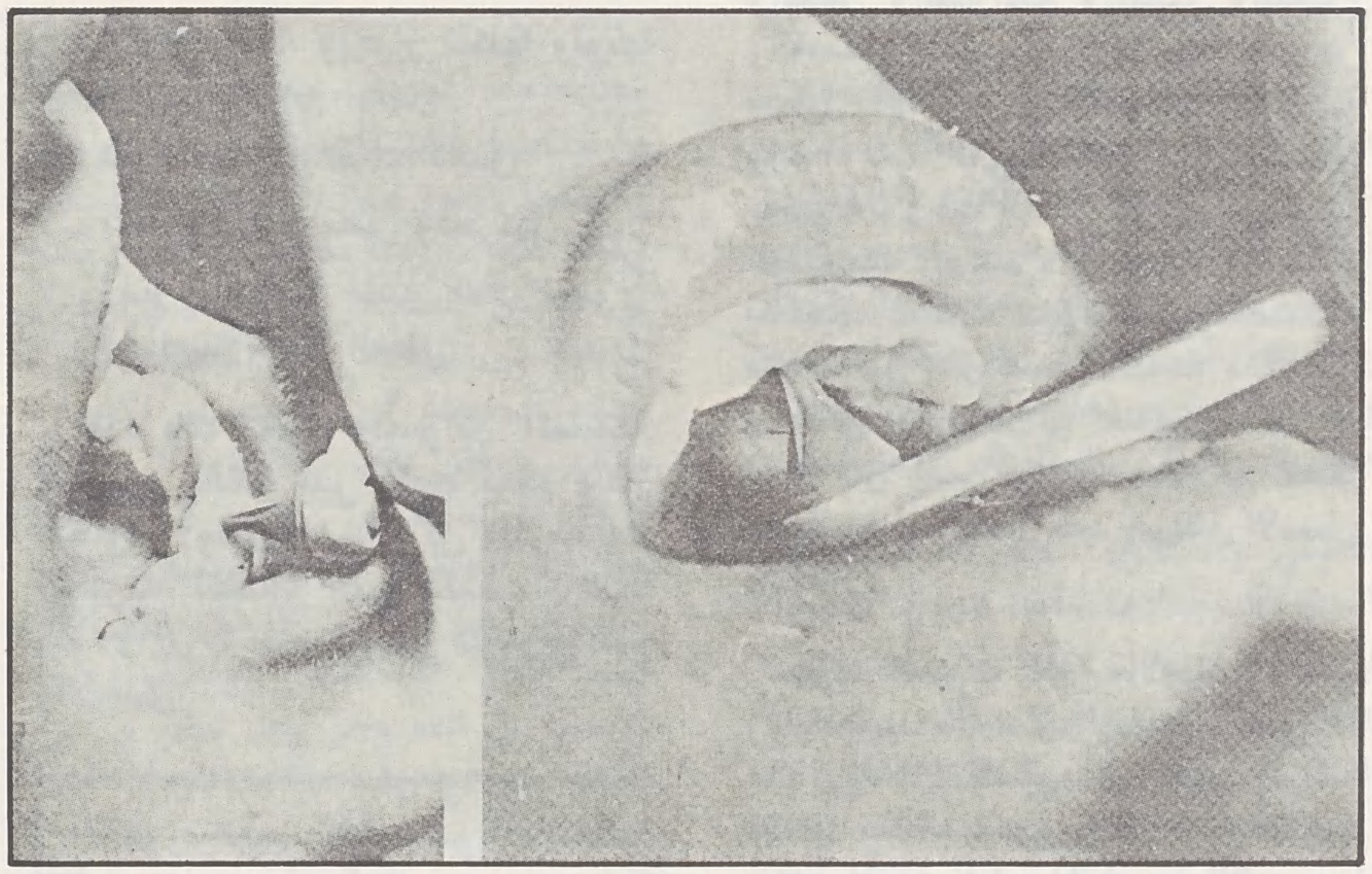

● المخروط المطاط .. لتدليك اللثة مما يزيد من مقاومتها للالتهابات ●

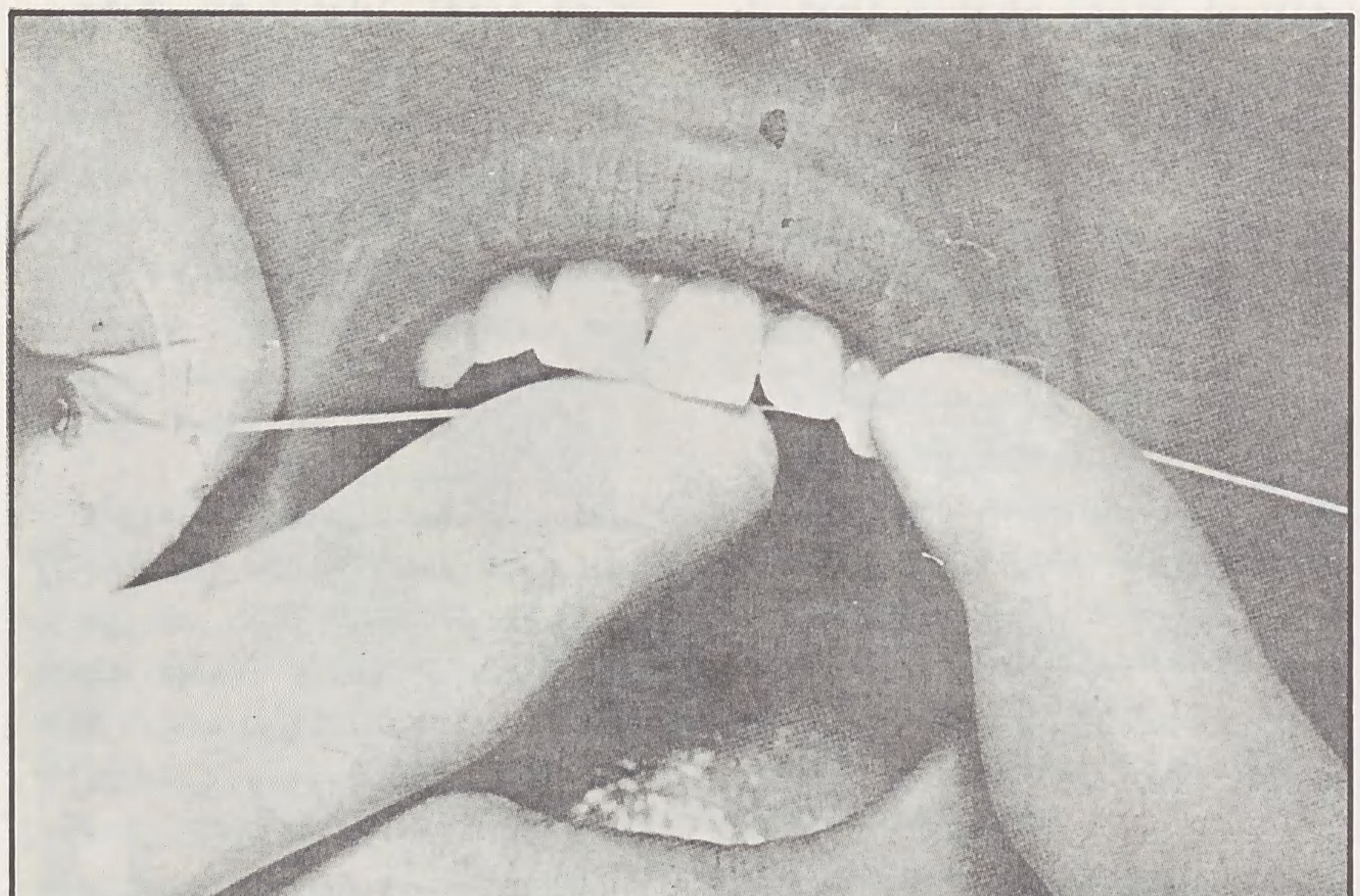

● الخيط الطبي .. وسيلة فعالة وهامة لتنظيف الأسطح الجانبية ●

من وحي الهجرة

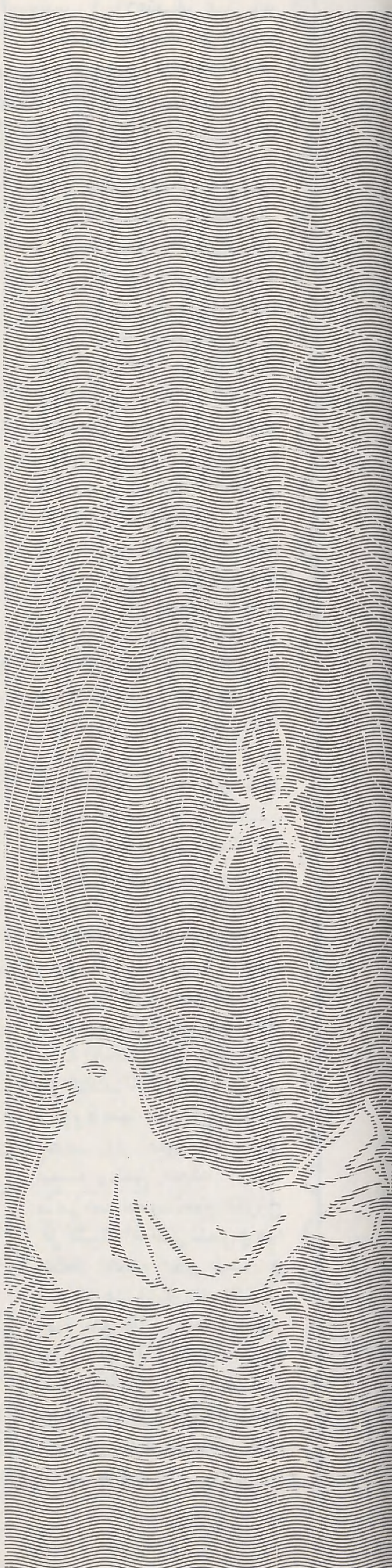

أضاءَ شُعاعٌ مِنْ عَميقِ الدَّياجِرِ   جَوانبَ أُفْقٍ بالأباطيلِ زاخِرِ
تَألَّقَ في أرْجاءِ (مَكَّةَ) نَبْعُهُ   حَفِيّاً بِوَحْيِ الهِجْرَةِ المُتَواتِرِ
وَأذَّنَ في مَهْدِ النُّبُوَّةِ داعِياً   إلى (يَثْرِبِ) العَذْراءِ أُمِّ البَشَائِرِ
فَهامَتْ رَواسي الأرْضِ تَشْهَدُ مَوْكِباً   رِجالاتُهُ عَزْمٌ مَتِينُ الأواصِرِ
يَبيعُونَ أرْواحاً فِدىٰ قائِدِ الهُدىٰ   عَلَيْهِ صَلاةُ اللّهِ طِيباً لِذاكِرِ
إمامُهُمُ (طٰه) بِمِلْءِ جَنانِهِ   يُلَبِّي نِداءً لا يَدُورُ بِخاطِرِ
وَصِدِّيقُهُ يَسْعىٰ حَثيثاً ، وَأهْلُهُ   جُنودُ لِسِرِّ الحَقِّ تَرْعىٰ بناظِرِ
أشارَ إليهِمْ (أحمدُ) الخَيْرِ مُعْلِناً   فَهَبُّوا لُيوثاً في الوَغىٰ المُتَشاجِرِ
وَباتَ (عليٌّ) في الفِراشِ ، وَحَوْلَهُ   أراقِمُ يَفْري سُمُّها بالمَرائِرِ
وَما كانَ إلاّ هِمَّةً هاشِمِيَّةً   تَرُدُّ إلىٰ الأعْداءِ أغْلىٰ الجَواهِرِ
فَنِعْمَ الفِدائِيُّ الأشَمُّ لَدى الرَّدىٰ   يَنامُ قَريراً ، في ثَباتِ القَساوِرِ
وَما نَفَعَ الطّاغُوتَ حَشْدُ جُموعِهِ   وَإنَّ لِدِينِ اللّهِ غَضْبَةَ قاهِرِ
تَجَلَّىٰ على الغافِينَ نورُ (مُحَمَّدٍ)   فَضَلَّتْ نُفوسٌ مظلِماتُ البَصائِرِ
وَحِينَ تَلا « يٰس » رُوِّعَ أمْنُها   وَغَشّىٰ الثَّرىٰ كُلَّ الجِباهِ الكَوافِرِ
وَسارَ إلى (ثَوْرٍ) يُكَلِّلُ وَجْهَهُ   بَشائِرُ نَصْرٍ في يَقِينِ مُجاهِرِ
وفي الغارِ ثاني اثْنَيْنِ يَرْقُبُ فارِساً   دَعَتْهُ قُرَيْشٌ لِاقْتِحامِ المَخاطِرِ
وَتَهْمي عيونٌ يَعْرِفُ اللّهُ قَدْرَها   وَلَيْسَ بُكاها غَيْرَ خَشْيَةِ صابِرِ
وَمَرَّتْ ثَلاثٌ مِنْ لَيالٍ جَليلَةٍ   عَلىٰ القَوْمِ تُحْصىٰ كُلُّ نَأْمَةِ طائِرِ
وَتَسْبَحُ في عَرْضِ الفَلاةِ خُيولُهُم   فَتَرْتَدُّ حَسْرىٰ دامِياتِ الحَوافِرِ
وَ (أسْماءُ) لا تَخْشىٰ رُعودَ وَعِيدِهِمْ   فَتَمْضي كَطَيْفٍ في أتُونِ الهَواجِرِ
وَيَحْمِلُ زادَ الصّاحِبَيْنِ نِطاقُها   وَأيُّ طَعامٍ زُوِّدَتْ لِمُسافِرِ ؟
فِدائِيَّةٌ جَلَّتْ عَنِ الوَصْفِ ، غادَرَتْ   وَعِيدَ أبي جَهْلٍ ذَليلَ البَواتِرِ !!
إلىٰ الهِجْرَةِ الكُبْرىٰ مَضَوْا بِلِوائِهِمْ   كَتائِبَ صِدْقٍ مِنْ رِجالٍ كَواسِرِ
وَأرْسىٰ رَسولُ اللّهِ بِالحَقِّ وَالهُدىٰ   دَعائِمَ بيتٍ في المَدينَةِ طاهِرِ
فَألَّفَ بَيْنَ الأوْسِ وَالخَزْرَجِ التي   غَدَتْ أُمَّةً لا تَسْتَجيبُ لِواتِرِ
وَخاضَ لَظىٰ الهَيْجاءِ يَنْشُرُ دينَهُ   وَيَكْسِرُ أصنامَ البُغاةِ العَواثِرِ
وَجالَتْ خيولُ اللّهِ تَزْرَعُ أرْضَنا   أماناً ، فتزهو بالرِّياضِ النَّواضِرِ
أضاؤوا دُجىٰ التّاريخِ وانْسابَ نُورُهُمْ   يُغَذِّي قُلُوباً صادِقاتِ المَشاعِرِ

شعر : عبد الرحمن البجاوي

صفحة من كتاب

الإمام عبد الحميد بن باديس
الزعيم الروحي
لحرب التحرير الجزائرية

بقلم : د . محمود قاسم

فكرة السببية عند ابن باديس وصلتها بالقضاء والقدر

يعترف الشيخ عبد الحميد ابن باديس بأن هناك أسباباً وضعها الله في الكون ، وأن هذه الأسباب إنما تؤدي إلى مسبباتها بمشيئة الله الخالق لكل شيء ، أسباب ومسببات ، مما يفسر لنا لماذا يخفق الإنسان عندما يدَّعي لنفسه معرفة جميع المقدمات التي تفضي به إلى النتائج التي يريد الوصول إليها ، وعندما يظن أن قدرته الإنسانية يمكن أن تماثل القدرة الإلهية . ولا نظن نحن أن أحداً في عالمنا المعاصر يدَّعي . رغم تقدم العلم ، أن الإنسان قد كشف عن كل قوانين الكون وأسراره .

وليست هذه السببية التي أودعها الله في الكون وقفاً على قوم دون قوم ، فكل إنسان ، سواء آمن بالله أم لم يؤمن به ، قادر على استخدام هذه القوانين الكونية للوصول إلى تحقيق غاياته العلمية ، ولكن بشرط أن يحصل الثقافة الكافية لمعرفة هذه القوانين ، وكيف يمكن تطبيقها . وتكشف لنا هذه الفكرة عن أن ابن باديس من أنصار الفكرة العلمية الحديثة التي تقول بأن نظام الكون مطرد وعام ، وهذا هو ما يسميه المناطقة المحدثون باسم مبدأ « الحتمية في الطبيعة » ، وهو كما نعلم أساس التقدم العلمي في العصر الراهن . غير أنه يمتاز عن غيره بأنه لا ينسى أن هذا النظام الكوني هو من صنع الله الذي يخلق العالم ويحفظه . وهو يفسر لنا اطراد القوانين بالنسبة إلى جميع البشر تفسيراً خلقياً يرفع من قيمة الإنسان ، بدلا من أن يهبط بها . وذلك عندما يرى أن أسباب الحياة والعمران والتقدم مبذولة لجميع الخلق بفضل من الله ، وأن كل من تمسك بها انتهى إلى نتائجها بإذنه .

فأي فارق بين هذه الروح العلمية المؤمنة المتواضعة ، وبين ما ذهب إليه برتراند رسل : الذي دفع به عدم إيمانه بوجود الله إلى حد إنكار وجود العلاقات السببية بل القوانين في الكون ، وذلك لأنه كان يخشى أن يكون في الاعتراف بوجود السببية اعتراف بوجود الله ، ونحن لا نعلق على رأي « برتراند رسل » إلا بقولنا : إن فلسفته ما هي إلا نكسه في تاريخ الفلسفة والعلوم . هذا إلى أنه لايفعل سوى أن يؤكد ماقرره فيلسوف سابق من فلاسفة القرن الثامن عشر وهو « هيوم » .

ومما يدل على أن فكرة ابن باديس شديدة الارتباط بالواقع ، فضلاً عن صحتها من الوجهة العلمية والدينية ، أنه عندما قرر فكرة السببية في الطبيعة من جهة العقل والدين دعا الناس إلى أن يعتمدوا على الأسباب فيما يرجونه من عمل ، بل نراه يؤكد لهم أن من يظن أن ترك الأسباب نوع من الايمان العميق بالله والاعتماد عليه إنما هو رجل يسيء فهم دينه ، لأن من يترك الأسباب من المؤمنين سوف يكون شقيًّا في الدنيا ، ولئن كان هو من الناجين في الآخرة فسوف يؤخذ على تقصيره في استخدام العلاقات السببية التي وضعها الله في متناول يده في الدنيا ، فلم يشأ أن يستخدمها جهلاً أو كسلاً .

وقد ضرب لنا الإمام ابن باديس مثلاً لعقاب الله لهؤلاء الذين ظنوا أن الأسلام ينهاهم عن البحث عن القوانين السببية في الكون ، فاستشهد بتاريخ المسلمين في القديم والحديث ، وبين أنهم لم يتقدموا ولم يسودوا العالم ولم يبنوا حضارتهم ومدنيتهم إلا بالعلوم والصناعات ، عندما « أخذوا بأسبابها كما أمرهم دينهم . وقد تأخروا حتى كادوا يكونون دون الأمم كلها بإهمال تلك الأسباب ، فخسروا دنياهم ، وخالفوا مرضاة ربهم ، وعوقبوا بما هم عليه من الذل والانحطاط ، ولن يعود إليهم ما كان لهم إلا إذا عادوا إلى امتثال أمر ربهم في الأخذ بتلك الأسباب » .

وهذا في رايه ، رد على هؤلاء الذين يريدون في العصر الحاضر فتنة المسلمين عن دينهم بأن يوحوا إليهم أنهم ما تأخروا إلا بسبب إسلامهم ، وأن الآخرين لم يتقدموا إلا بسبب عدم إسلامهم . وهنا يقرر لنا ابن باديس في وضوح أن السبب في التقدم والتأخر يقوم ، أولاً وأخيراً ، على التمسك بفكرة القوانين الطبيعية أو تركها عن جهل وسوء فهم للدين ؛ إذ أن الدين يأمرهم بالبحث عن العلاقات السببية والقوانين واستخدامها في كل أمر من أمورهم .

ثم يشير إلى تفاوت الأفراد والأمم في الإفادة من القوانين والأسباب ، مع أن الله مكنهم منها جميعاً ، ووهبهم العقل وحرية الإرادة . وهو يفسر لنا هذا التفاوت بأنه لحكمة إلهية اقتضت تفاوت الأفراد والأمم على نحو يعيننا على فهم الحياة والعمران والاجتماع .

غير أنه إذا قرر ضرورة الإيمان بالسببية ووجوب استخدامها في العلم والصناعة فإنه يذكر الإنسان بضعفه وحاجته إلى ربه ، لأنه لاينال عادة شيئاً من التوفيق إلا بإذن الله ، أي بإرادة الله وتيسيره . وليس في الاعتماد على الله ما يتعارض مع حثه على البحث والعمل ، بل إن ذلك ليحمله على الاجتهاد في العمل دون أن يركبه الغرور : إذ الله هو الذي خلق الأسباب ويسرها . كذلك ليس معنى الإيمان بالله أن ننكر فكرة السببية ونرفض استخدامها . فليس هناك سوى الرجل الجاهل الذي قد يظن أن معالجة الأمراض أو مقاومة المصائب نوع من عدم الإيمان بقدر الله أو هو فرار من الله ، على حد تعبير ابن باديس . ذلك أن الأمراض والمصائب التي تنزل بالأفراد والأمم ، وإن ادعوا لأنفسهم علماً وقدرة لاحد لهما ، إنما هي بقدر الله ، أي في حدود ما خلق . فالإنسان مأمور أن يقاوم ويعالج . وإذا فرَّ من المصائب والأمراض إلى المقاومة والعلاج فإنه يفر دائماً من قدر الله إلى قدر الله ، على نحو ما قال الخليفة عمر بن الخطاب : عندما سئل في وقت الوباء : أفراراً من قدر الله ؟

وهنا نرى ابن باديس يربط ربطاً محكماً بارعاً بين فكرة علمية حديثة وبين عقيدة إسلامية جمع فيها ديننا بين تكريم العقل وبين وجوب تواضعه ، حتى لايضل الإنسان في الإعجاب بنفسه وعقله . وكيف له أن يغرق في العجب بنفسه إذا كان الخالق هو الذي وهبه الحياة والعقل ، ثم أعطاه حرية الاختبار حتى يكون خليقاً بأن تنسب أعماله إليه ويكون مسؤولاً عنها ، دون أن يذهب به العجب إلى تصور أنه خالق لنفسه وخالق أفعاله ؟ وكيف يدَّعي أحد أنه يستطيع الخروج على مشيئة الله التي تتجلى في هذا النظام المحكم الذي تمثل في الكون ؟ هذا ! إلى أن علم الإنسان مهما بلغ فلن يحيط بأسرار الكون كلها ، إذ العلم في صيرورة مستمرة ، وليس في حالة مستقرة ، وهو يتطور دائماً نحو غاية لن يدرك منتهاها ، فعلم الغيب لله وحده .

بريد الأمة

●● في رسالة لأحد الإخوة القراء ، كتب يقول :

[... إن كانت لي من ملاحظة حول « الأمة » فهي حول باب الأسرة .. إنَّا لنرجو أن يقدم لنا بالتحليل والمناقشة قضايا إسلامية تفيد المسلم في مواجهة التحديات المعاصرة وبناء أسرة مسلمة متوازنة البناء .. كما أرجو أن تستكتبوا لهذا الباب المتخصصين في مجالي التربية والمجتمع الإسلامي ، حتى تتحقق الفائدة وتعم] .

■■والذي نريد أن يكون واضحاً أن نصيب المرأة المسلمة من صفحات « الأمة » جميعها ليس أقل من نصيب الرجل ، فليس ركن « الأسرة المسلمة » هو خاصًا بالمرأة ، وليست بقية الصفحات مختصة بالرجل أيضاً ، فالأسرة المسلمة للرجل والمرأة ، وصفحات « الأمة » كلها للرجل والمرأة ، وإن كانت القضايا التي تطرح في ركن المرأة المسلمة يفترض فيها أن تكون أكثر تخصصاً ؛ ونعترف أننا ما نزال بالنسبة لقضية المرأة في المواقع الدفاعية ، لم تتجاوز مهمتنا الرد على الشبهات التي يُقذف بها عالم المسلمين ؛ ونتمنى أن تلقى رسالة الأخ الصدى المطلوب عند الإخوة الكتاب ، شركائنا في المسؤولية ●●

رسالة ..

■■ [... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد ؛

فقد استلمت شاكراً الكتاب السابع من سلسلة كتاب الأمة « الحرمان والتخلف في ديار المسلمين » للأستاذ الدكتور نبيل صبحي الطويل ، وشكر الله تعالى له على ما في الكتاب من جدّة في البحث وغزارة في المعلومات وقدرة على الأداء .. بحيث وضع ـ كما قلتم في المقدمة ـ أغنياء المسلمين وولاة أمورهم أمام مسؤولياتهم .. والعاملين للإسلام ودعاته في الصورة الدقيقة ليحددوا بعدها أولويات العمل وساحات الجهد الحقيقي .

ومع كل التأكيد على أولوية القضية المطروحة في الكتاب ، والإدراك لحجم المأساة الكامنة فيها ، اسمحوا لي بإبداء بعض الملاحظات على عبارة وردت في الصفحة (١٣٩) من الكتاب وأبرزت على غلافه الخارجي ، وأظنها لا تترك أثراً طيباً في نفوس كثير من المسلمين في ديار الغرب .. وهي التي تبدأ بقول المؤلف : « فما بال أقوام ... » وتنتهي بقوله : « يعيشون على الإسلام ولا يعيشونه » .

١ ـ إن نسبة كبيرة من عامة المسلمين في ديار الغرب أقرب إلى الفقر .. ليس بمقياس الفرد الأمريكي ـ كما ورد في الحاشية ص ١٣٩ ـ بل بمقياس أن ربّ الأسرة لا يحصل ما يكفي لإعالة أفراد أسرته بضروريات الحياة .

٢ ـ إن الغالبية من عامة المسلمين في الغرب ـ كالعمال الأتراك في ألمانيا الاتحادية والجزائريين في فرنسا ـ يعيشون في ظروف قاسية ويعانون من مشكلات يمكن أن تؤثر عليهم على صعيد الضرورة الأولى في حياة المسلم وهي دينه ، مما لا يقتصر على نشاط الكنائس بل يمتد ليشمل افتقار الأطفال المسلمين ـ وهم بحدود (٧٠٠) ألف طفل في ألمانيا الاتحادية على سبيل المثال ـ للحد الأدنى المطلوب من تعريفهم بإسلامهم ، فضلاً عن الحد الأدنى من « العلم » عامة ، فحوالي ٥٠٪ من أطفال المسلمين في ألمانيا لا يصلون إلى نهاية المرحلة الدراسية ، في بلد تسد فيه أبواب المعيشة الكريمة لمن لا يملك قسطاً من العلم والمعرفة ..

٣ ـ إن العمل الإسلامي الجاد في ديار الغرب مطالب بالتوجه إلى هذه المشكلات أيضاً بالإضافة إلى أداء واجبات الدعوة الأخرى .. وتعميم القول « يعيشون على الإسلام ولا يعيشونه » على القائمين على هذا العمل فيه إجحاف كبير بحق من يعيشون الإسلام بإذن الله ، ويسعون لأداء واجباتهم المذكورة .. وتنقصهم الإمكانات المادية بصورة خاصة ..

٤ ـ إن وجود مرتزقة على حساب الإسلام واتجاه بعض الجهات إلى الاهتمام بالمظاهر والشكليات والرسميات وربما بمؤتمرات تخدم أصحابها من دون المسلمين والإسلام ، لا يبيح للأخ الكريم مؤلف الكتاب القيم المذكور ألَّا يتحقق قبل أن يعمم ..

٥ ـ إن المخلصين في العمل الإسلامي في الغرب يعتمدون أولاً على إمكاناتهم الذاتية ، فإذا استنفدت والواجباتُ الكبيرة ما تزال قائمة فهم ينتظرون دعم أصحاب الإمكانات من المخلصين من عامة المسلمين .. ووجود مشكلات أدهى وخطوب أجلّ داخل ديار المسلمين ، قد يستدعي ذكر أولويتها ، ولكن لا ينبغي أن يقترن ذلك بشيء من الإجحاف بحق سواها ..

وأسأل الله عز وجل أن يبصر المسلمين بحقيقة أوضاعهم ، وأن يبصر المسؤولين الذين يتصرفون بثروات الأمة وإمكاناتها الضخمة بحقيقة واجباتهم ومسؤولياتهم ، وأن يجعلنا جميعاً نعيش الإسلام بسائر جوانبه ، ونؤدي واجباتنا لخدمته كل على الثغر الذي قدّر له .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ■■

أخوكم نبيل شبيب

بون في ٣٠ شوال ١٤٠٤هـ

●● نشكر للأخ نبيل رسالته وتنبيهه .. والذي نعتقده أن الدكتور نبيل صبحي الطويل مؤلف الكتاب ، حكم على الصور الكثيرة الغالبة والمؤسفة في عالم المسلمين وليس على أفراد أو جماعات بأعيانهم لأن ذلك يحتاج إلى استقراء قد يكون من الصعب إجراؤه .. والأحكام تكون أغلبية عادة كما تعلم .. ولا شك أنَّ أي عمل في أي مكان لا يعدم مخلصين وأوفياء وإن كان العمل الإسلامي اليوم أصبح بحاجة ، أكثر من أيِّ وقت مضى ، إلى عنصر الإدراك والصواب ، إلى جانب الإخلاص الذي لا يعرف حقيقته إلا الله ؛ والمخلص كثيراً ما يكون ضحية للذين يتاجرون بالإسلام وهم غير قليل على امتداد الأزمنة والأمكنة ●●

أصداء

● « أين الخلل ؟ » ، قضية للمناقشة طرحتها « الأمة » في عددها السادس والأربعين .. وقد وصلتنا رسائل عدة ذات مضامين متباينة ، وسنعمل على نشر أكبر عدد ممكن منها في أكثر من موقع على صفحات المجلة ، لأننا نعتقد أن ذلك يحقق ما نهدف إليه ..

وفي هذا العدد ننشر رسالة لأحد الإخوة من مصر ، وقع رسالته بـ « مسلم أمين » ..

[... من أكبر التحفظات على ما ينشر في مجلتنا الغراء « الأمة » ، الإقدام على استخراج جميع أفكار المسلمين وعمل مسح لعقولهم ونشر ذلك على العالم وهو أمر يجعل المسلمين مكشوفي السريرة لعدوهم ..

وإني لأتساءل : أين القدوة لكم في هذا العمل ؟ هل فعل ذلك رسولنا وقدوتنا محمد ﷺ ؟ ألم يكن يقول ﷺ : « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » ؟ أو كما قال ... هل فعل ذلك اليهود قديماً وحديثاً ؟ هل أعلن واضعو بروتوكولات حكماء صهيون عن خططهم أو أفكارهم أو وسائلهم التي اتخذوها أم ما تزال أجيالهم تنكر ما انكشف منها وتتبرأ منه ؟ هل عُرفت شخصياتهم وكيفية انتقال الخطط والقيادة من جيل إلى آخر ؟

إنني أضيف إلى تساؤلات الدكتور نعمان السامرائي : هل سبب الخلل تسرب السطحية أو خصائص العمالة للعدو ، إلى أعماق خصائصنا وطباعنا حتى أصبحنا ، ونحن نفكر بشكل عادي ، نجد أنفسنا نفكر لصالح العدو ولخدمة أهدافه من حيث لا ندري ؟

أما وقد نشرت المقالة وستصلكم ردود وأفكار إخوة مخلصين حسني النية ، سريعي الاستجابة لكل نداء تحت راية الإسلام ، فأناشدكم الله في دينكم ألا تعلنوا عن أي فكرة أو أي تحليل لأسباب الخلل حتى لا نكشف للعدو عن النقط القاتلة فينا ، إن كانت لا تزال خافية عليه ، وحتى لا نكشف له من العورات التي قد تكون ما تزال مستورة عنه .

● حول المنهج الذي اتبعه الكاتب الدكتور عبد العظيم الديب في مقاله المنشور بالعدد السادس والأربعين [لماذا رؤية جديدة للتاريخ الإسلامي ؟ خيانة المنهج] ، يقول الأخ يوسف كامل خطاب [مصر] :

[... لقد انتهج الكاتب في تفنيده لما جاء بكتاب (الأستاذ الدكتور) الذي لم يذكر اسمه ولا اسم كتابه ؛ المنهج النبوي الذي كان يقوم على قوله ﷺ : « ما بال أقوام يفعلون كذا ... » حرصاً منه ﷺ على شعور المخطىء وعدم المساس به وأملاً في أوبته وتوبته .

ولكن في هذا الوقت الذي ضعفت فيه معرفة المسلمين عموماً والشباب منهم بشكل خاص ، بالثقافة الإسلامية ، الأمر الذي يصعب معه التمييز بين الحقائق والدسائس التي يبثها بعض مزيّفي التاريخ الإسلامي بين سطور كتاباتهم التي تصدر في ثوب إسلامي وبعناوين إسلامية ، أقول : إنه في مثل هذه الظروف فإن مجرد التلميح لكاتب أو لكتاب ، لا يكفي .. وفي اعتقادي أن من الواجب التصريح باسم الكاتب والكتاب ، خاصة وأن (الأستاذ الدكتور) الذي جعل من نفسه مدافعاً ومنافحاً عن مذهب فكري خطير (القرامطة) هو ـ كما ذكر الدكتور الديب في مقاله ـ (أستاذ ، دكتور ، يحاضر الآلاف من الطلاب ويُدعى إلى المؤتمرات ويُستكتب للصحف والمجلات وتُتخذ كتبه مراجع ومصادر للدراسات ، بل هو نفسه يشرف على البحث العلمي ويوجهه في جامعة من أعرق جامعاتنا العربية ...) ، والخطورة في أن كثيراً من الطلاب قد يحسنون الظن بأستاذهم هذا ويعتبرون تزييفاته التي أوردها في كتابه حقائق صادقة . ومن هذا فإني أرى أن التصريح باسمه واسم مؤلَّفه ـ إلى جانب الرد العلمي المنهجي عليه ـ بمثابة صمام أمان لمن يستمع إليه أو يقرأ له] .

واحة الإخاء

○ استجابة لما طرحه الأخ محمد سالم محمد المعنى في زاوية « مقترحات » [بريد العدد ٤٦] حول ضرورة الكتابة عن دعوة الرسول ﷺ للاغتراب في الزواج ، بعث الأخ فتي فرحات (الجزائر) رسالة حول هذا الموضوع ، ضمنها مقالاً نشرته مجلة العلوم في عددها الصادر في كانون الثاني (يناير) ١٩٥٨م بعنوان « العرب وعلم تحسين النسل » .. وكان مما جاء فيه :

[... إن المتتبع لتاريخ العرب يجد أن العرب كان لهم إلمام بهذا الموضوع (تحسين النسل) ، ويرجع تاريخ ذلك إلى زمن الرسول ﷺ بل إلى ما قبل ذلك بسنين . ولم يكن إلمامهم بتحسين النسل إلماماً بسيطاً بل كانت لهم معلومات علمية قيِّمة نتيجة تجارب طويلة تأكدوا من صحتها وساروا على تطبيقها وفق أحدث الطرق العلمية المتوفرة في وقتنا الحاضر ، حتى يمكن القول : إن نتائج تطبيق علم تحسين النسل أثرت إلى درجة بعيدة في تفكير وخلق العرب فضلاً عن تكوينهم البيولوجي ، ولم يكن هذا التأثير بلا وعي ، بل كان بوعي وتصميم ، وما الحديث النبوي الشريف : « اغتربوا .. لا تضووا » إلا دليل صادق على ذلك .

ولم تقتصر معرفة العرب في هذا الموضوع على قول الرسول ﷺ ، بل هناك من الأدلة ما يؤكد سعة معرفة العرب بتحسين النسل واستفادتهم منه في مجال التطبيق العملي ..

قال شاعر عربي قديم :

واترك بنت العم وهي قريبة ... مخافة أن تضوي عليَّ سليلي

وقال آخر مفاخراً :

فتى لم تلده بنت عم قريبة ... فيضوى وقد يضوى وليد القرائب

هو ابن غريبات النِّساء وإنما ... ذوو الشأن أبناء النِّساء الغرائب

○ أرسل الأخ جمال توفيق محمد طه (السودان) بهذه المعلومات عن التنصير في أفريقيا :

[... تخطط المؤسسات الكنسية في العالم أن يكون عدد النصارى في أفريقيا (٣٤٤) مليون نسمة عام ٢٠٠٠ ميلادي مقابل (٣٢٢) مليون مسلم ... وفي عام ١٩٧٨م تم إنشاء مركز رئيس لشمال أفريقيا باسم (معهد تنصير المسلمين للبحث والتدريب) ، والغاية الرئيسة من المعهد إيصال تعاليم يسوع إلى المسلمين] ! [مجلة جامعة أم درمان]

مقترحـــات

● من جملة مقترحات الأخ مصباح مصطفى محمد بركات نجتزىء الآتي :

[أولاً : إجراء استطلاع حول الجهاز المصرفي في السودان ، لا سيما وأن الفترة الأخيرة شهدت نشأة ستة مصارف إسلامية ، إضافة إلى مصرف فيصل الإسلامي ومصرف التضامن الإسلامي .

ثانياً : التعريف والاهتمام أكثر بمسلمي استراليا وأمريكا الجنوبية وأوروبا الشرقية ، وجنوبي أفريقيا] .

● وفي دراسة له حول الطريق إلى تحقيق ثورة علمية في العالم الإسلامي ، يقترح الأخ سليمان محمد الحاج (السودان) :

[... تأسيس جمعية علمية يكون من أهدافها : إيجاد صلة بين جميع العلماء المسلمين على اختلاف تخصصاتهم وفي جميع أنحاء العالم .. والسعي إلى توحيد جهودهم العلمية .. على أن يكون من وسائلها :

(أ) إصدار مجلة علمية لنشر بحوث ودراسات هؤلاء العلماء ، وحث الدول والحكومات على تبني المجدي منها .

(ب) إقامة المؤتمرات والملتقيات العلمية المتخصصة ، وذلك لتمتين الروابط والعلاقات بين العلماء ولتعميق الرؤى ووجهات النظر من خلال المناقشات والمحاورات .

أما إمكانات هذه الجمعية العلمية التي اعتبرها الخطوة الأولى التي لا بدَّ منها لتحقيق ثورة علمية في عالم المسلمين ، فهي العون الذاتي ومساهمات من يهمهم الأمر .. والله الموفق] .

● ويقترح الأخ هلال السيوفي (مصر) أن يصدر « كتاب الأمة » في غرة كل شهر عربي بدل كل ثلاثة أشهر .

● أما الأخ علام عبد الحميد السيد (مصر) فإنه يقترح :

[أن يكون هناك ركن ثابت في كل عدد يحرره كبار رجال الفكر والدعوة الإسلامية ، يتضمن نصائح إلى الشباب المسلم والعاملين للإسلام عموماً ، وذلك من خلال تجاربهم في مجال العمل الإسلامي] .

● ويقول الأخ عصام عبد الله عبد الجليل (مصر) :

[أرجو أن تجعلوا أسئلة المسابقة من مقالات ومواضيع سبق نشرها في « الأمة » وذلك حتى لا يرهقنا البحث في مصادر قد يصعب علينا الحصول عليها] .

● ويتمنى الأخ أحمد صالح صُلح (السعودية) في مقترحه :

[أن تلتزم البلاد الإسلامية بالتقويم الهجري وتعتمد التوقيت الزوالي وأن تحدد بدء وانتهاء ساعات العمل الرسمي وفقاً لذلك] .

تصويبات

■■ تعقيباً على ما نشر بالعدد [٤٦] حول [العلامة المجاهد : الشيخ محمد البشير الابراهيمي] ، كتب الأخ صابر ترايكية (الجزائر) يصوِّب بعض ما جاء في ترجمة الشيخ الإبراهيمي .. يقول الأخ صابر :

[... فيما أعلم ، أن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله لم يولد في قسنطينة وإنما في قرية « ولاد براهم » التابعة لولاية « برج بو عريريج » حالياً ، وتبعد هذه القرية (٢٠٠) كيلومتر تقريباً عن قسنطينة] ..

●● نشكر كل الإخوة الذين كتبوا ويكتبون إلينا حول الخطأ غير المقصود الذي ورد في طباعة الآية (١١٦ : المائدة) والتي جاءت ضمن الآيات التي استشهد بها كاتب مقال (منهج استشراقي في تزييف حقائق التاريخ الإسلامي) [العدد ٤٧] ، ونخص بالشكر الإخوة : أبو خالد (إسبانيا) ، عبد المنعم عوض بخيت (السودان) ، نجيب عبد الرحمن الكاتب (اليمن) ، سعيد يوسف مصطفي ، محمد سمير سليم حسن ، سعيد نادي عطا عبد العال ، حسن محمد عبد الرحمن خلّاف وجميعهم من مصر .

ردود خاصة

■ نشكر الإخوة : محمد علي أحمد ومحمد أحمد محمد بخيت (السودان) .. على ما جاء برسالتيهما ، ونؤكد لهما بأن المشكلات التي يعانيها مجتمع المسلمين اليوم ، لا تحل على مستوى الأفراد ، وإن كانت المبادرات الفردية أمر أساسي ولا بد منه ، وإنما يجب النظر إليها في إطار الجماعة المسلمة والمجتمع المسلم ومن ثم التعاون على حلها ..

■ الإخوة : محمد الهادي الدريدي (تونس) ، عادل عبد الفتاح (المغرب) ..

●● يمكن الكتابة إلى الأخ يوسف إسلام على عنوان المدرسة الإسلامية الابتدائية في لندن وهو ما يلي :

ISLAMIA PRIMARY SCHOOL
8 BRONDESBURY PARK,
LONDON NW6
U. K.

■ الأخ بابا ندّين ديامبه (السنغال) ..

●● ليست هناك شروط للاشتراك في « مسابقة الأمة » وإنما هي لكل القراء .. والهدف منها إضافة معلومة جديدة للقارىء وتشجيعه لإنشاء صلة بينه وبين المكتبة ومصادر المعلومات .

■ الأخ محمد الطيب بن بو جمعة (الجزائر) ..

●● كل إنسان يُؤخذ من كلامه ويرد إلَّا محمد رسول الله ﷺ .. وما يقوله أحد العلماء في قضية معينة لا يعني بالضرورة رأي الإسلام في ذلك وإنما هو اجتهاد ، له أجر إن أخطأ وأجران إن أصاب .. ونتمنى أن يفقه العلماء جيداً ظروف كل بلد وأهله قبل أن يشرعوا ويُفتوا بما يُستفتون حوله .

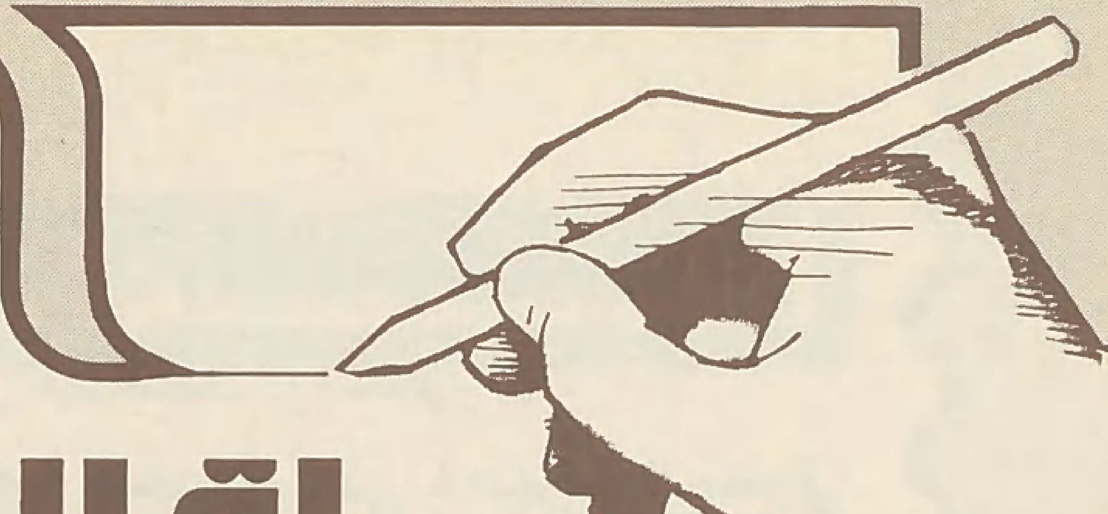

باقلام القراء

أدب المعركة

الأدب هو التعبير عن الحياة باتجاهاتها ، وعن النفس البشرية بنوازعها واحلامها وشعورها وآمالها . والأمم الحيَّة لها ادبها الخاص الذي هو جزء من كيانها ، وذلك للدور الذي يقوم به في ميدان العمل والجهاد .

ولا بد للمسلمين من ادب .. ولكن أيُّ ادب هو ؟ إنه الأدب الذي يحاكي حياتهم ، ويُصوِّر احلامهم ، ويُجمِّع طاقاتهم في بوتقة العمل الجماعي الجاد المخلص ، ويدفعهم لتحقيقها في واقع الحياة .

ولما كان المسلمون في معارك دامية مع اعدائهم من الشرق والغرب ؛ فهم يحتاجون إلى الأدب الذي يقوي عزائمهم ، ويوقظ ضمائرهم ، ويُلهب الحماس الديني ، ويسكب في عروقهم دماء الحميَّة والجهاد . إنَّ هذا الأدب ليس شيئاً ترفاً كما قد يظن بعض المثقفين .. إنه « ضروري » ، والقلم في يد الاديب المسلم لا يقل خطورة عن المدفع الرشاش في يد الجندي ، إنه سلاح من اسلحة المسلمين في المعركة ، ذو فعالية فائقة .

نحن لا نريد ادب الكشف والإباحة ، إنَّه لا دور لهذا الأدب الرخيص في حياتنا .. بل على العكس من ذلك ؛ إن هذا الأدب الذي يزيِّن الشهوات الهابطة ويدعو لها لهو شر على الأمة من اعدائها الخارجيين ، إنه يميت المشاعر ويُخدِّر الإحساس الديني ، إنه يوهن عُرى الكفاح في النفس ويفكك طاقاتها المتحدة ويبعثرها ويشيع فيها الرخاوة والميوعة والانحلال ..!

فعلى الأدباء المسلمين ان يتقوا الله في الشباب - ذخر الأمة - ويراجعوا حساباتهم ، ويعلموا أنَّ مصير المسلمين - ومصير اي بلد كذلك - مُعلَّق في ايدي شبابهم ، وليس من مصلحة اي أمة ان تذيب شبابها في ارجاس الانحلال فتفقد بذلك اسباب النصر والفلاح ، وتقارب شفير الهاوية والاضمحلال . هدى الله ادباء المسلمين لما يحبه ويرضاه] .

انور سالم احمد الشريف [السعودية]

اللعبـــة الجديـــدة

هل سمعتم عن اللعبة الجديدة ؟ لعبة الإسلام !!.

إن ملاحدة اليوم يكتبون عن الإسلام !.

الأقلام الملوثة بخيانة النفس لا تشغلها الآن إلَّا قضية الإسلام .

أصحاب الأعمدة السوداء والصفراء .. أعمدة كل العهود .. يتحدثون هم أيضاً عن الإسلام .

فما هو السر وراء هذه التوبة الجماعية المشبوهة ؟

إن موجات المد الإسلامي الجارف على امتداد الكرة الأرضية .. والتي تشغل أدمغة الدول الكبرى وأجهزة الرصد العالمي .. قد أغرت مهرجي السيرك الإعلامي بدخول اللعبة ... فبالأمس ساهمت هذه الأقلام نفسها بتشويه العمل الإسلامي والعاملين .. وتطاولت على القرآن ، سخرت من شرع الله ... تجنت على حديث رسول الله ﷺ بالكذب والتشكيك والافتراء والتلبيس ... أذابت قيم المسلمين .. أضاعت مُثُل مجتمعنا الطاهر النقي .. في حملة شرسة ودعاية سوداء .

وتبقى خاصية الإسلام الخالدة المنتسبة إلى جلال الله وعظمته الذي يطلع على القلوب والأفئدة ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، ويعلم أيضاً ما توسوس به النفوس .. وهو معكم أينما كنتم .. وهو القادر وحده على أن يميز الخبيث من الطيب .

محمد حسين عليوه [مصر]

[يـــا قـــدس]

يا نجمةً بَيْنَ المدائن ... والحَسْنُ فِيكِ غدا مَفاتِنْ
فالجَوُّ مِنْكِ مُعَطَّرُ ... والأرْضُ ظاهِرةُ المَحاسِنْ
فَمُحَمَّدُ غَرسَ الصَّلا ... ةَ فأثْمَرت أبْهى جَنائِنْ
الذِّكْرُ فِيكِ مُرَدَّدُ ... أَبَداً على تِلْكَ المآذِنْ
صَوْتٌ شَجِيٌّ هَزَّني ... وَصَداهُ وسطَ القَلْبِ ساكِنْ
أرْنُو إلى عُمَر يَمُـ...... ـرُّ على المُكَبِّرِ وهو آمِنْ
وأمُرُّ ثانيةً فألْفِـ...... ـي فيكِ رَهْطَ الشَّرِّ قاطِنْ
فَأُخاطِبُ « الإفْرنج » وَيْـ...... ـلَكُمُ فما تِلْكَ الضَّغائِنْ ؟!
وَنِساءُ مَقْدِسِنا الشَّريـ...... ـفِ غَدَوْنَ أدْنى مِنْ رَهائِنْ
تِسْعُونَ عاماً قد تكو ... نُ وَقُدْسُنا لليأسِ راكِنْ
فإذا الدِّيار بِرَغْمِ عُنْـ...... ـفِ اليأس تختزنُ المعادنْ
أيُّوبُ يُعطينا صلاح الدِّ ... ين لَيْثاً في العرائِنْ
فَيَرُدّ كيد الغاصبيـ...... ـن مُحَرِّراً أغلى المدائِنْ
وأفيقُ من فَرَح الخيا ... ل على يَهودا فيكِ ساكِنْ
ماذا أقُول وَقَدْ هَوَيْـ...... ـتِ فريسةً بينَ البراثِنْ
لو قلتُ : قَدْ فُقِدَ الرجا ... ءُ ، فأيْنَ هاتيك القرائِنْ ؟
لا يُنْكِرُ الأمَلَ المُرَجَّـ...... ـى غيرُ خوَّارٍ وخائِنْ

موسى محمد رزق [الأردن]

هلال المحرم

أطَلَّ فَعمَّ الكائناتِ ضِياؤُهُ ... وَألْبَسَها ثوبَ الجلالِ بهاؤُهُ
تألَّقَ فازْدانَتْ بِهِ الأرْضُ بَهْجَةً ... وتاهتْ على زُهْرِ النُّجومِ سَماؤُهُ
تَفَنَّنَ فيهِ النَّاثِرونَ وَأبْدَعوا ... كما افتنَّ في آياتِهِ شُعَراؤُهُ

****

بَدأْتَ مَعَ التَّاريخِ رِحْلَةَ سابِقٍ ... فأَيُّكُما في السَّبْقِ كانَ ابْتداؤُهُ
تَلَقَّيْتَ بالتَّرحيبِ آدَمَ هابِطاً ... وَقَدْ طالَ في ظِلِّ النَّعيمِ ثَواؤُهُ
وَحَوَّاءَ قِدْماً شارَكَتْهُ هُبوطَهُ ... وتابا فتابَ اللَّهُ جَلَّ ثَناؤُهُ
و ﴿ قالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً ﴾ فإنَّما ... لِكُلِّ امرىءٍ ممَّا جَناهُ جَزاؤُهُ
وَسِرْتَ مَعَ الأعْصارِ تَرْقُبُ سَيْرَها ... وفي كُلِّ عَصْرٍ سَعْدُهُ وَشَقاؤُهُ
وَآخَيْتَ نوحاً والنَّبِيِّينَ بَعْدَهُ ... وَهُمْ يُعْلِنونَ الحَقَّ يَعْلو لِواؤُهُ
وباشَرْتَ فِرْعَوْناً على جَبَروتِهِ ... وَقَدْ أذْهَلَتْهُ حِقْبَةً كِبْرياؤُهُ
إلى أنْ تَوَلَّى اليَمُّ إزْهاقَ روحِهِ ... فَلَمْ يُجْدِهِ طُغْيانُهُ واعْتِلاؤُهُ
فَكَمْ مِنْ ظَلومٍ سادَ -قوماً بِظُلْمِهِ ... فَما هُوَ إلاَّ أنْ تَداعىٰ بِناؤُهُ
وَمِنْ عادِلٍ أرسىٰ قواعِدَ حُكْمِهِ ... على العَدْلِ حَتَّى لَمْ يَخُنْهُ وَفاؤُهُ

****

هلالَ المُنىٰ والبِشْرِ وَالسَّعْدِ مَرْحَباً ... فَفيكَ لِمَنْ قاسىٰ الهُمومَ عَزاؤُهُ
وَفيكَ وفي أمْثالِكَ الغُرِّ فَرْحَةٌ ... لِباكٍ كَسيرِ القَلْبِ طالَ بُكاؤُهُ
تَرَصَّدَهُ مِنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ ... أثيمٌ لَئيمُ الطَّبْعِ شُؤْمٌ لِقاؤُهُ
فَواحَرَّ قلباهُ أيَقْتُلُ مُسْلِمٌ ... أخاهُ ؟ إذَنْ واللَّهِ غاضَ إخاؤُهُ
فُؤادي على دِينِ الحَنيفَةِ جازِعٌ ... مُصابٌ بِجُرْحٍ لا تَكُفُّ دِماؤُهُ
يُقاسِمُني أرْضي عَدُوٌّ مخاتِلٌ ... وَيَفْتِكُ بي عَنْ غِرَّةٍ سُفَهاؤُهُ
وَيَفْرِضُ سُلْطاناً وَيُمْلي إرادَةً ... وَلَمْ يَطْفُ فَوْقَ السَّيْلِ إلاَّ غُثاؤُهُ
فهيَّا إلى قَصْدِ السَّبيلِ وَرُشْدِها ... ففيها لِمَنْ شاءَ النَّجاةَ نجاؤُهُ
هلالَ المُنىٰ والأنْسِ إنَّا بِحاجَةٍ ... إلى كُلِّ داعٍ لا يُرَدُّ دُعاؤُهُ
تَرَبَّعْتَ في عَرْشِ السَّماءِ فَكُنْتَ في ... مَدارٍ يَفوقُ النَّيِّراتِ عَلاؤُهُ
وَأذَّنْتَ بالعامِ الجديدِ فَأقْبَلَتْ ... بَشائِرُ فيها للعَليلِ دَواؤُهُ
طَلَعْتَ على الإسْلامِ هَدْياً وحِكْمَةً ... فما مَنْسِكٌ إلاَّ وَعَنْكَ أداؤُهُ
فَأرْشِدْ بَنيهِ وابْعَثِ النُّصْحَ خالِصاً ... لَعَلَّ سَقيمَ القَلْبِ يَدْنو شِفاؤُهُ

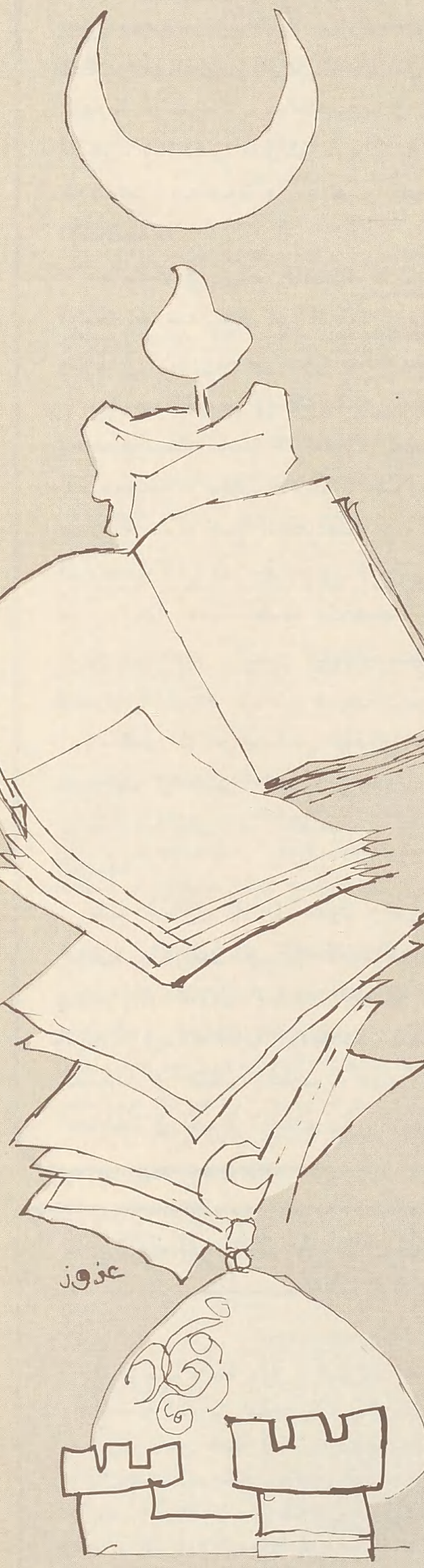

شعر : محمد السيد الداودي

المؤتمر الرابع للسيرة والسُّنة

■■ يُعقد المؤتمر الرابع للسيرة والسنة النبوية الشريفة ـ بالقاهرة ـ في رحاب الأزهر، في الثاني عشر من شهر ربيع الأول ١٤٠٥هـ، بدعوة من مجمع البحوث الإسلامية.

ويشارك في هذه التظاهرة العلمية الإسلامية عدد كبير من العلماء، يمثلون حوالي (١٢٠) دولة من جميع أنحاء العالم.

ويدرس المؤتمر في هذه الدورة إصدار موسوعات تضم الأحاديث النبوية الصحيحة، وإمكانية إخراج موسوعة إسلامية بالمواقع الجغرافية والأحداث التاريخية التي تمت في العهد النبوي، إلى جانب إعداد مجلة علمية متخصصة تتابع حركة التأليف والنشر المتعلقة بالسيرة النبوية الشريفة..

ويناقش المؤتمر عدداً من القضايا الفكرية الإسلامية في السيرة النبوية والسُّنة، يقوم بإعدادها نخبة من العلماء.. من هذه القضايا:

كتب الرسول ﷺ إلى الملوك والرؤساء، العهود والمواثيق أو العلاقات الدولية في منهجه ﷺ، دلائل النبوة الحسية، أثر الرسالة في الحضارة الإنسانية، السيرة النبوية في الفكر المعاصر، دور شباب الصحابة في نصرة الإسلام وفي الدعوة إلى الله... تدوين السُّنة وجهود المحدثين في هذا المجال، مكانة السنة وحكم الإسلام على المنكرين لها، حجية أحاديث الآحاد ومقياس الأحاديث الصحيحة والحسنة، والأحاديث المرسلة وحكمها، وجهود المحدثين في علم الرجال والجرح والتعديل...

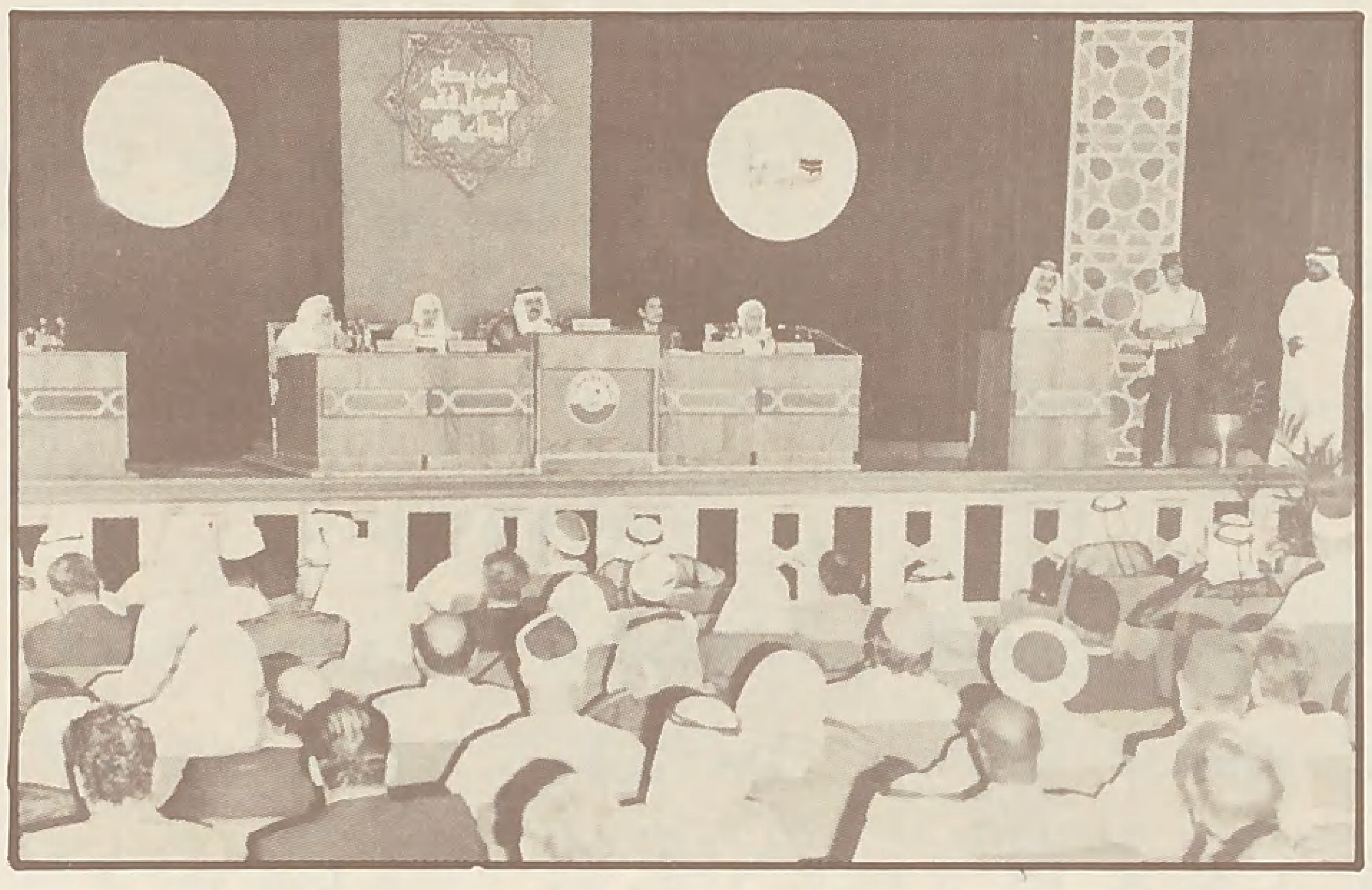

● المؤتمر الثالث للسيرة والسُّنة النبوية الشريفة انعقد بدولة قطر ـ في مطلع القرن الخامس عشر الهجري ـ الدوحة ٥ ـ ١٠ المحرم ١٤٠٠هـ ●

ومن المعروف أن المؤتمر الأول للسيرة والسُّنة النبوية الشريفة كان قد عُقد في إسلام أباد ـ باكستان ـ عام ١٣٩٦هـ، وعُقد المؤتمر الثاني في استانبول ـ تركيا ـ عام ١٣٩٧هـ.

أما المؤتمر الثالث فقد عقد بالدوحة ـ دولة قطر ـ [٥ ـ ١٠ المحرم ١٤٠٠هـ] في مطلع القرن الخامس عشر الهجري، وضم أربع لجان هي:

- ● لجنة السنة مصدراً للتشريع ومنهاجاً للحياة.
- ● لجنة التربية والشباب.
- ● لجنة الدعوة والإعلام.
- ● لجنة التراث والمصادر.

تمت في إطارها مناقشة قضايا هامة، منها تقنين أحكام السُّنة، وضرورة إيجاد كراسي بجامعات العالم الإسلامي للسيرة والسُّنة النبوية وإيجاد موسوعة للسيرة النبوية ممحصة وموثقة، والاستفادة بالوسائل العلمية المعاصرة في ذلك، وإيجاد رابطة للكتّاب المسلمين ترعى إنتاجهم وتعمل على التعريف بهم وتتبنى قضاياهم.. والاهتمام بالتربية الإسلامية، المستقاة من سيرة النبي ﷺ وسنته المشرفة في تنشئة الأجيال على طهارة النفس والوجدان، بحيث يتأكد بوضوح التمايز بين معطيات الفكر الإسلامي في التربية وبين فلسفات التيارات الفكرية الوافدة.. والعمل على تأسيس مجمع للسيرة والسُّنة النبوية يتولى إعداد وترجمة ونشر بحوث السيرة والسُّنة، وتنقيح الكتب التي تصدرها مؤسسات غير إسلامية وبيان أي آثار سلبية لها. ■■

دراسة أمريكية عن الحركات الإسلامية

في دراسة هامة حول «الحركات الإسلامية» نشرتها ـ مؤخراً ـ «مؤسسة التراث الخاصة» بالولايات المتحدة، يطالب «دانييل بايبس» عضو هيئة التدريس بجامعة هارفارد ـ والمسؤول السابق بالخارجية الأمريكية ـ بالعمل لوقف أي دعم للحركات الإسلامية التي تعارض الأنظمة الصديقة للإدارة الأمريكية، ولكنه يرى في ـ الوقت نفسه ـ ضرورة الحفاظ على العلاقة مع هذه الحركات «لفهم آرائها ومراقبة تأثيرها على الناس..» (!!).

ومن ناحية أخرى، يؤكد «بايبس» على ضرورة اقناع الحكومات «الإسلامية» بعدم إعطاء الأولوية لاتباع الحركات الإسلامية في التعيين بالسلك الحكومي، وينصح بتخفيض مستوى الاتصالات العلنية بين الولايات المتحدة وهذه الحكومات، خاصة في الدول التي توجد بها حركات إسلامية نشطة وقوية، حيث يرى أن أسلم طريقة هي التعاون «السري» (!!)..

وفي تطور آخر تشترط الدراسة ـ في الحالات النادرة التي تقدم فيها الدعم لبعض الحركات الإسلامية ـ أن تكون معارضة للاتحاد السوفيتي، وذلك لأن هذه الدراسة تعتقد أن الثقافة العربية الإسلامية أشد خطورة من الفكر الشيوعي، حيث تعتبر الأخير أقل شراً..

والجدير بالذكر أن هذا النوع من الدراسات قد ازداد الاهتمام باجرائه ومتابعة نتائجه في الآونة الأخيرة ضمن محاولات احتواء العمل الإسلامي والتحكم به وتحجيمه، وتوظيفه في إطار اللعبة الدولية ـ بقدر المستطاع ـ لصالح الأهداف الامريكية، حيث يعتقد صاحب الدراسة ان تطبيق برامج الحركات الإسلامية يقود الى خط معاد للولايات المتحدة الامريكية..

العام الدراسي الثاني
في الكلية الإسلامية بشيكاغو

■■ شهدت مدينة شيكاغو ثاني أكبر المدن الأمريكية في شهر سبتمبر (أيلول) من العام الماضي قيام أول جامعة إسلامية بالولايات المتحدة هي الكلية الأمريكية الإسلامية .

ومن المعروف أن العمل الإسلامي في الولايات المتحدة في بدايته كان يستند إلى النشاط التطوعي لأعداد من الطلبة المبتعثين ـ الذين يوظفون أوقاتهم بجانب مهامهم الدراسية ـ للدعوة والدفاع عن الإسلام .

وكان المواطن الأمريكي يحمل اتهامات عديدة ضد الإسلام حيث يعرف الإسلام بأنه مجموعة من الأساطير والتعاليم العتيقة التي تدين بها مجموعة بشرية متخلفة في آسيا وافريقيا كما أنه يعني السلب والنهب وعبادة محمد والرق والحريم .

وهكذا صاغت الأساطير والمعلومات الخاطئة التي تبثها مؤسسات التعليم والإعلام فكر الشعب الأمريكي فيما يتعلق بفهمه للإسلام . فراجت نتيجة لذلك الشائعات والقصص الغريبة عن محتوى الإسلام مثل تلك التي تقول : إنه وفقاً للتعاليم الإسلامية فإن المسلم لا يدخل الجنة إلا إذا قتل عدداً معيناً من النصارى[1] .

أما الجامعات الأمريكية فتدرِّس الإسلام ليس كتصور مكتمل للإنسان والتاريخ والكون والحياة وكحضارة مستقلة وإنما تدرسه باعتباره جزءاً من قسم الدراسات الآسيوية .

وقد بذلت مجموعات المسلمين المهاجرين جهوداً لتأمين حياة إسلامية سليمة وللمحافظة على انتمائها الثقافي ، فتأسس مسجد مدينة سيدار زرابيت بولاية آيوا عام ١٩٣٣م على بعد ثمانين ميلاً إلى الغرب من نهر المسيسبي ، ثم تأسس مسجد آخر في توليدو بولاية أوهايو عام ١٩٥٥م وفي تلك المرحلة نشط قيام المراكز الإسلامية الرسمية وهي سفارات دينية في واشنطن ونيويورك وشيكاغو وديترويت وسان فرانسسكو .

وفي المرحلة نفسها ، وعلى المستوى الفكري ، فإن القضية الأولى التي استغرقت تفكير المسلم هي الذبح على الطريقة الإسلامية وتجنب المنتجات الغذائية التي يدخل في تركيبها أحد مكونات الخنزير وانتشرت محلات اللحم الحلال (Halal Meat) وأسواق ومتاجر الأطعمة والأغذية الشرقية .. عربية وباكستانية وهندية .

وفقه التغذية باب أضافته تجربة المسلمين بأمريكا وأوروبا إلى أبواب الفقه الإسلامي الأخرى .

ومن ناحية أخرى فإن ضغط الحياة الأمريكية يتجاوز بما لا يقاس الطاقة الثقافية للجاليات الإسلامية فغمر تيار المدن الأمريكية المسلمين حتى بدأ منهم من ينسى تقاليده وانتماءه وبدأت أجيالهم الجديدة الاندماج في صميم الحياة الأمريكية . وبلغ الضغط أحياناً ببعض المسلمين إلى الشعور بالحرج عند إعلان أسمائهم الإسلامية ، فكانت أسماء جيمس علي ، وألفريد حسن ، وألبرت محمود . وصار المسلم يعيش حياتين .. حياة متحركة وحياة ساكنة . والحياة المتحركة هي حياته الأمريكية التي تزيد مساحتها باستمرار على حساب حياته الإسلامية الساكنة التي تتغذى من سنام الماضي ولا تنمو بالمعرفة والحركة .

وخاضت مؤسسات الحضارة الأمريكية التعليمية والثقافية معركة غير متكافئة ضد العائلات المسلمة فانتصرت عليها وأصبحت حاضنة لأطفال المسلمين .

وأصبحت أماكن النشاط الإسلامي في حقيقة الأمر زوايا منثورة في محيط المدن الأمريكية ، بحكم برامجها وفعاليتها .

ثم تحركت القاديانية لتوهم المسلمين وغير المسلمين من الأمريكيين وغيرهم بأنها هي الإسلام الصحيح ، وبدأت محاولة إنشاء مراكز لها في نيويورك وواشنطن وسان فرانسسكو .

وكان البهائيون قد بدأوا نشاطهم قبل ما يزيد على خمسة وسبعين عاماً حيث يذوبون الإسلام والقرآن في معابدهم بدعوتهم إلى توحيد الأديان . وقد اتسع النفوذ البهائي في أمريكا في الخمسينيات حتى إن بعض الولايات الأمريكية اعترفت بالبهائية كأحد الأديان الرئيسة في العالم . حيث إن أمريكا تمنح الحرية للأديان التي تفصل بين الدين والحياة الاجتماعية وبين الدين والسياسة . والتي لا تحس بمسؤولية نحو مجتمعاتها وإنما هي أندية لزوارق الخلاص الفردي ، وهذا الفصل ينص عليه الدستور الأمريكي كما نص عليه التاريخ الغربي النصراني من قبل .

ثم جاء قيام الكلية الأمريكية الإسلامية بشيكاغو كأول جامعة من نوعها تطرح الإسلام على أسس منهجية وعلمية بعيداً عن الخلط العشوائي والمعرفة العامية .

هذا وتمنح الكلية الأمريكية الإسلامية الشهادات التالية : ليسانس الدراسات الإسلامية ، ليسانس الدراسات العربية ، بكالوريوس التربية والتعليم ، بكالوريوس التربية المزدوجة اللغات ، بالإضافة إلى برنامج عربي للأمريكيين أصحاب المهن ، وبرنامج لغة انجليزية للطلبة الأجانب .

هذا ويشرف على إدارة وبرمجة الكلية الأمريكية صفوة من المثقفين الإسلاميين العاملين ممن لهم معرفة واسعة في مجال العمل الإسلامي والثقافي في أمريكا .. منهم : الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي ، والدكتور أحمد حسين صقر الذي عمل سابقاً بمنظمة الأمم المتحدة كما عمل رئيساً لاتحاد الطلبة المسلمين ، والدكتور توم ارفنج .. وغيرهم من الذين عرفوا بالإسهام الفكري والثقافي في مجال العمل الإسلامي .

ومنذ أن بدأت الدراسة بالكلية الأمريكية الإسلامية في شهر سبتمبر (أيلول) ـ من العام الماضي ـ والحمد لله أصبح لديها طلبة مسلمون من أربع عشرة دولة عربية وإسلامية وأجنبية ، كما أن المسؤولين فيها ينتمون إلى عشر دول عربية وإسلامية ■■ .

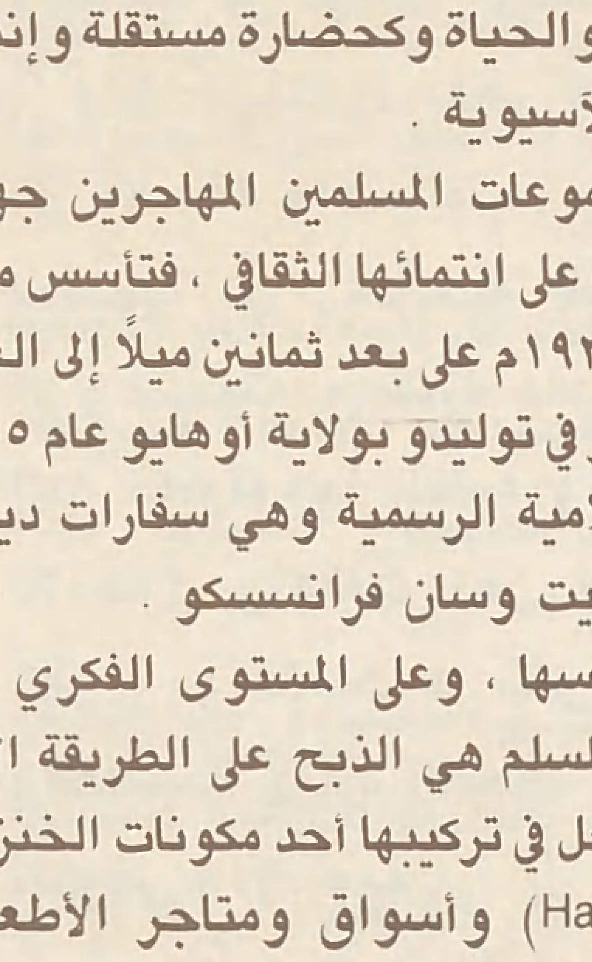

● إسماعيل الفاروقي من المشرفين على إدارة الكلية الإسلامية ●

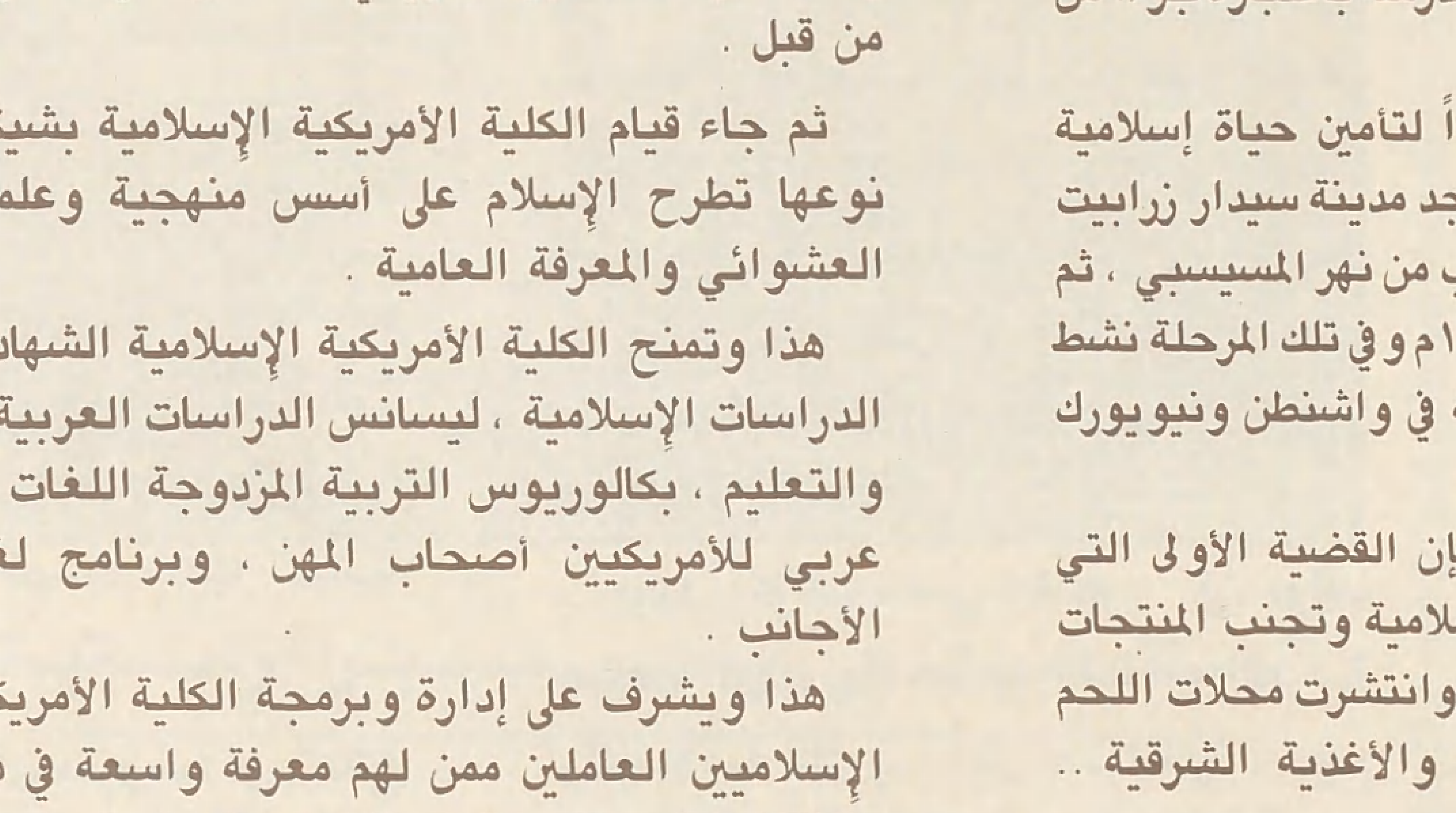

● مبنى الكلية الإسلامية بشيكاغو ●

قراءة ثقافية

دراسة عن : الصحافة المهاجرة : خطوة رائدة

■■ يمثل التقويم السليم للظواهر الثقافية المختلفة ضرورة هامة في البناء الفكري للمسلم المعاصر .. وتقويماً لظاهر الصحافة التي هاجرت من بعض بلدان العالم الإسلامي إلى الدول الغربية .. صدر بالقاهرة عن دار الاعتصام مؤخراً [الصحافة المهاجرة : دراسة وتحليل] للأستاذ حلمي محمد القاعود .

ولم تكن هذه الظاهرة هي الأولى من نوعها في العالم الإسلامي في الفترة الأخيرة فقد ارتبطت أصلاً هجرة الصحف بوطأة الاستبداد السياسي الذي تضطر معه الكلمة داخل العالم الإسلامي إلى البحث عن مناخ أفضل للحرية خارجه .

ورغم أن هذه الصحف المهاجرة لم تزعم أصلاً أنها صحف إسلامية ، فإن رايتها التي رُفعت وكانت (البحث عن حرية أفضل) هي التي يمكن أن تستند إليها عملية التقويم المطلوبة .

يقول المؤلف : [كان مفروضاً أن تعالج - الصحف المهاجرة - قضايا الوطن العربي المسلم بدرجة من الإنصاف والموضوعية ، إن لم يكن بكل الإنصاف والموضوعية ، ويعلم الصحفيون المهاجرون أن العالم العربي والإسلامي يعاني من مشكلات عديدة ، ومن أحزان لا حدَّ لها .. وفي أكثر من مكان على أرضنا العربية الإسلامية يعيش الإنسان محروماً من الحرية ومن التعبير عن رأيه ، ومن المشاركة الفعالة والعملية في قضايا وطنه وأمته وتسيل الدماء من بعض الشعوب بدون مبرر .. ثم إنه يجري تناحر وتمزق وتشرذم بين دوله ، يضعف من قوة الأمة ويوهن من عزيمتها ويهيء لأخطار لا يعلمها إلّا الله ...] فهل استطاعت الصحافة المهاجرة أن تؤدي دورها المطلوب أم أنها ساهمت في تعميق الواقع الشائه ، وزيادة الفرقة والحرقة ؟!

بهذه الصورة التي خلص إليها المؤلف في محاولته الريادية بدأت الدراسة وهو ينطلق من الآية الكريمة : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ، اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ... ﴾ (المائدة : ٨) .

اشتملت الدراسة على ثلاثة أبواب وخاتمة : الأول : يختص بمعالجة القضايا المرتبطة بالوجود الإسلامي ، كالقضايا التي تشكل العلاقات الاجتماعية والدولية كالوفاق وحقوق الإنسان المسلم ، وبعض القضايا الملحة كقضية فلسطين ، وقضية لبنان .

والثاني : عالج قضايا الفكر والثقافة التي تشكل أهمية لدى العقل العربي والإسلامي المعاصر ، وأسلوب تناول الصحافة المهاجرة لهذه القضايا وتصورها للأوضاع المتعلقة بها .. واهتم الباب الثالث : بتقديم عرض واقعي لعينات عشوائية من الصحف المهاجرة لتتضح الصورة أمام القارىء كأنموذج تطبيقي يؤيد ما توصلت إليه الدراسة في البابين السابقين .

يقول المؤلف حلمي القاعود : إن موقف صحف المهجر من قضايا الشعوب العربية والإسلامية كان في « ذيل اهتماماتها » ، فلم تقف - استناداً لمنطق الحرية - موقفاً يجبر الطغاة والمنحرفين على التراجع عن طغيانهم وفسادهم ، بل إن كثيراً من هذه الصحف أشادت بأولئك الطغاة والمنحرفين ، ورفعتهم إلى مراتب الأبطال الأسطوريين ، وبثت الشقاق بين أبناء الأمة الإسلامية ، وتحيزت لمن يدفع لها ، وتغاضت عن حقوق الإنسان المسلم المهدرة في أماكن كثيرة على سطح الأرض بدءاً من المسلم الفيلبيني ومروراً بالمسلم الأفغاني ، وحتى المسلم الذي يعيش في أكبر دولة متقدمة على ظهر الأرض !

وعن معالجة قضايا الصراع الإسلامي مع قوى الشر العالمية قال المؤلف إن معالجتها كانت أشد سوءاً وخطراً فقد [عالجت قضية فلسطين على أساس الاستسلام للأمر الواقع ، وأغرقت القارىء في متاهات الحلول التي تنضح يأساً وقنوطاً وإحباطاً .. وتناولت قضية لبنان من وجهة نظر المارون ، ونفت صفة الحق الإسلامي من جوهر الصراع ، ورسَّبت في وجدان القراء ما يمكن تسميته بحالة الضياع واللا مبالاة تجاه شعب مسلم يعاني الحرمان والقهر والمذلة ..] .

وفي قضايا الفكر والثقافة تبنت معظم الصحف المهاجرة عن طريق العمد والتبعية « فكرة العلمانية والإطار القومي » وإحلالهما مكان العقيدة الإسلامية كمنهج للتصور والسلوك .. تقول الدراسة :

« عمدت صحف مهجرية كثيرة إلى التبشير بالنصرانية بين المسلمين من خلال الإلحاح الدائم والمستمر على موضوعات صليبية بعينها ، وترسيب الكثير من الأفكار والإيحاءات في ذهن القارىء المسلم لينفصل وجدانياً عن تربيته الإسلامية .. » .

ولقد استفادت بعض هذه الصحف من كل الأنماط والأساليب ، ولم تترك مجالاً يمكنها من زعزعة أفكار المسلمين إلا واقتحمته مسلحة بأحدث ما وصلت إليه تكنولوجيا الطبع والنشر ، فروجت للانحلال واهتمت بمن يسمونهم (أهل الفن) ، واعتمدت على نشر صورهم العارية والفاضحة لإثارة الشباب وتحريضهم على الفوضى والإباحية » .

أما قضية المرأة فقد « ألحت الصحافة المهاجرة - وما تزال تلح - على أن يكون هناك استعداد ذهني ووجداني لتقبل النهج الغربي العلماني ، والذي يقضي بالضرورة على تماسك الأسرة المسلمة ، ويهيِّء للتفكك الاجتماعي والفوضى الأخلاقية .

ويرتبط بذلك كله التشكيك والهدم لكثير من القيم والتقاليد الفكرية والأدبية التي تصل حياتنا الثقافية بالتصور الإسلامي والقرآن الكريم واللغة العربية .. ثم الإلحاح على التصورات الصليبية مع تلميع الأشخاص الذين لا ينتمون للمفاهيم الإسلامية والتعامل مع اللغة العربية من واقع قصورهم الذاتي بتقديم أساليب ونماذج تعبيرهم ركيكة وسقيمة » .

ويرى الأستاذ القاعود في نهاية دراسته أن أفضل الوسائل الفعالة في المواجهة هي

إنشاء صحافة إسلامية قوية يومية .. وإلى أن يتحقق هذا يبقى على كل مسلم أن يواجه الصحافة المهاجرة بما يملك ويستطيع ، وأهم ذلك هو حجب الإعلان عنها ، لأنه هو دعامتها .

والسؤال المطروح بعد ذلك : هل كانت الصحافة المهاجرة معبراً لتسرب الثقافات الغربية للقارىء المسلم من بعض الوجوه .. فجاءت بهذه الصورة التي توصلت إليها الدراسة ؟

ومن جانب آخر : هل كان الإنسان المسلم في بلاد المهجر موجوداً في حساباتها وهي تتناول مختلف القضايا وهل لمست قضاياه وقدمت حلولاً لمشاكله ؟

تبقى ملاحظات شكلية يمكن ملاحظتها في طبعات قادمة منها : مراعاة دقة أماكن صدور الصحف المهاجرة فالحوادث تصدر في لندن الآن وليس في باريس ومنها : عدم إغفال اسم الصحيفة أثناء العرض النظري للقضايا تعضيداً للنتائج التي انتهت إليها الدراسة .

لكن لماذا اكتفت الدراسة برصد القضايا والمعالجات في الصحافة المهاجرة حتى عام (١٩٨١م) رغم صدور الكتاب عام (١٩٨٤م) .

وإلى أن تكتمل الصورة بدراسات تقويمية لظواهر الحياة الثقافية المختلفة فإن دراسة الأستاذ القاعود على ما أبدينا حولها من ملاحظات تستحق مزيداً من البحث والمناقشة فقد كانت لها الريادة في هذا المجال . ■■

التعبير بالصورة

الاستئصال في مذابح صبرا وشاتيلا :

[هل استفدنا من دروس المأساة ؟!]

متابعة ثقافية

■ (التيار الإسلامي في الشعر القطري الحديث) دراسة اعدها الباحث عطا سالم النباهين وتقدم بها إلى معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة وحصل على درجة الماجستير .

■ عقد مؤخراً بالأردن المؤتمر العام لمديري المراكز الثقافية الإسلامية في مختلف دول العالم ، وذلك بالتنسيق بين رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ووزارة الأوقاف الأردنية .

■ صدر في المملكة العربية السعودية أمر إلى وسائل الإعلام المختلفة يقضي بضرورة استخدام اللغة العربية الصحيحة ومراعاة قواعدها وذلك درءاً لانتشار ظاهرة اللحن والاستعمال غير الصحيح للغة العربية .

■ انعقد مؤخراً في كوالا لمبور المؤتمر الثالث للفكر الإسلامي الذي ينظمه المعهد العالي للفكر الإسلامي بواشنطن ، وافتتحه رئيس الوزراء الماليزي ، وناقش المؤتمر الذي شارك فيه عدد من علماء وقادة الفكر الإسلامي من مختلف بلاد العالم موضوعات إسلامية في المعارف والعلوم والفنون والآداب .. وَقُدِّمَ فيه أربعون بحثاً .. ومن المعروف أن المعهد كان قد اقام مؤتمريه السابقين في كل من باكستان وسويسرا .

■ شهدت دولة الإمارات العربية المتحدة مؤخراً حملة جادة تهدف إلى تعريب أسماء المؤسسات العامة بالدولة ، وتعريب المعاملات والمكاتبات الخاصة بالتداول التجاري السلعي .. وأصدرت غرف التجارة والصناعة أمراً بعدم إصدار رخص تجارية لا تحمل أسماء عربية .

في عالم الاقتصاد

حلول مشكلات التنمية في الدول الفقيرة تأتي من الدول الغنية !!

■■ أعلن رئيس المؤتمر العام الرابع لمنظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية « يونيدو » أن تأمين مصادر مالية لتحقيق تنمية صناعية في دول العالم الثالث تعتبر من أبرز المشكلات التي يواجهها المؤتمر ، وأضاف « فان بارتفيلد » - من هولندا - بأن مؤتمر اليونيدو الحالي ينعقد في ظل أزمة اقتصادية عالمية أثرت بشكل خاص على الدول النامية .

وأشار « بارتفيلد » - في مؤتمر صحفي عقده مؤخراً - إلى أن ممثلي الدول الصناعية لم يظهروا أي حماس لموضوع زيادة مساعداتهم المالية لهذه الدول ، وأنه ليس من السهل على المؤتمر إيجاد حلول سريعة وحاسمة لمشكلات التخلف الصناعي بالدول النامية خلال فترة قصيرة ، وأن أعضاء المؤتمر يحاولون جهدهم وضع سياسات وخطط مستقبلية طويلة الأجل ، من بينها جعل منظمة اليونيدو وكالة متخصصة تعمل على مساعدة الدول النامية لمواجهة مشكلاتها الاقتصادية .

وتعكف لجنتان من لجان المؤتمر على دراسة بعض التقارير التي تتناول إعادة النظر في الهياكل الصناعية لدى الدول النامية وما يتعلق بتمويل المشروعات الصناعية ، ومشروع « عقد التنمية الافريقي » ، وتطوير الموارد البشرية ، وتطوير منظمة اليونيدو ومنحها صلاحيات أوسع في مجال نقل التكنولوجيا الصناعية إلى الدول النامية ، ومشروعات الصناعات الريفية والمواد الأولية المتوفرة لديها .

وكانت قضية مشكلات الدول النامية - الاقتصادية - قد طرحت للبحث في مؤتمر انعقد في وقت سابق بالعاصمة التونسية تحت اسم « المؤتمر البرلماني الدولي للسكان والتنمية » .. التي عرض لها نائب رئيس البنك الدولي « روجيه شوفورينيه » ، موضحاً أن المؤشرات الاقتصادية لتلك الدول تبعث على القلق الشديد ، نتيجة زيادة أعباء خدمة الديون وتفاقم المشاكل المالية ، وحالة موازين المدفوعات ووصولها إلى درجة كبيرة من الضعف .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الآراء التي طرحها « شوفورنيه » حول المشكلة - بصفة عامة - تقضي بأن إجراءات « الحماية التجارية » لا تمثل المخرج من الأزمة الاقتصادية التي تعيشها الدول النامية - في الوقت الذي تلجأ فيه الدول الصناعية المتقدمة إلى تطبيقها ، ولكن يبدو أن هذه الإجراءات ليست مطلوبة بالنسبة للدول الفقيرة التي تعتبر أسواقاً مفتوحة ومحتكرة للدول الغنية ، الأمر الذي يزيد من فقرها واضطرابها اقتصادياً .. ويقترح نائب رئيس البنك الدولي - على هذه الدول - العمل على تحسين الأداء والتوسع في الصادرات - (معظم الصادرات عبارة عن مواد خام وأولية تحتاجها الدول الغنية وتتحكم في أسعارها) - وليس الإقلال من الواردات (!) بحجة أن ذلك سوف يساعدها على إعادة البناء وخدمة ديونها الراهنة ، وينصح بأن تسعى الدول النامية للحصول على تدفقات نقدية من مصادر رسمية تسهم في تمويل برامج التنمية مع العمل على جدولة الديون على النحو الذي يخفف من أعبائها على موازين المدفوعات .

وأكد على حقيقة أن الدول المتقدمة ينتعش اقتصادها بين الحين والآخر ، بينما يلاحظ أن النمو في اقتصاد الدول النامية يتسم بالبطء الشديد - فمن المنتظر أن تصل نسبة النمو في الناتج القومي في الولايات المتحدة (عام ١٩٨٤م) إلى ٥٪ وفي اليابان يزداد المعدل بنسبة ٩ر٣٪ - بينما في الدول النامية لا يرتفع المعدل عن ١ر٣٪ (عام ١٩٨٣م) .. ويرى نائب رئيس البنك الدولي أن الحد من النمو السكاني في المنطقة العربية خاصة وفي الدول النامية عامة - يمثل خطوة رئيسة للتنمية - على حين أن التنمية في الدول الغنية قامت على أساس استيراد البشر من الخارج كأيدٍ عاملة فنية ومدربة ، وأن اليابان تحقق معدلات تنموية سريعة عن طريق الاستثمار المثالي للقوى العاملة بالرغم من أن النمو السكاني هناك قد يكون أكثف منه في بلدان نامية كثيرة ، الأمر الذي يقتضي العمل على تدريب أبناء هذه الدول وليس تقليل عددهم ، وقد يكون من المفيد توجيه الأموال المخصصة للبرامج السكانية - أو ما يسمى تحسين العلاقة بين السكان والتنمية - لتدريب السكان ورفع مستواهم الإنتاجي خاصة في المناطق الريفية .

ولعل من المفيد هنا الإشارة إلى ما نؤكده دائماً عند معالجة قضية التنمية في الدول الفقيرة - وهو أن الحلول لمشكلات هذه الدول إنما تنبع من داخلها ، وبعقول وأيدي أبنائها - الذين ساهموا في مرحلة سابقة في تحقيق التنمية والتقدم للدول الغنية . ■■

تنظيم الاستثمار في الدول العربية

■■ الكويت - كونا : قال المؤسسة العربية لضمان الاستثمار أنها أنجزت أول دراسة مقارنة بين أحكام الاتفاقية الموحدة لاستثمار رؤوس الأموال العربية في الدول العربية وتشريعات الدول العربية المنظمة للاستثمار .

ووصف بيان صحفي للمؤسسة هذه الدراسة بأنها تعتبر دراسة (قانونية مهمة) وتتضمن مقارنات بين التشريعات المنظمة للاستثمار في ١٦ دولة عربية وأحكام الاتفاقية الموحدة لاستثمار رؤوس الأموال العربية بغية الوقوف على مواطن الاتفاق أو الاختلاف بين التنظيم القطري للاستثمار في أي دولة عربية والاتفاقية الموحدة ومدى تلبية هذا التنظيم للحد المطلوب لترسية الاتفاقية في مجال تنظيم الاستثمار العربي .

وقد غطت الدراسة مقارنة تشريعات الاستثمار في كل من الأردن وتونس والجزائر وجيبوتي والسعودية والسودان وسوريا والصومال وسلطنة عمان والعراق وليبيا ومصر والمغرب وموريتانيا واليمنين بأحكام الاتفاقية الموحدة لاستثمار رؤوس الأموال العربية . ■■

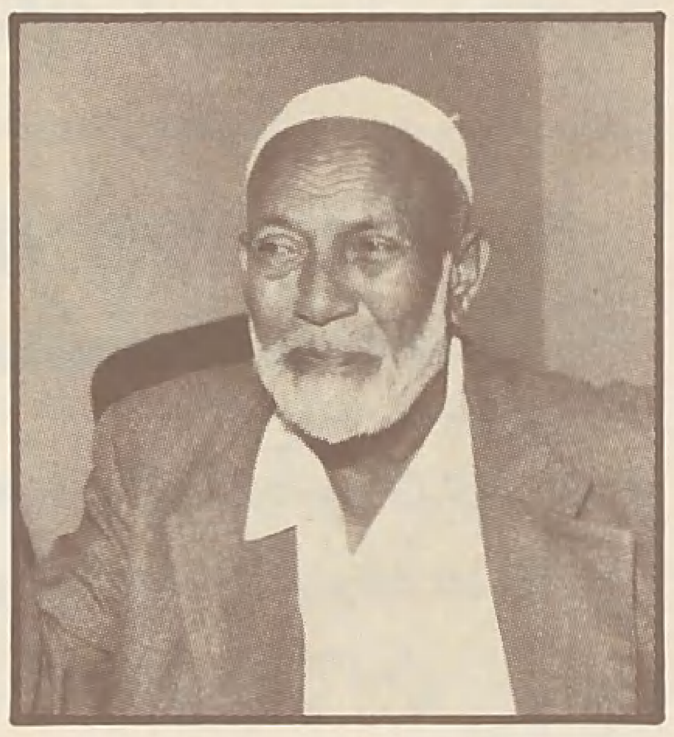

■ الشيخ أحمد ديدات ■

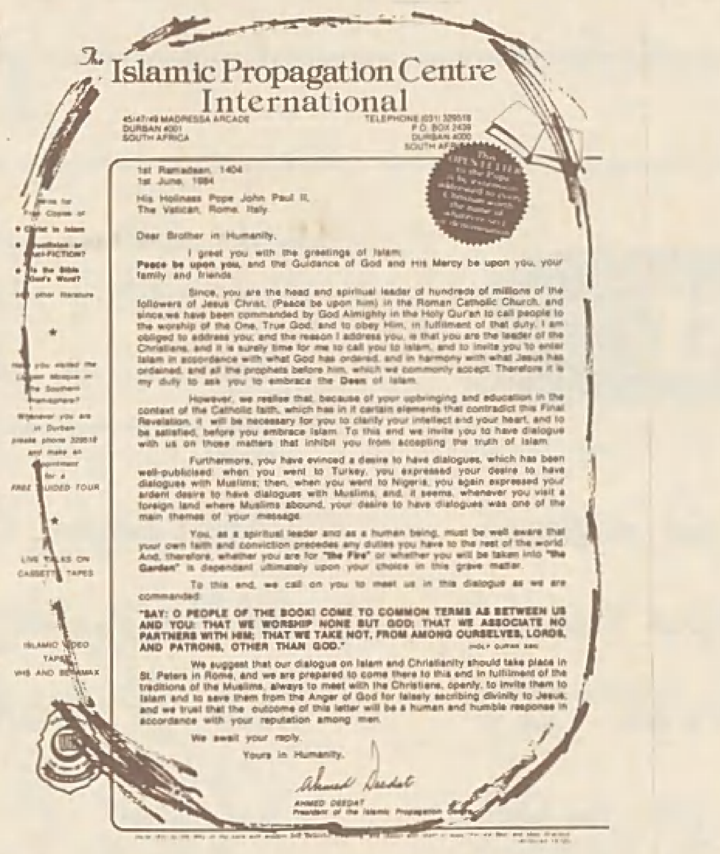

The Islamic Propagation Centre International

45/47/49 MADRESSA ARCADE
DURBAN 4001
SOUTH AFRICA

TELEPHONE (031) 329518
P.O. BOX 2439
DURBAN 4000
SOUTH AFRICA

1st Ramadaan, 1404
1st June, 1984

His Holiness Pope John Paul II,
The Vatican, Rome, Italy.

Dear Brother in Humanity,

I greet you with the greetings of Islam;
Peace be upon you, and the Guidance of God and His Mercy be upon you, your family and friends.

Since, you are the head and spiritual leader of hundreds of millions of the followers of Jesus Christ, (Peace be upon him) in the Roman Catholic Church, and since,we have been commanded by God Almighty in the Holy Qur'an to call people to the worship of the One, True God, and to obey Him, in fulfilment of that duty, I am obliged to address you; and the reason I address you, is that you are the leader of the Christians, and it is surely time for me to call you to Islam, and to invite you to enter Islam in accordance with what God has ordered, and in harmony with what Jesus has ordained, and all the prophets before him, which we commonly accept. Therefore it is my duty to ask you to embrace the **Deen** of Islam.

However, we realise that, because of your upbringing and education in the context of the Catholic faith, which has in it certain elements that contradict this Final Revelation, it will be necessary for you to clarify your intellect and your heart, and to be satisfied, before you embrace Islam. To this end we invite you to have dialogue with us on those matters that inhibit you from accepting the truth of Islam.

Furthermore, you have evinced a desire to have dialogues, which has been well-publicised: when you went to Turkey, you expressed your desire to have dialogues with Muslims; then, when you went to Nigeria, you again expressed your ardent desire to have dialogues with Muslims, and, it seems, whenever you visit a foreign land where Muslims abound, your desire to have dialogues was one of the main themes of your message.

You, as a spiritual leader and as a human being, must be well aware that your own faith and conviction precedes any duties you have to the rest of the world. And, therefore, whether you are for **"the Fire"** or whether you will be taken into **"the Garden"** is dependant ultimately upon your choice in this grave matter.

To this end, we call on you to meet us in this dialogue as we are commanded:

"SAY: O PEOPLE OF THE BOOK! COME TO COMMON TERMS AS BETWEEN US AND YOU: THAT WE WORSHIP NONE BUT GOD; THAT WE ASSOCIATE NO PARTNERS WITH HIM; THAT WE TAKE NOT, FROM AMONG OURSELVES, LORDS, AND PATRONS, OTHER THAN GOD." HOLY QUR'AN 3:64

We suggest that our dialogue on Islam and Christianity should take place in St. Peters in Rome, and we are prepared to come there to this end in fulfilment of the traditions of the Muslims, always to meet with the Christians, openly, to invite them to Islam and to save them from the Anger of God for falsely ascribing divinity to Jesus; and we trust that the outcome of this letter will be a human and humble response in accordance with your reputation among men.

We await your reply.

Yours in Humanity,

Ahmed Deedat
AHMED DEEDAT
President of the Islamic Propagation Centre

●● وجَّه الداعية الشيخ أحمد ديدات ـ رئيس مركز الدعوة بجنوبي أفريقيا ـ رسالة إلى بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني ، يدعوه فيها إلى إجراء حوار حول الإسلام والنصرانية ، ويقول : « لقد آن الأوان لكي أدعوكم إلى اعتناق الإسلام ، خضوعاً لأمر الله تبارك وتعالى ، واستجابة لقول المسيح عيسى عليه السلام وجميع الأنبياء الذين نؤمن بهم جميعاً » وأضاف في رسالته : « إن طلب إجراء هذا الحوار يأتي تحقيقاً لرغبتكم التي أبديتموها خلال زيارتكم تركيا ونيجيريا ، وغيرها من البلدان التي يكثر فيها عدد المسلمين ..

ومن المعروف أن الشيخ ديدات يدير مثل هذه الحوارات علانية في أماكن مفتوحة مع رجال الدين النصارى ، يتم تسجيلها على شرائط الفيديو ، كما أن له عدة مؤلفات حول المعاني التي تدور خلالها ، منها كتاب « المسيح في الإسلام » ، بالإضافة إلى العديد من النشرات التي يصدرها مركز الدعوة الإسلامية في جنوبي أفريقيا .

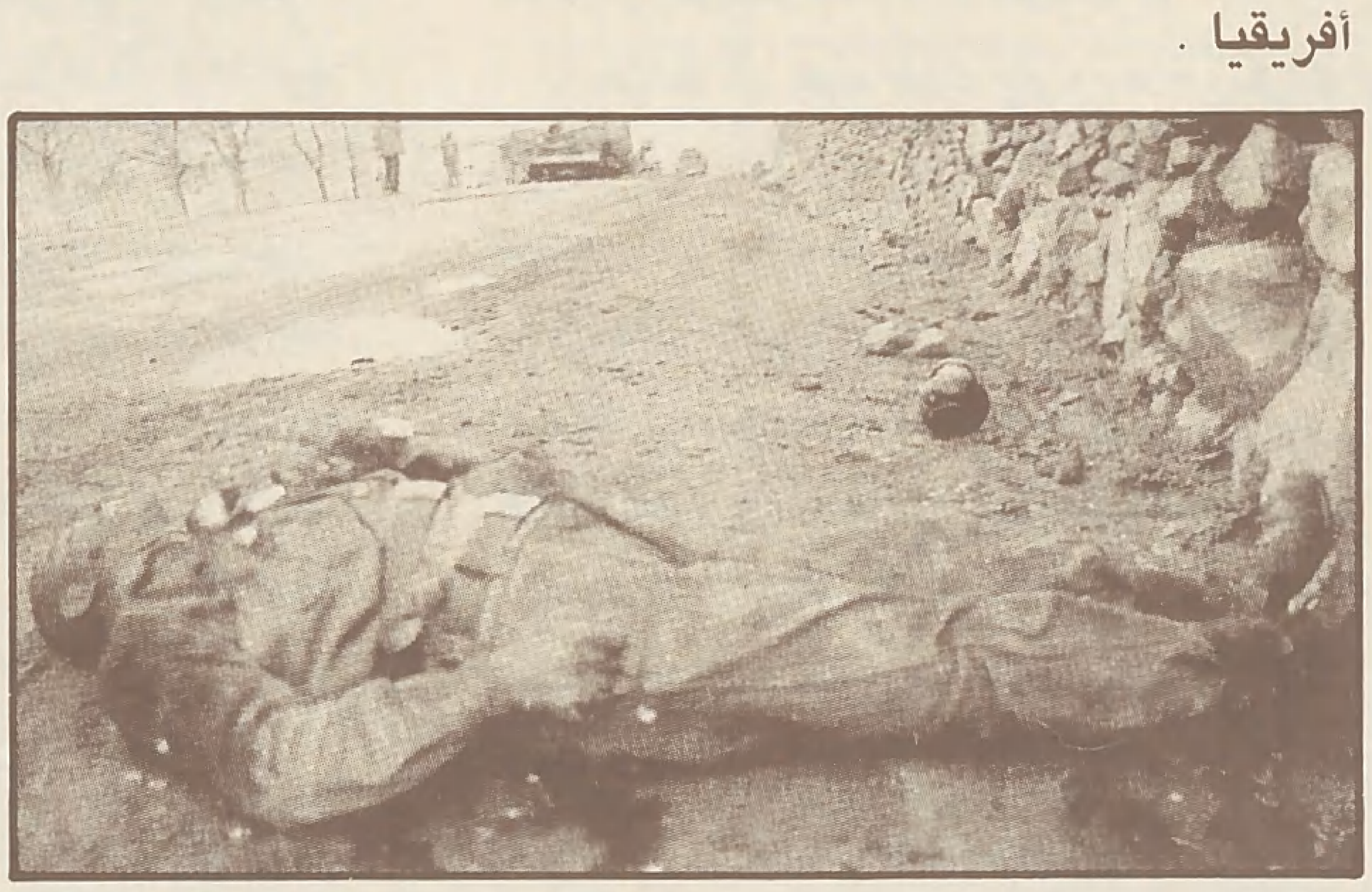

■ « النهاية الحقيقية للمفسدين » .. جثة جندي سوفييتي ملقاة في الطريق ■

●● تلجأ سلطات الاحتلال السوفييتية إلى تضليل الرأي العام العالمي حول قضية أفغانستان وتشويه صورة المجاهدين الأفغان وذلك بمختلف الوسائل الإعلامية وفي مقدمتها الأفلام السينمائية ، فقد قام الاتحاد السوفييتي بإخراج ما يزيد عن (٣٦٠) فيلماً وثائقياً خلال السنوات الخمس الماضية ، تم ترشيح اثنين منها لمهرجانات سينمائية ، أحدهما بعنوان « الفرار » ، والآخر بعنوان « نهاية المفسدين » .. حيث حصل الأول على جائزة السلام (!) في مهرجان طشقند السينمائي .. في حين منح الفيلم الثاني جائزة خاصة من تشيكوسلوفاكيا ، بعد أن تم إنتاجه للعرض التلفزيوني ..

أخبـــار قصيـــرة

ويقدم الاتحاد السوفييتي هذه الأفلام على أنها تصوِّر « العهد الثوري » ، ويقصد به عهد السيطرة الشيوعية على أفغانستان واحتلال القوات المسلحة الروسية لأرضه (!) .. أما فيلم « نهاية المفسدين » فقد تم تصويره بإحدى المحافظات الأفغانية لم يكشف عن اسمها ، وتحكي قصة انتصار قوات الغزو الروسية على المجاهدين ، ومن ناحية أخرى نال بعض عملاء النظام الشيوعي من الأفغان جوائز من الاتحاد السوفييتي على مساهمتهم بإخراج هذه الأفلام ، منهم : سليم سرمست ، ومشهور جمال ، ووحيد صبوري .

●● انتحر نائب أمين عام بلدية القدس ، شلومو شارون (٥٢ سنة) في مكتبه بشارع الأنبياء بالمدينة ولم تُعرف حتى الآن الأسباب التي دفعته للانتحار ..

●● في إحدى قرى طاجكستان بالاتحاد السوفييتي ، عثر مؤخراً على قطعة ضخمة من البللور الصخري عليها كتابات باللغة العربية تعود إلى العصور الوسطى ، وقد تم نقل هذا الأثر النادر إلى « معهد التاريخ » في أكاديمية العلوم بطاجستان لدراستها ..

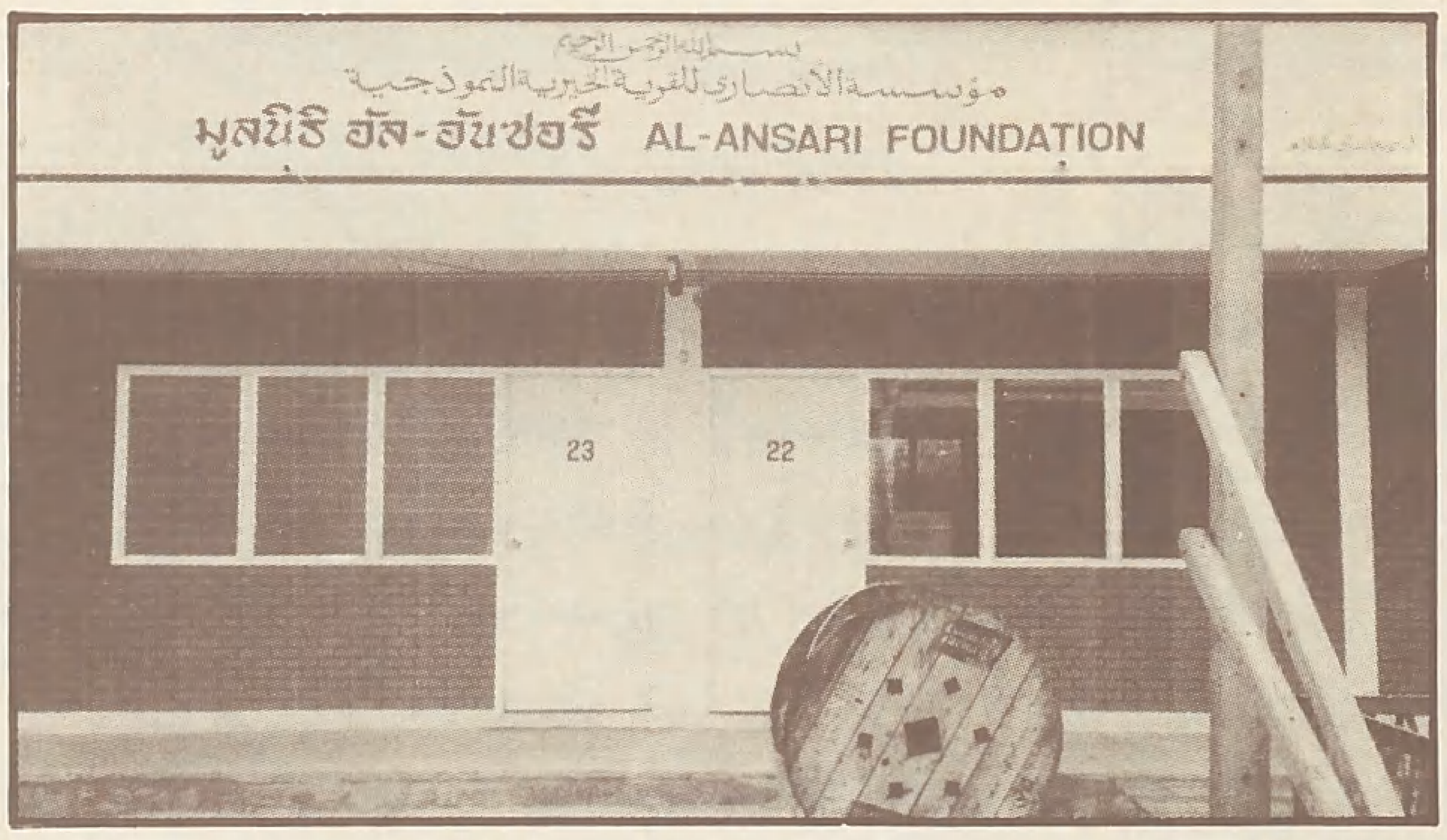

●● تقوم في شمالي تايلاند ـ بالقرب من مدينة شيانج ماي عاصمة الإقليم ـ قرية أنموذجية تضم أسر المسلمين الفقيرة وتحميهم من التشتت بين البوذيين في القرى والأحياء المجاورة وتحفظ عليهم عقيدتهم ، حيث يتعلم أبناؤهم في المدرسة الداخلية بالقرية ، ويجتمعون للصلاة في مسجدها الذي بني ليتسع لأهلها من الرجال والنساء والأطفال .

والجدير بالذكر أن هذه القرية قد بنيت ـ على مساحة خمسة أفدنة ـ بالجهود الذاتية التي ساهم فيها بقسط كبير الشيخ عبد الرحيم الأنصاري وأسرته بالمدينة المنورة ، كما ساهموا في تأسيس مسجد ومدرسة التقوى بمدينة شيانج ماي ، التي تضم مائة من الطلبة المسلمين المقيمين بالمدينة ، ومثلهم يأتون من المناطق المجاورة لحضور فصول الدراسة الإسلامية يومي السبت والأحد ـ عطلة نهاية الأسبوع بالمدارس الرسمية ـ وقد تم بناء قسم للبنات بالمدرسة التي تضم الآن ثلاثة طوابق .

ويلاحظ معظم الذين يقومون بزيارة القرية من المسلمين من خارج تايلاند أن التكلفة الكلية لهذا المشروع ليست كبيرة ، بل على العكس هي في طاقة كثير من المسلمين من أهل الخير .

من أين ترصد الأموال لتدمير المسجد الأقصى ؟

The Middle East

■■ من المعروف أن اليهود المتطرفين يخططون لتدمير المسجد الأقصى وقبة الصخرة في القدس . ولكن الحقيقة التي ليست معروفة هي أن الأموال لهذه العملية تجمع من قبل رجال الكنيسة في أمريكا . فهم يجمعون الأموال أيضاً لبناء معبد يهودي ضخم في مكان الحرم الشريف نفسه في مدينة القدس .

توجد في مدينة لوس انجلوس الأمريكية مؤسسة تدعى « مؤسسة معبد القدس » يرأسها رجل أعمال ثري اسمه تيري ريزنهوور (TERRY REISENHOOVER) بينما يقيم الأمين العام لهذه المؤسسة واسمه استانلي غولدفوت في القدس وهو أصلاً من جنوب أفريقيا وكان من رجال المخابرات ومن عصابة اشتيرن التي اغتالت الكونت برنادوت في عام ١٩٤٨م (وكان الكونت مندوب الأمم المتحدة في فلسطين) .

صرح غولدفوت في حديث له لصحيفة أورشليم بوست الإسرائيلية أن ريزنهوور رئيس المؤسسة دفع له مبلغاً قدره خمسون ألف دولار أمريكي لغرض صريح هو إنشاء المقر الرئيس للمؤسسة المذكورة .

وقالت صحيفة « ذي نيوريببليك » الأمريكية الصادرة من واشنطن في تقرير لها في عددها بتاريخ ١٨ يونيو (حزيران) إن غولد فوت هو بمثابة القناة الرئيسة لجلب الأموال من الأصوليين الأمريكيين (أي من ذوي النزعة المتطرفة من أنصار الديانة النصرانية) إلى المتطرفين الإسرائيليين . وهذه الأموال تستخدم أيضاً في تسديد النفقات القضائية لأجل الدفاع عن الإرهابيين اليهود الذين حاولوا تدمير المسجد في ١٠ مارس (آذار) ١٩٨٣م ، وقالت الصحيفة إن النفقات القضائية في هذا الصدد بلغت خمسين ألف دولار وإن رجال الكنيسة الأثرياء دفعوا هذا المبلغ .

وأحد مديري المؤسسة المذكورة قسيس نصراني يدعى جيمس دي لوش وهو تابع للكنيسة المعمدانية الثانية في مدينة هيوستن الأمريكية ، فقد صرح جيمس دي لوش لمجلة ذي ميدل إيست بأن المؤسسة دفعت مبالغ باهظة لأجل الدفاع عن الإرهابيين المشار إليهم آنفاً ، ومن الجدير بالذكر أن هذا القسيس يلبس خاتماً يرمز إلى الديانتين النصرانية واليهودية إذ يوجد على هذا الخاتم نجمة داود والصليب .

وقد سئل جيمس دي لوش عن سبب مساندته - رغم كونه نصرانياً - لخطة تدمير المسجد الأقصى وإنشاء معبد لليهود في مكان المسجد فكان جوابه « إن النصارى لا يتمتعون بحق أداء الصلاة فيه » .

أما المدير التنفيذي لمؤسسة معبد اليهود فهو دوغلاس كريغر وهو يقوم حالياً بمشروع التنقيب عن النفط في الضفة الغربية بالتعاون مع رئيس المؤسسة ريزنهوور .

وتناقلت الصحف تصريحاً لـ « غولد فوت » بأن رئيس المؤسسة ريزنهوور مطلوب لبعض التحققات من قبل هيئة التحققات (الجنائية) الفيدرالية في أمريكا لأنه تورط في بعض عمليات الغش في مجال بيع الأراضي .

وكان ريزنهوور أقام مأدبة إفطار دعا إليها أربعمائة من كبار رجال الكنيسة الأمريكيين وسماها بمأدبة الإفطار للدعاء لإسرائيل . تحدث فيها السفير الإسرائيلي ماير روزين كما تحدث فيها ريزنهوور وأعلن أن السفارة الأمريكية يجب أن تنقل إلى القدس .

يرى كثير من المراقبين أن نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس يشكل الخطوة الأولى نحو تدمير المسجد الأقصى ونحو السيطرة الصهيونية الكاملة على القدس منذ أن احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧م .

كما يرى كثير من النصارى الأمريكيين أن إسرائيل تحقق تنبؤات الإنجيل فيعتقدون أنهم بتمويلهم لليهود المتطرفين يساهمون في إسراع ظهور المسيح المنتظر . وكان الإرهابيون اليهود حاولوا في مايو (أيار) الماضي بالتعاون مع كبار الأحبار اليهود والضباط من الجيش اليهودي تدمير المسجد بإلقاء قنبلة عليه من الجو بواسطة طائرة عمودية غير أنهم عدلوا عن هذه الخطة عندما تبين لهم أن حائط المبكى الغربي أيضاً سينهدم نتيجة هذه العملية ولا يمكن تفاديه حسبما صرحوا فيما بعد لضباط التحقيق . وكان هؤلاء الإرهابيون قد أجروا تجارب التدمير على نماذج مصطنعة للمسجد وقبة الصخرة .

يقوم الأثرياء الأمريكيون بتحويل مبالغ طائلة من أموالهم المعفاة من الضرائب إلى إسرائيل عن طريق الهيئة الأمريكية للتعاون بين اليهود والنصارى التي يديرها ريزنهوور ويرأسها حاخام من اليهود يدعى داود بن آمي ، وهذا الحاخام على صلة وثيقة بآريل شارون وزير الدفاع الإسرائيلي السابق ، وهناك عديد من القساوسة الأمريكيين التابعين لمختلف الكنائس الأمريكية ممن يؤيدون خطة تدمير الأقصى ، منهم : القسيس راي استيدمان في كاليفورنيا وشك سميث أيضاً في كاليفورنيا فهم جميعاً يرون هدفاً مشتركاً مع غولدفوت في « إعادة بناء المعبد » وقد تبرعت الكنيسة التي ينتمي إليها القسيس سميث بـ (٢٥) ألف دولار .

ويلاحظ أن غولد فوت يقوم بعدة زيارات إلى الولايات المتحدة حيث يلقى الترحاب على أوسع نطاق من خلال أجهزة الإعلام - الإذاعة والتليفزيون - ينادي غولد فوت أتباع الكنائس البروتستانتية بدفع التبرعات لأجل بناء المعبد ولا يذكر في أحاديثه عن وجود المسجد الأقصى في ذلك الموقع الذي سيقام فيه المعبد ، وإذا سأله أحد الحاضرين عن ذلك يقول إنه (أي المسجد) ليس بذي شأن .

كما أن الدكتور تشارلس مونرو رئيس مؤسسة المعبد يزور إسرائيل كثيراً ويظهر في صور مع الحاخامات اليهود المتطرفين . وصرح بأن اثنين من كبار الحاخامات في إسرائيل يؤيدان النصارى الأمريكيين والمتطرفين اليهود .

ويقول القسيس جيمس دي لوش : إن كل يهودي يود أن يرى انهيار المسجد ، وهم يقولون : في اعتقادهم أن المسجد سيدمر بفعل من الله ربما بزلزال ، فيعفون بذلك من تدميره ! ■■

[العدد : ١١٩ سبتمبر (سبتمبر) ١٩٨٤م]

ثوابت السياسة الأمريكية

Arabia

■■ تفتقر السياسة الخارجية الأمريكية عموماً إلى الانسجام . ويشكو أصدقاء الولايات المتحدة في جميع أنحاء العالم من عشوائية السياسة الخارجية الأمريكية وعدم مبالاتها الفظيعة بمشاعرهم . حتى ان بعض الحكومات الأوروبية اليمينية لم تستطع هضم بعض التصرفات الأمريكية .

المصالح الأمريكية هي الأساس في السياسة الخارجية الأمريكية . على جميع السياسيين الأمريكيين أن يتحدثوا عن المصالح الأمريكية إذا كان لهم أن ينجحوا في الامتحان أمام الكونغرس ، ولكن تلك المصالح قابلة لأكثر من تفسير . عموماً المهم الحفاظ على النظام الرأسمالي الأمريكي . ولكن ذلك تعبير مطاط . في الماضي كانت السيطرة على فيتنام ولاوس ضرورية للمحافظة على المصالح الأمريكية . إلى وقت قريب كانت أمريكا اللاتينية كذلك .. التحالفات يجب أن تستند إلى المصالح .

يرتبط هذا التركيز على المصالح الأمريكية بجهل بالعالم الخارجي وعدم الاهتمام بفهمه . لقد اتضح ذلك عندما امتحن « وليام كلارك » ، أول نائب لوزير الخارجية في عهد ريغان ، أمام الكونغرس ، فلم يعرف ما هو الموقف الرسمي من محادثات نزع السلاح ، ولم يدر أين تقع زمبابوي ! ولم يعرف اسم رئيس وزراء جنوب أفريقيا ! والأسوأ من ذلك أنه عين في منصبه ثم ترقى إلى منصب مستشار الأمن القومي في بلد تجوب أساطيله وجيوشه العالم !!

كذلك فإن « برجزنسكي » مستشار كارتر للأمن القومي ، لم يبدأ القراءة عن الإسلام إلا بعد أزمة رهائن السفارة الأمريكية في طهران .. هكذا فإن صانعي القرار الأمريكي ينطلقون من جهل كامل بالعالم ، وبالإسلام فيما يتعلق بمنطقتنا . وربما نتيجة لهذا الجهل طالبت واشنطون بإقامة حلف استراتيجي بين الدول العربية المعتدلة وإسرائيل لمواجهة التوسع السوفييتي ، وربما نتيجة لذلك أيضاً تعجز الولايات المتحدة عن فهم التطلعات الحقيقية للأمة الإسلامية . وعادة ما تقودها سوء حساباتها إلى مفاجآتها بعداء شديد من الشعوب الإسلامية يشكل في كثير من الحالات خطراً على مصالحها . لقد وصل الأمر إلى درجة أن صداقة الولايات المتحدة أصبحت خطراً على أصحابها ، الذين أخذوا يبدون تذمرهم من تلك الصداقة .

إن الحرص على المصالح الأمريكية ، مع الجهل الأمريكي بتطلعات الشعوب ، أدى إلى ارتباط الولايات المتحدة بإسرائيل ارتباطاً يحول دون أي صداقة عربية أمريكية حقيقية .

وقد خيبت الولايات المتحدة ظن أصدقائها ، الذين تمنوا أن تستثمر تلك العلاقة بإسرائيل للضغط عليها ، مما أدى إلى وضعهم في موضع حرج . وهذا هو سر حملاتهم الأخيرة عليها . لقد أصبحوا على يقين من أن الولايات المتحدة لا يهمها إلا مصالحها وبالذات تدفق النفط ، ولا يهمها من جميع الأصدقاء والحلفاء إلا إسرائيل . وهكذا يتبين أن الثوابت في السياسة الخارجية الأمريكية هي المصالح الأمريكية وأمن إسرائيل ، وما عدا ذلك متغيرات .

ولكن ، إلى متى سوف تستمر الولايات المتحدة في هذا الاتجاه ؟ إن الوعي الإسلامي المتنامي ، وإن كان قد قلص احتمالات نجاح الاتجاهات اليسارية إلا أنه سيجعل مستقبلاً العلاقة الإسرائيلية الأمريكية علاقة باهظة الثمن على صعيد المصالح الأمريكية بالذات . ■■

[العدد ٣٧]

مذابح بشرية رهيبة في أوغندا

The Washington Post

■■ على الرغم من أن عهد المارشال عيدي أمين كان يوصف بالدكتاتورية والطغيان ، إلا أن أوغندا تعيش الآن حالة تضطرها إلى الترحم على ذلك العهد ، فقد قتل الجيش الأوغندي رمياً بالرصاص أو جوعاً حتى الموت ، عشرات الآلاف من المدنيين الأوغنديين خلال الأشهر القليلة الماضية بحجة تنفيذ خطة الحكومة لمحاربة المتمردين والخارجين على سلطتها ..

وكان الموت على الأغلب من نصيب النساء والأطفال ، إضافة إلى اعتقال مئات الأشخاص لمجرد الاشتباه في نشاطهم السياسي ، لدرجة حدت بالناس إلى ذكر عهد عيدي أمين بالخير الذي لم يصل إلى هذا الحد من الإجرام .

ومع أن الولايات المتحدة هي التي حاربت عيدي أمين وعهده ، ومولت عملية الإطاحة بحكمه ـ من خلال جيش تنزانيا وجماعة المنفيين الاوغنديين إبان حكمه ـ إلا أنها تقول الآن إن العهد الراهن في أوغندا أسوأ جداً من ذلك العهد ، ومع ذلك فإن سفارة أوغندا في واشنطن تنفي أعمال القتل والتجويع التي توردها تقارير المهتمين بحقوق الإنسان في الولايات المتحدة .

وكان عيدي أمين قد حكم أوغندا بين ١٩٧١ ـ ١٩٧٩م . وأوقف العمل ببعض نصوص الدستور ، إلا أن أوغندا في عهد الرئيس المنتخب ملتون اوبوتي أسوأ حالاً من ذي قبل ، وأن حوالي مائتي الف أوغندي قتلوا خلال السنوات الماضية في منطقة مثلث « لويرو » وحدها من البلاد .

وتفيد المصادر الأمريكية ومصادر التقاط المعلومات من اللاجئين الأوغنديين الفارين من أوغندا ، أن معظم أعمال القتل والإبادة الجماعية تمت منذ شهر آذار (مارس) الماضي ، حينما كثفت حكومة ملتون اوبوتي معركتها ضد الشعب الأوغندي ومنعت المنظمات الإنسانية والجمعيات الخيرية من توزيع الأطعمة والأدوية على السكان في المنطقة المزدحمة قرب كمبالا العاصمة .

ويقول « روجر ونتر » رئيس اللجنة الأمريكية للاجئين : « لقد ابلغني مصدر مطلع بأنه في حادث واحد وقع في أواخر شهر أيار (مايو) الماضي قتل الجيش الأوغندي ثلاثمائة امرأة وطفل ، بعد أن قام الجنود باغتصاب النساء على مدى ثلاثة أيام من فورة إباحة القتل والاغتصاب التي منحت للجنود في مدينة (نامو جونجو) .. » .

وتقول المصادر المطلعة : إن عمليات اعتقال السياسيين المعارضين لحكم أوبوتي ازدادت ، وإن المعتقلين الموجودين في معسكرات اعتقال سرية يعيشون في غرف مزدحمة تفتقر إلى أبسط الظروف

● عيدي أمين ●

الإنسانية .. وقال هارب تمكن من الفرار من سجن عسكري في كمبالا إنه أرغم على أن يشرب « بوله » ، وإن بعض المعتقلين أكلوا لحم الموتى من السجناء حتى يظلوا على قيد الحياة .. وهذا الهارب عمره ٢٦ عاماً ، ويعمل سائق سيارة ، وقال إنه سجن بسبب كونه من أبناء قبيلة « باغندا » التي تؤيد الحزب الديمقراطي المعارض ، وهناك قرابة ثمانمائة ألف شخص من المدنيين قامت الحكومة بترحيلهم إلى أماكن بعيدة بسبب صراعات تعود جذورها إلى أسباب دينية وسياسية وقبلية .

ومع كل ذلك ، فإن الولايات المتحدة الأمريكية تقدم عوناً ودعماً عسكرياً (مائة الف دولار) بمقتضي البرنامج الخاص بالمعونة العسكرية لأوغندا ، كما قدمت لها تسعة ملايين دولار ـ هذا العام ١٩٨٤م ـ لبرنامج التعليم والصحة والتطوير الدولي .

والجدير بالذكر أن أوغندا تحصل على قروض قيمتها أربعمائة مليون دولار من صندوق النقد الدولي . ■■

حل مسابقة العدد ٤٧

١ ـ المعنى الصحيح ونص الآيـة :

○ تَذُودَانِ : تكفان .

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾

(القصص : ٢٣)

○ يَعْشُ : يظلم بصره

﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾

(الزخرف : ٣٦)

○ أَغْطَشَ : أظلم

﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾

(النازعات : ٢٩)

○ تَفْتَأُ : لا تـزال

﴿ قَالُوا تَاللّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾

(يوسف : ٨٥)

○ فَاقِـرَة : داهيـة

﴿ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾

(القيامة : ٢٥)

٢ ـ أسامة بن زيد رضي الله عنه .

٣ ـ عامر بن فهيرة رضي الله عنه .

٤ ـ الأمير عبد القادر الجزائري ، رحمه الله .

٥ ـ [المؤلف] : أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي .
[الكتاب] : الأمـوال .

٦ ـ الظهير البربري عبارة عن القانون الذي صدر في ١٦ أيار (مايو) ١٩٣٠م تحت ضغط الإدارة الاستعمارية بالمغرب ، وأنشئت بموجبه محاكم تستند إلى العادات والتقاليد البربرية لا إلى الشريعة الإسلامية ..

أسماء الفائزين في مسابقة العدد ٤٧

الفـائز الأول :

● إبراهـيم خنفي ــــــــ الجزائر

الفـائز الثاني :

● أحمد محمد حاج ــــــــ الصومال

الفـائز الثالث :

● سلوى عبد الرحيم العمري ــــــــ المغرب

الفـائز الرابع :

● عزة بنت محمد عبد القادر ــــــــ موريتانيا

الفـائز الخامس :

● عادل السمعلي ــــــــ تونس

الفـائز السادس :

● أحمد حسيـان ــــــــ الجزائر

الفـائز السابع :

● محمد فكري عبد الجليل ــــــــ مصر

الفـائز الثامن :

● فراطـو أحمـد ــــــــ بلجيكا

الفـائز التاسع :

● عبد الحكيم عبد الله الزبيدي ــــــــ الإمارات العربية المتحدة

الفـائز العاشر :

● حميد الله إنعام الله السلفي ــــــــ الهنـد

مسابقة الأمة

الجوائز

• **الفـائز الأول**
خمسمائة ريَال قطَري

• **الفـائز الثاني**
ثلاثمائـة ريَال قطـري

• **الفـائز الثالث**
مـائتـا ريَـال قطَـري

• **الفائز الرابع حتى العاشر**
اشتراك مجاني بالمجلة لمـدة سـنة

■ ترسل الإجابات إلى ■
مجلـة الأمّـة
ص . ب ٨٩٣ ـ الدوحة ـ قطر

ويكتب على الغلاف :
مسـابقـة الأمـة
ورقـم العـدد

مسابقة العدد ٤٩ السنة الخامسة

١ - قامــــوس المســــابقة :
كلمات من القرآن الكريم ، هل تعرف المعنى الصحيح لها من بين المعاني الواردة أمـــام كل كلمة ؟ ..
اذكر المعنى الصحيح ، ونص الآيــة التي وردت فيها :

- غَدَقــاً : قليلاً كثيراً زلالاً
- تَقَطَّعُوا : اختلفوا اتفقوا اجتمعوا
- أكْبَرْنَـهُ : احتقرنه أعظمنه استحين منه
- وَجْهَ النَّهار : آخر النهار منتصف النهار أول النهار
- كالْعِهْـنِ : كالصوف المنفوش كالصوف المصبوغ كالصوف المغزول

٢ - في إحدى غزوات رسول الله ﷺ خرج فيها سلمة بن الأكوع رضي الله عنه على رجليه يعدو : يسبق الخيل ، حتى لحق العدو فرماهم بالنبل والخيل تكر عليه وهو يقول :

خذها وأنا ابن الأكوع   اليــوم يوم الرضَّـعْ

ولحقهم رسول الله ﷺ والخيولُ عشاء ، وكانوا ثمانية أفراس ، وكان المقداد قائد الفرسان رضي الله عنه ... فقال سلمة : يا رسول الله ، إن القوم عطاش وليس لهم ماء دون أحساء كذا وكذا ، فلو بعثتني في مائة رجل استنقذت ما بأيديهم من السرح وأخذت بأعناق القوم . فقال عليه الصلاة والسلام : « ملكت فأسجح » .

ما هي هذه الغزوة ، وما سببها ، ومن الذي كان يحمل راية رسول الله ﷺ ؟

٣ - مـــن هـــو ؟ :

- كان من الكَمَلة ، والكامل عند العرب ، في الجاهلية وصدر الإسلام ، الذي يكتب بالعربية ويحسن العوم والرمي ..
- آخى رسول الله ﷺ بينه وبين شُجاع بن وهب الأسدي .
- شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .
- جعله رسول الله ﷺ على مائتي رجل خلَّفهم على السلاح حين دخل مكة لعمرة القضاء .
- شارك في غسل وتكفين ودفن رسول الله ﷺ ، وذلك بعد أن وقع إجماع الأنصار على اختياره ممثلاً لهم ..
- توفي بالمدينة المنورة في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

٤ - مـــن القـــائل :

علـى قـدر أهـل العـزم تـأتي العـزائم
وتـأتي علـى قـدر الكـرام المكـارم
وتـعظم فـي عيـن الصـغير صـغارهـا
وتـصـغر فـي عيـن العظيـم العظـائم

٥ - مؤلــف وكتـــاب :

[المؤلــــف] :

- مهندس ، مؤرخ ، نباتي .. من نوابغ الدهر .
- قال عنه « أبو حيان التوحيدي » : جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب .
- له عدة تصانيف مفيدة ، وللمؤرخين ثناء كبير عليه وعلى كتبه .
- توفي سنة ٢٨٢هـ . (سنة ٨٩٥م) .

[الكتـــاب] :

- من أقدم كتب التاريخ التي وصلتنا ومن أوثقها .
- ومن أوائل الكتب المتكاملة في تاريخ الدولة الإسلامية الممتدة من مشارق الأرض إلى مغاربها .
- يبدأ بالحديث عن بدء الخليقة ، من آدم عليه السلام حتى عهد الرسول ﷺ .. ثم يتحدث عن الخلفاء الراشدين فالأمويين فالعباسيين حتى آخر عهد المعتصم . وتنتهي أحداث الكتاب عام ٢٢٧هـ/٨٤٢م .
- من ميزاته ، أن المؤلف عاصر بعض أحداث الكتاب وسجل تفصيلات ما رأى وما سمع .
- يكشف عن عبقرية المسلمين ، حين يتمسكون بإسلامهم ، في ميادين الحرب والسياسة والإدارة .. ويصوِّر الحياة السياسية والحربية والمعاشية عند الفرس في العهود الواقعة قبل الإسلام ..

٦ - من فوائد الأسنان أنها تساعد على طحن الطعام وهرسه لتسهل بذلك عملية هضمه واستفادة الجسم منه .. وإلى جانب الإنسان ، هناك كثير من المخلوقات جعل الله لها أسناناً .. إلا أن منها ما ليس له أسنان مثل الطيور .
ما الذي يفعله الدجاج ، مثلاً ، لتسهيل عملية هضم الحبوب التي يتغذى بها ؟

اقرأ في الأعداد القادمة

□ اقتصاد الأمة ... قوة ضاربة
اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ

□ قراءة في واقع العالم الإسلامي : شبابنا في وجه الإعصار الغربي
عبد القادر عبار

□ قصور السياسة التربوية في الوطن الإسلامي
محمد الصالح عزيز

□ (رسـائل جامعيـة) :
الأسس التربوية للتغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي
إعداد زكريا فايد

□ الإسلام وبناء الإنسان
في حوار مع الدكتور رشدي فكار
أجراه محمود قظام

□ الفصحى والمناهج اللغوية الحديثة
عيسى أمين صبري

□ (استطـلاع) :
الواقع الإسلامي في ألمانيا الاتحادية
[علامات على طريق الأجيال الثلاثة]

كثيرة طرق الضلال

وسبيل النصر واحد

□□ في تاريخنا الطويل شواهد عديدة تقيم الدليل على أن الثقافة الإسلامية المعبرة عن كيان الأمة لم تعرف عزَّة ولا ازدهاراً إلَّا في ظلال المصحف الشريف مفجر أكبر ثورة فكرية عرفها الفكر الإنساني ، وعلى سبيل المثال فإن نشأة علوم القراءات واللغة ، ومباحث الفقه والتفسير ، وتنوع المذاهب والفرق ، وميلاد حركة التاريخ والترجمة ، وازدهار علوم الطبيعة والطب والفلك ، إنما كانت كلها بفضل بركات المصحف والاقتباس من أنواره الخالدة .

لقد كان نزول القرآن على محمد ﷺ كما ذكر « علي سامي النشار » رحمه الله أعجب حادث في تاريخ البشرية .. فلأول مرة ـ من بين الكتب السماوية الأخرى ـ يظهر على الأرض كتاب ـ ذو كلمات وحروف إلهية ـ ينطلق به أتباعه في سنوات قليلة ، يصوغون حياتهم طبقاً لقواعده ، ويغيرون الراسخات من التقاليد في نفوسهم ، ويرسمون لأنفسهم في ضوئه طريقاً جديداً لم يألفوه من قبل .

لقد كانت جميع ميادين التغيير المتعلقة بالفكر والفعل تدور مع القرآن حيثما دار ، وتستوحي من هدايته ما شاء لها من سبل الإرشاد والتمكين ، فلما حصل الافتراق أصاب التعطيل كل ميدان .

إن أمة تهجر كتاب ربها محكوم عليها بالانحطاط المريع في جميع جوانب الحياة تصديقاً لتقدير الله جل جلاله : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾ (طه : ١٢٤) . على أن هذا الهجران كما بيَّن الإمام « ابن القيم » في كتاب (الفوائد) لا يقتصر على مجرد هجر سماع القرآن أو الإيمان به ، بل يتعداه إلى أنواع ومراتب أخرى منها ما يتعلق بهجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه ، ومنها ما يتعلق بهجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه ـ وهو السائد اليوم ـ ومنها ما يتعلق بهجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه ، وأخيراً هجر الاستشفاء به من جميع أمراض القلب وكل هذا داخل في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾ (الفرقان : ٣٠) .

وقد كان من نتائج هذا الهجران أيضاً على صعيد الممارسة اليومية أن أظلمت النفوس وتكدَّر العيش ، واستحكمت الأهواء والمفاسد وقامت البدع مقام السنن ، يقول الشيخ (محمد الغزالي) :

(... هجر المسلمون القرآن إلى الأحاديث ، ثم هجروا الأحاديث إلى أقوال الأئمة ، ثم هجروا أقوال الأئمة إلى أسلوب المقلدين ، ثم هجروا المقلدين وتزمتهم إلى الجهال وتخبطهم . وكان تطور الفكر الإسلامي على هذا النحو وبالاً على الإسلام وأهله .. روى ابن عبد البر عن الضحّاك بن مزاحم : يأتي على الناس زمان يُعلق فيه المصحف : حتى يعشعش عليه العنكبوت لا ينتفع بما فيه ، وتكون أعمال الناس بالروايات والأحاديث .

وسبيل الرشد في هذه العماية أن نعود إلى القرآن فنجعله دعامة حياتنا العقلية والروحية ...) [كتاب فقه السيرة] .

إن جملة التراكمات السلبية التي علقت بمظاهر الثقافة الإسلامية هي في الحقيقة ضريبة طبيعية تدفعها الأمة بسبب تخليها عن كلمات ربها وتعاليم دينها .

إن طرائق التدريس التي تمارس اليوم مع القرآن لا تنفع كثيراً بالمقارنة مع التخصصات العلمية السائدة ، فلا هي تجعل المتعلم يحيا به تذوقاً وسلوكاً : فيربى على العلم والعزة والارتفاع ، ولا هي بالحريصة على توقيره والدعوة إلى تحكيمه في واقع العباد والبلاد ، ومن ثم لا يمكن لشباب هذه الأمة أن يفقه أو يقدر شيئاً من ثقافة الإسلام ، وهو الذي درس القرآن مادة دراسية هزيلة ضمن سائر المواد !!.. إنه طالما لم نعمل على تميز القرآن وثقافته ، فسيظل مسلكنا متوافقاً تماماً مع مخططات الاستعمار والتنصير التي تقول : « متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة بعيداً عن محمد وكتابه !؟ » .

إن المد العلماني (اللا ديني) الماكر تشتد صولته يوماً بعد يوم من أجل الإيقاع بالإسلام وأهله ، وعزل القرآن عن واقع الحياة ، وواجب التربية الإسلامية المقدس اليوم : رغم أنها تقف في مفترق طرق أن تتصدى لمخلف الهجمات بروح من التخطيط والتقدير جاعلة من قوله تعالى : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ (الحج : ٤٠) شعاراً رائداً تستنير بهديه في سبيل إحياء العاطفة الإسلامية ، وإيقاظ وعي المسلمين لأنه أقرب طريق للنصر ، وآكد ضمان للنجاح .

لقد جرَّبت الأمة تطبيقات الشرق والغرب في جميع ميادين الثقافة والاقتصاد والسياسة على امتداد نصف قرنٍ من الزمان ، ولكنها باءت بإخفاق شديد ، وقد حان الوقت الذي تستيقن فيه أن العزة لله جميعاً وأن القرآن هو سبيل النصر المنشود . □□

محمد بدر الدين [بن حسن]

صدر :

كتاب الأمة
Al Ummah

٨

نظرات في مسيرة العمل الإسلامي

عمر عبيد حسنه

■ لقد كان الأولى بالذين يخافون ويخوفون من تطبيق أحكام الشريعة - تحت عنوان الغيرة على الإسلام، أو مصالح الناس، أو حماية الأقليات التي ما طبقت الشريعة إلا وضمنت لهم العدل والمساوة - أن ينكروا ويستنكروا الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي، والأنظمة الجبرية والأحكام الاستثنائية وقوانين الطوارىء، التي تطبق في كثير من بلدان العالم الإسلامي، حيث تلغى إنسانية الإنسان وتطارد الحرية وتصادر باسم مواجهة المحتل واسترداد الأرض. الأمر الذي أضاع الحرية والأرض معا..

■ مهما ارتفعت أصواتنا في استدعاء «صلاح الدين» جديد، واشتدت معارك الشعارات على أرضنا، فلا سبيل إلى التحرير واسترداد بيت المقدس دون إعداد جيل التحرير.. الوليد الشرعي لعقيدة الأمة ووجودها التاريخي..

■ قد يكون صحيحاً أن الإنسان في مراحل التخلف ومناخ التخلف يصبح عاجزاً عن الإبصار والاعتبار، ولكن من المحقق أيضاً أن التحدي الثقافي والحضاري والانكسار العسكري يوقظ الحس ويلهب المشاعر ويذكي الروح ويجدد الانتماء ويدفع إلى الالتزام ويجمع الطاقات النفسية والمادية لتبدأ عملية الإقلاع من جديد...

■ حينما ندعو إلى تحديد موقع العمل الإسلامي الفاعل من خلال الإمكانات المتاحة والظروف المحيطة؛ فإن ذلك لايعني - بحال من الأحوال - عملية تقطيع للإسلام ووقوع في النظرة الجزئية التي تؤدي إلى النمو غير الطبيعي في بعض أطراف الجسم الإسلامي.. وإنما الذي نريد له أن يكون واضحاً هو أننا ونحن نعيش الإسلام في الموقع المتاح لنؤدي مسؤوليتنا كاملة، لانعدم القدرة على إبصار الساحة الكاملة التي يجب أن يملأها الإسلام وأن يرتادها العاملون والدعاة إلى الله..

يطلب من وكلاء توزيع الأمة Al Ummah في العالم

■■ في نهاية السنة الرابعة لايمكننا أن ندعي أننا استطعنا أن نحقق كل ما نريد ونأمل ، لكنها خطوات على الطريق لابد من تأكيدها وتصويبها وثباتها ، وقد يقتضي الأمر على رأس كل سنة وقفة للمراجعة والتقويم ، وسوف لانكون أحق بذلك من الإخوة الكتاب الذين يقبضون معنا على المقود ، والإخوة القراء رصيد « الأمة » الحقيقي وحواسها الطبيعية الذين ترىٰ وتحس من خلالهم ، ولسوف يبقى ذلك الحقيقة الماثلة التي تحدد وجهتنا في العمل ■■

مجلة الأمة — Al Ommah

العدد ٤٩ السنة الخامسة المحرم ١٤٠٥هـ